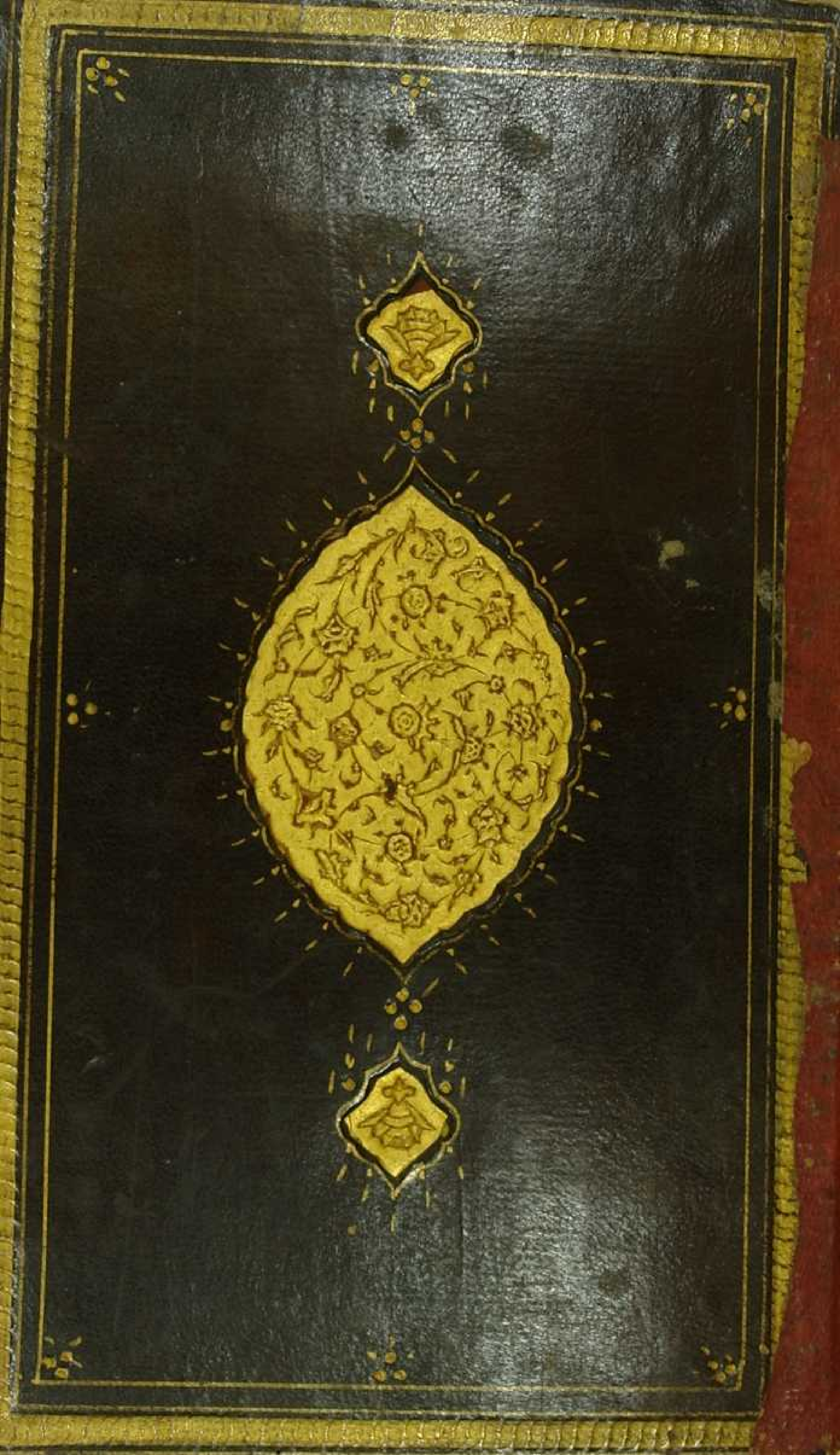




:

٢١٩ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض ، عياض

ش ق ابن موسى - ٥٤٤هـ. كتب في القرن الحادي عشر

الهجري تقديرا.

١٥١ ق ٣٣ س ٢٧ر٥×١٧سم

٦٣٣٦ نسخة جيدة ، خطها نسخ دقيق ، تزينها طرة

وجداول مذهبة ، طبع .

الأعلام ٥ : ٢٨٢ كشف الظنون ٢ : ١٠٥٢

١- السيرة النبوية أ- المؤلف

ب- تاريخ النسخ .

قو ١/١٢٧٥ ٢٦/٦/٧-٤

SIFA

مكتبة جامعة الملك سعود "قسم المخطوطات"
الرقم: ٦٤٢٦ – ف – ١٢٧٥ / ٨
العنوان: الشفا بتعريف حقوق المصطفى
المؤلف: القاضي عياض بن موسى – ٥٤٤هـ
تاريخ النسخ: الحادي عشر الهجري تقديرا
اسم الناسخ: – – – – – – – –
عدد الأوراق: ١٥١ق – – – – – –
ملاحظات: – – – – – – – –



اللهم صل على محمد وآله وصحبه وسلم انه من سليمان وانه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي
الله عنه الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس
دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما والباطن تقدسا لا عدما
ووسع كل شيء رحمة وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم
عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم
يقينا وعزما واشدهم بهم رأفة ورحمة زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما
وآتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما فآمن به وعزره ونصره
من جعل الله له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقا
حتما ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى صلى الله عليه وسلم صلاة تنمو وتنمى
وعلى آله وسلم تسليما اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف لي
ولك بما لطف باوليائه المتقين الذين شرفهم الله بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة
بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم
حبرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به تعالى واحدا ولم يروا في الدارين
غيره مشاهدا فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب
عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق
قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت علي السؤال في مجموع
يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه السلام وما يجب له من توقير واكرام وما حكم
من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان
اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم
اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني
بما كلفتني مرتقى صعبا ملأ قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير
فصول والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم
ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة
والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر فيها

الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض
تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد لكني لما رجوته لي ولك في
هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان
خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو
الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولما اخذ الله على
الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ولما حدثنا به ابو الوليد هشام
بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر
النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان بن الاشعث
حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد اخبرنا علي بن عبد الحكم عن عطاء عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة
فبادرت الى نكت مسفرة عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض اختلستها
على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه الانسان من مقالد المحنة
التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو
اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا او يذم محله فليس ثم سوى
حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح
يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا
وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى
زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تأصيله
وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته بالشفا بتعريف حقوق
المصطفى وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى
لقدر هذا النبي الكريم قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب الباب
الاول في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب الثاني
في تكميله تعالى له وجل جلاله له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل
الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث فيما ورد
من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في
الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على
يديه من الآيات والمعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلثون
فصلا القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام ويترتب القول فيه
في اربعة ابواب الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته
وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول
الباب الثالث في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب
الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة
فصول القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من

لامور البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب
ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما
نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض
هذا التاليف وعده وعند التقصي لموعدته والتفصي عن عهدته يشرق
صدر العدو اللعين ويشرق قلب المومن باليقين ويملا انواره جوانح
صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره ويتحرر الكلام فيه في
بابين الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة
وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من
الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام
على من تنقصه او سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين الباب
الاول في بيان ما هو في حقه سب نقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة
عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة
لهذه المسئلة ووصلة للبابين الذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله
وملائكته وكتبه وال النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه في
خمسة فصول وبتمامها ينجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب وتلوح
في غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس
وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض
عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه استعين القسم الاول في تعظيم العلي
الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا قال القاضي ابو الفضل عياض وفقه الله وسدده
لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى وجل
قدر نبينا عليه افضل الصلاة والسلام وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن ومناقب
لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام
فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى عليه من اخلاقه
وادابه وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي
تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى
فله الفضل بدءا وعودا والحمد لله اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان
من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق
الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة
والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره وراها
من ادركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك
الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه قال

حدثنا

حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا حدثنا
ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا محمد بن احمد بن محبوب
اخبرنا ابو عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا اسحق بن منصور حدثنا عبد
الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي
بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبرائيل عليه السلام
ابمحمد عليه السلام تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا
الباب الاول في ثناء الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه اعلم ان في
كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم امره
وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة
فصول الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن
كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
بالمؤمنين رؤف رحيم الاية قال السمرقندي وقرا بعضهم من انفسكم بفتح
الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اعلم الله
المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من
المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون
مكانه ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم
لكونه منهم وانه لم يكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله عليه السلام
ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس رض وغيره معنى قوله تعالى الا المودة
في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية
المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على
هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضربهم في دنياهم و
اخراهم وعزته عليه ورافته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين
من اسمائه رؤف رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله تعالى لقد من الله على
المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية وفي الاخرى هو الذي بعث
في الاميين رسولا منهم الاية وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن
علي بن ابي طالب عنه عليه السلام في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا و
صهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا نكاح قال ابن الكلبي كتبت
للنبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا
مما كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس رض في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين
قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه
عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته
فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من نعته الرافة
والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته

موافقته فقال عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا بزينة الرحمة
فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شئ
من رحمته فهو الناجى فى الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب
الا ترى ان الله يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته
رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام حياتى خير لكم وموتى خير لكم و
كما قال عليه السلام اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله
فرطا وسلفا وقال السمرقندى رحمة للعالمين يعنى للجن والانس وقيل
لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل و
رحمة للكافر بتأخير العذاب قال بن عباس رضى الله عنهما هو رحمة
للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكى
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من
هذه الرحمة شئ قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله على بقوله
ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين وروى عن جعفر بن
محمد الصادق رضى فى قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اى بك انما و
قعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الله نور
السموات والارض الايه قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثانى هنا محمد عليه
السلام وقوله مثل نوره اى نور محمد قال سهل بن عبد الله المعنى الله هادى
اهل السموات والارض ثم قال مثل نور محمد اذ كان مستودعا فى الاصلاب
كمشكاة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره اى كانه كوكب
درى لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اى من نور ابراهيم
وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضئ اى يكاد نبوة محمد
عليه السلام تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل فى هذه الايه غير
هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى فى القران فى غير هذا الموضع نورا وسراجا
منيرا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى
الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا
القلب قال ابن عباس رضى الله عنهما شرحه بنور الاسلام وقال سهل بنور
الرسالة وقال الحسن ملأه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا
يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك قيل ما
سلف من ذنبك يعنى قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل
المراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردى والسلمى وقيل
عصمناك ولولا ذلك لا ثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندى ورفعنا لك

ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معى فى قوله لا اله الا
الله محمد رسول الله وقيل فى الاذان قال الفقيه القاضى ابو الفضل وفقه الله
هذا تقرير من الله تعالى جل اسمه لنبيه صلعم على عظيم نعمه لديه وشريف
منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعى
العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما
كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة
لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه
ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رضى رفع الله ذكره فى الدنيا والاخرة
فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وروى ابو سعيد الخدرى ان النبى صلعم قال اتانى
جبريل فقال ان ربى وربك يقول تدرى كيف رفعت ذكرك فقلت الله
ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معى قال بن عطاء جعلت تمام الايمان
بذكرى معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكرى فمن ذكرك ذكرنى قال جعفر
بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرنى بالربوبية واشار
بعضهم فى ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه تع ان قرن طاعته بطاعته واسمه
باسمه فقال اطيعوا الله واطيعوا الرسول وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما
بواو العطف المشتركة ولا يجوز جمع هذا الكلام فى غير حقه عليه الصلاة والسلام
حدثنا الشيخ ابو على الحسين بن محمد الجيانى الحافظ فيما اجازنيه وقرأته على
الثقة عنه قال حدثنا ابو عمر النمرى قال حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا
ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود السجزى حدثنا ابو الوليد الطيالسى حدثنا
شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبى صلعم قال لا
يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء قال الخطابى
ارشدهم صلعم الى الادب فى تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه
واختارها بثم التى هى للنسق والتراخى بخلاف الواو التى هى للاشتراك
ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبى صلعم فقال من يطع الله
ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقال له النبى صلعم بئس خطيب
القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين
بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف
على يعصهما وقول ابى سليمان اصح لما روى فى الحديث الصحيح انه قال ومن
يعصهما فقد غوى لم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون
واصحاب المعانى فى قوله ان الله وملائكته يصلون على النبى هل يصلون
راجعة الى الله تعالى والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه اخرون
لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الاية ان الله يصلى

ومالونكته يصلون وقد روى عن عمر رض انه قال من فضيلتك عند الله
ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد
قال تع قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الايتين وروى
انه لما نزلت هذه الاية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت
النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول الاية فقرن
طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى
فى ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال
ابو العالية والحسن البصرى الصراط المستقيم هو رسول الله صلعم
وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردى وحكى مكى
عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلعم وصاحباه ابو بكر وعمر رضى الله
عنهما وحكى ابو الليث السمرقندى مثله عن ابى العالية فى قوله تعالى صراط
الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى
الماوردى ذلك فى تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن
زيد وحكى الماوردى ابو عبد الرحمن السلمى عن بعضهم فى تفسير قوله
تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه هو محمد عليه السلام وقيل الاسلام
وقيل شهادة التوحيد وقال سهل فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها قال نعمته بمحمد عليه السلام وقال تعالى والذى جاء بالصدق
وصدق به اولئك هم المتقون الايتين اكثر المفسرين على ان الذى جاء
بالصدق هو محمد صلعم وقال بعضهم وهو الذى صدق به وقرئ صدق
به بالتخفيف وقال غيرهم الذى صدق به هم المؤمنون وقيل ابو بكر
وقيل على وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد فى قوله تعالى الا بذكر
الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلعم واصحابه **الفصل الثانى** فى وصفه
تعالى له بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والمدح والكرامة قال الله تعالى
يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية جمع الله تعالى
له فى هذه الاية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله
شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهى من خصايصه عليه
السلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده
وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب
قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسى حدثنا ابو
زيد المروزى حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا البخارى حدثنا
محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت
عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرنى عن صفة رسول الله صلعم
قال اجل والله انه لموصوف فى التورية ببعض صفته فى القران يا ايها النبى

انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا
اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله
بن سلام وكعب الاحبار وفى بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب فى الاسواق
ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم
ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله
والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق
شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدى به بعد الضلالة
واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمى به بعد النكرة واكثر به
بعد القلة واغنى به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين
قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة
اخرجت للناس وفى حديث اخر اخبرنا رسول الله صلعم عن صفته فى
التورية عبدى احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة
امته الحمادون لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبى
الامى الايتين وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية قال السمرقندى
ذكرهم الله منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب ولو
كان فظا خشنا فى القول لتفرقوا من حوله ولكن جعله سمحا سهلا طلقا برا
لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسى
ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية
وفى قوله تعالى فى الاية الاخرى وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم
وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله تعالى وسطا اى عدولا
خيارا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان
جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول
بالصدق قيل ان الله جل جلاله اذا سأل الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم
فيقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلعم للانبياء عليهم
السلام ويزكيهم النبى صلعم وقيل معنى الاية انكم حجة على كل من
خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندى وقال الله تعالى وبشر الذين
امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم
قدم صدق هو محمد صلعم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هى مصيبتهم بنبيهم
وعن ابى سعيد الخدرى هى شفاعة نبيهم محمد صلعم هو شفيع صدق

عندربهم وقال سهل بن عبد الله التستری هی سابقة رحمة اودعها فی محمد صلعم
وقال محمد بن علی الترمذی هو امام الصادقین والصدیقین الشفیع المطاع
والسائل المجاب محمد صلعم حکاه عنه السلمی الفصل الثالث فیما ورد من
خطابه ایاه مورد الملاطفة والمبرة فمن ذلك قوله تعالی عفا الله عنك لم اذنت
لهم قال ابو محمد المکی قیل هذا افتتاح کلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله
وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان یخبره بالذنب وحکی السمرقندی
عن بعضهم ان معناه عافاك الله یا سلیم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدء النبی
صلی الله علیه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخیف علیه ان ینشق قلبه من هیبة
هذا الکلام لکن الله تعالی برحمته اخبره بالعفو حتی سکن قلبه ثم قال له لم
اذنت لهم بالتخلف حتی یتبین لك الصادق فی عذره من الکاذب وفی
هذا من عظیم منزلته عند الله ما لا یخفی علی ذی لب ومن اکرامه ایاه و
بره به ما ینقطع دون معرفة غایته نیاط القلب قال نفطویه ذهب
ناس الی ان النبی صلی الله علیه وسلم معاتب بهذه الایة وحاشاه من ذلك
بل کان مخیرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم یاذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه
لا حرج علیه فی الاذن لهم قال الفقیه القاضی عیاض ابو الفضل وفقه الله
تعالی یجب علی المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشریعة خلقه ان یتأدب
بأداب القران فی قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف
الحقیقیة وروضة الاداب الدینیة والدنیویة ولیتأمل هذه الملاطفة
العجیبة فی السؤال من رب الارباب المنعم علی الکل المستغنی عن الجمیع و
یتبین ویستثر ما فیها من الفوائد وکیف ابتدأ بالاکرام قبل العتب وانس
بالعفو قبل ذکر الذنب ان کان ثم ذنب وقال تعالی ولولا ان ثبتناك لقد
کدت ترکن الیهم شیئا قلیلا قال بعض المتکلمین عاتب الله تعالی الانبیاء
بعد الزلات وعاتب نبینا علیه السلام قبل وقوعه لیکون بذلك اشد
انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غایة العنایة ثم انظر کیف بدأ بثباته
وسلامته قبل ذکر ما عاتبه علیه وخیف ان یرکن الیه ففی اثناء عتبه برائته
وفی طی تخویفه تامینه وکرامته ومثله قوله تعالی قد نعلم انه لیحزنك
الذی یقولون فانهم لا یکذبونك الایة قال علی رض قال ابو جهل للنبی
صلی الله علیه وسلم انا لا نکذبك ولکن نکذب بما جئت به فانزل الله
تعالی فانهم لا یکذبونك الایة وروی ان النبی صلعم لما کذبه قومه
حزن فجاءه جبرئیل علیه السلام فقال ما یحزنك فقال کذبنی قومی
فقال انهم یعلمون انك صادق فانزل الله الایة ففی هذه الایة منزع
لطیف المأخذ من تسلیته تعالی له علیه السلام والطافه فی القول بان
قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غیر مکذبین له معترفون بصدقه

قولا واعتقادا وقد کانوا یسمونه قبل النبوة الامین فدفع بهذا التقریر ارتماض
نفسه بسمة الکذب ثم جعل الذم لهم بتسمیتهم جاحدین ظالمین فقال تعالی
ولکن الظالمین بایات الله یجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة
بتکذیب الایات حقیقة الظلم اذ الجحد انما یکون ممن علم الشیء ثم انکره کقوله
تعالی وجحدوا بها واستیقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما ذکره
عمن قبله ووعده النصر بقوله ولقد کذبت رسل من قبلك الایة فمن قرأ لا
یکذبونك بالتخفیف فمعناه لا یجدونك کاذبا قال الفراء والکسائی لا
یقولون انك کاذب وقیل لا یحتجون علی کذبك ولا یثبتونه ومن قراء
بالتشدید فمعناه لا ینسبونك الی الکذب وقیل لا یعتقدون کذبك ومما
ذکر من خصائصه وبر الله تعالی به ان الله خاطب جمیع الانبیاء باسمائهم فقال
یا ادم یا نوح یا ابراهیم یا موسی یا داود یا عیسی یا ذکریا یا یحیی ولم یخاطب
هو الا یا ایها الرسول یا ایها النبی یا ایها المزمل یا ایها المدثر صلی الله تعالی
علیه وسلم الفصل الرابع فی قسمه تعالی بعظیم قدره قال الله تعالی لعمرك
انهم لفی سکرتهم یعمهون اتفق اهل التفسیر فی هذا انه قسم من الله جل جلاله
بمدة حیاة محمد صلعم واصله ضم العین من العمر ولکنها فتحت لکثرة الاستعمال
ومعناه وبقائك یا محمد وقیل وعیشك وقیل وحیاتك وهذه نهایة التعظیم
وغایة البر والتشریف قال ابن عباس رضی الله عنهما ما خلق الله وما ذرأ
وما برأ نفسا اکرم علیه تعالی من محمد صلعم وما سمعت الله تعالی اقسم بحیاة
احد غیره وقال ابو الجوزاء ما اقسم الله بحیاة احد غیر محمد صلعم لانه اکرم
البریة عنده وقال تعالی یس والقران الحکیم الایات اختلف المفسرون
فی معنی یس علی اقوال وحکی ابو محمد مکی رح انه روی عن النبی صلعم انه قال
لی عند ربی عشرة اسماء ذکر ان منها طه ویس اسمان له وحکی ابو عبد الرحمن
السلمی عن جعفر الصادق انه اراد یا سید مخاطبة لنبیه صلعم وعن ابن
عباس رضی الله عنهما یس یا انسان اراد محمدا وقال هو قسم وهو من اسماء
الله تعالی وقال الزجاج قیل معناه یا محمد وقیل یا رجل وقیل یا انسان
وعن ابن الحنفیة یس یا محمد وعن کعب یس قسم اقسم الله تعالی به قبل
ان یخلق السماء والارض بالفی عام یا محمد انك لمن المرسلین ثم قال والقران
الحکیم انك لمن المرسلین فان قدر انه من اسمائه صلعم وصح فیه انه قسم
کان فیه من التعظیم ما تقدم ویؤکد فیه القسم عطف القسم الاخر علیه
وان کان بمعنی النداء فقد جاء قسم اخر بعده لتحقیق رسالته والشهادة
بهدایته اقسم الله تعالی باسمه وکتابه انه لمن المرسلین بوحیه الی عباده
وعلی صراط مستقیم من ایمانه ای طریق لا اعوجاج فیه ولا عدول عن
الحق قال النقاش لم یقسم الله تعالی لاحد من انبیائه بالرسالة فی کتابه

الاله وفيه من تعظيمه وتمجيده على تأويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال
عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل
بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكى وقيل لا
زائدة اى اقسم به وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين
والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطى اى نحلف لك بهذا البلد الذى
شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعنى المدينة والاول اصح لان
السورة مكية وما بعده يصححه وهو قوله وانت حل بهذا البلد ونحوه قول
ابن عطاء فى تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله بمقامه
فيها وكونه بها فان كونه عليه السلام امان حيث كان ثم قال ووالد وما
ولد من قال اراد آدم فهو عام ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهى انشاء
الله اشارة الى محمد صلعم فتتضمن السورة القسم به فى موضعين وقال
تعالى آلم ذلك الكتاب قال ابن عباس رضى الله عنهما هذه الحروف
اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل ابن
عبد الله التسترى الالف هو الله تعالى واللام جبرائيل والميم محمد عليه
السلام وحكى هذا القول السمرقندى ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله
انزل جبرائيل على محمد بهذا القران لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم
ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو
ما تقدم وقال ابن عطاء فى قوله ق والقران المجيد اقسم بقوة قلب
حبيبه محمد صلعم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعم
لعلو حاله وقيل هو اسم للقران وقيل هو اسم لله وقيل جبل محيط بالارض
وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد فى تفسير قوله والنجم اذا هوى انه محمد
عليه السلام وقال النجم قلب محمد هوى انشرح من الانوار وقال انقطع
عن غير الله وقال بن عطاء فى قوله والفجر وليال عشر الفجر محمد صلعم لان
منه تفجر الايمان صلعم الفصل الخامس فى قسمه تعالى جده له لعم
لتحقق مكانته عنده تعالى قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة
اختلف فى سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبى صلى الله
عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة فى ذلك بكلام وقيل
بل تكلم به المشركون عند فترة الوحى فنزلت السورة قال الفقيه الامام
ابو الفضل وفقه الله تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له
وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به
من حاله بقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى اى ورب الضحى وهذا من
اعظم درجات المبرة الثانى بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله
ما ودعك ربك وما قلى اى ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد

ان اصطفاك الثالث قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن
اسحق اى ما لك فى مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا
قال سهل اى ما ادخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما
اعطيتك فى الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه الاية
جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام فى الدارين
والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج فى الدنيا والثواب فى الاخرة
وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروى عن بعض ال النبى صلعم انه قال
ليس اية فى القران ارجى منها ولا يرضى رسول الله عليه السلام ان يدخل
احد من امته النار الخامس ما عده الله تعالى عليه من نعمه وقرره من
آلائه قبله فى بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس
به على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه الله بما اتاه او بما جعله فى
قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه واواه اليه وقيل اواه
الله وقيل يتيما لا مثال لك فاواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى
بك ضالا واغنى بك عائلا واوى بك يتيما ذكره عليه السلام بهذه
المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله فى حال صغره وعيلته
ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه
واصطفائه السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره
واشادة ذكره بقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة
التحدث بها وهذا خاص له عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى
قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون فى قوله تعالى
والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القران وعن جعفر بن
محمد انه محمد عليه السلام وقال سهل هو قلب محمد وقد قيل فى قوله تعالى
والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم ههنا
ايضا محمد صلعم حكاه السلمى تضمنت هذه الايات من فضله وشرفه العد
ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى
وصدقه فيما تلى وانه وحى يوحى اوصله اليه عن الله جبرئيل عليه السلام
وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه
الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما راى وانه راى من ايات ربه
الكبرى وقد نبه على مثل هذا فى سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه عليه
السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت لا تحيط به
العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء
والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع
من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحى والاشارة وهو عندهم

ابلغ ابواب الايجاز وقال تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام
عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام فى تعيين تلك الاية الكبرى قال القاضى
ابو الفضل واشتملت هذه الايات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه
السلام وعصمتها من الافات فى هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه
فزكى قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما راى ولسانه بقوله وما ينطق عن
الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس
الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اى اقسم انه
لقول رسول كريم اى كريم عند مرسله ذى قوة على تبليغ ما حمله من الوحى
مكين اى متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اى فى السماء امين
على الوحى قال على بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلعم فجميع
الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو جبرئيل فترجع الاوصاف اليه ولقد
راه يعنى محمدا قيل راى ربه وقيل راى جبرئيل فى صورته وما هو على الغيب
بظنين اى بمتهم ومن قراه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير
بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد عليه السلام باتفاق وقال تعالى ن والقلم وما
يسطرون الايات اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه
المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه وبسط امله بقوله
محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة فى المخاطبة
واعلى درجات الاداب فى المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم
وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا
غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما
للتمجيد بحرفى التاكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القران وقيل الاسلام
وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطى اثنى عليه
بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله
على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذى يسر
الخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر نواله
واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم و
توعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الايات ثم عطف بعد
مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معائبه متوليا ذلك
بفضله ومنتصرا لنبيه عليه السلام فذكر بضع عشرة خصلة من
خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين
ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله
سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من نصرته عليه السلام
لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده عليه السلام واثبت فى

ديوان مجده الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى فى جهته عليه السلام
مورد الشفقة والاكرام قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى
قيل طه اسم من اسمائه عليه السلام وقيل هو اسم لله تعالى وقيل معناه يا رجل
وقيل يا انسان وقيل هى حروف مقطعة لمعان قال الواسطى اراد يا طاهر
يا هادى وقيل هو امر من الوطء والهاء كناية عن الارض اى اعتمد على الارض
بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله ما انزلنا
عليك القران لتشقى نزلت الاية فيما كان النبى صلى الله عليه وسلم يتكلفه
من السهر والتعب وقيام الليل اخبرنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغير واحد عن القاضى ابى الوليد الباجى اجازة ومن اصله نقلت قال
ثنا ابو ذر الحافظ قال حدثنا ابو محمد الحموى حدثنا ابراهيم بن خزيم
الشاشى قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا هاشم بن القاسم عن ابى جعفر
عن الربيع بن انس قال كان النبى صلعم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى
فانزل الله تعالى طه يعنى طإ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القران
لتشقى ولا خفاء بما فى هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من
اسمائه عليه السلام كما قيل او جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من
نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اسفا اى قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله
ايضا لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشأ ننزل عليهم
من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى
فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون الى اخر السورة وقوله ولقد استهزئ برسل من
قبلك الاية قال مكى سلاه الله تعالى بما ذكره وهون عليه ما يلقاه من
المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه
التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله
تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
عزاه الله بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم
بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من
لقى ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم اى اعرض
عنهم فما انت بملوم اى فى اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله
تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اى اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك
ونحفظك سلاه الله بهذا فى اى كثيرة من هذا المعنى الفصل السابع فيما
اخبر الله تعالى به فى كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء
وحظوة رتبته عليهم قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من

كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسي اختص الله تعالى
محمدا صلعم بفضل لم يؤته غيره عم ابانه به وهو ما ذكره فى هذه الاية قال
المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحى فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته
واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ
ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعا
صرين لمحمد صلعم قال على بن ابى طالب رضى الله عنه لم يبعث الله نبيا
من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد فى محمد عليه السلام لئن بعث وهو
حى ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن
السدى وقتادة فى اى تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله
تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا وروى عن عمر ابن
الخطاب رضى الله عنه انه قال فى كلام بكى به النبى صلعم فقال بابى
انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر
الانبياء وذكرك فى اولهم فقال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم و
منك ومن نوح الاية بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال قتادة ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال كنت اول الانبياء فى الخلق واخرهم فى البعث فلذلك
وقع ذكره عم مقدما هنا قبل نوح عم وغيره قال السمرقندى فى هذا
تفضيل نبينا عليه السلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم المعنى
اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر وقال تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال اهل التفسير اراد بقوله
ورفع بعضهم درجات محمدا صلعم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت
له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس احد من الانبياء اعطى فضيلة
او كرامة الا وقد اعطى محمد صلعم مثلها قال بعضهم ومن فضله عليه السلام
ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه
فقال يا ايها النبى ويا ايها الرسول وحكى السمرقندى عن الكلبى فى قوله
تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد اى ان من شيعة
محمد لابراهيم اى على دينه ومنهاجه واختاره الفراء وحكاه عنه مكى وقيل
المراد نوح عم والله اعلم **الفصل الثامن** فى اعلام الله تعالى خلقه
بصلاته عليه عم وولايته ودفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما
كان الله ليعذبهم وانت فيهم اى ما كنت بمكة فلما خرج النبى عليه السلام
من مكة وبقى فيها من بقى من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم

يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما
وقوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الاية فلما هاجر المؤمنون
نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلعم
ودرأته العذاب عن اهل مكة بسبب كونه عليه السلام ثم كون اصحابه
بعده عم بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم
وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم وفى
الاية ايضا تأويل اخر **حدثنا** القاضى الشهيد ابو على رح الله بقرائى عليه
حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفى قالا **حدثنا** ابو يعلى بن
زوج الحرة **حدثنا** ابو على السنجى **حدثنا** الحسين بن محمد بن محبوب المروزى
حدثنا ابو عيسى الحافظ **حدثنا** سفيان بن وكيع **حدثنا** ابن نمير عن
اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابى بردة بن ابى موسى
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله على امانين لامتى
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا
مضيت تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين قال عليه السلام انا امان لاصحابى قيل من البدع وقيل من الاختلاف
والاهواء والفتن قال بعضهم الرسول صلعم هو الامان الاعظم ما عاش
ومادامت سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن
وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما الاية ابان الله تعالى فضل نبيه عليه السلام بصلوته
عليه ثم بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه عم وقد حكى
ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء تاول قوله عليه السلام وجعلت قرة
عينى فى الصلاة على هذا اى فى صلاة الله على وامره الامة بذلك الى يوم القيمة
والصلاة من الملائكة ومنا له عم دعاء من الله رحمة وقيل يصلون يباركون
وقد فرق النبى عليه السلام حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة
وسنذكر حكم الصلاة عليه عم وذكر بعض المتكلمين فى تفسير حروف
كهيعص ان الكاف من كاف اى كفاية الله تعالى لنبيه عليه السلام قال اليس
الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال الله تعالى ويهديك صراطا مستقيما
والياء تأييده له قال وايدك بنصره والعين عصمته له عم قال والله
يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال ان الله وملائكته يصلون
على النبى وقال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل
وصالح المؤمنين الاية مولاه اى وليه وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل
الملائكة وقيل ابو بكر وعمر رضى الله عنهما وقيل على رض وقيل المؤمنين
على ظاهره **الفصل التاسع** فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته عليه السلام

قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه
الايات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته
لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتدأ با علامه تعالى بما قضاه
له عم من القضاء البيّن بظهوره عم وغلبته على عدوه وعلو كلمته و
شريعته وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد
غفران ما وقع وما لم يقع اى انك مغفور لك وقال مكى جعل المنّة سببا
للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منّة بعد منّة وفضلا بعد فضل ثم قال
ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر عليك وقيل بفتح مكة والطايف
وقيل يرفع ذكرك فى الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه عم
بخضوع متكبرى عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره و
هدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز و
منّته على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة التى جعلها فى قلوبهم و
بشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك
عدوه فى الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم
قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية فعدّد محاسنه وخصايصه
من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم
بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب
وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى
ويعزروه اى يجلونه وقيل ينصرونه وقيل يبالغون فى تعظيمه ويوقروه
اى يعظمونه وقراه بعضهم ويعززوه بزائين من العز والاكثر والاظهر
ان هذا فى حق محمد صلعم ثم قال ويسبحوه فهذا راجع الى الله قال ابن
عطاء جمع للنبى عليه السلام فى هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو
من اعلام الاجابة والمغفرة وهى من اعلام المحبة وتمام النعمة وهى من اعلام
الاختصاص والهداية وهى من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب
وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهى الدعوة الى المشاهدة
قال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته عليه
السلام ونسخ به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه فى المعراج
حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاحمر والاسود واحل له ولامته
الغنايم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره تعالى
ورضاه برضاه وجعله احد ركنى التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يعنى بيعة الرضوان اى انما يبايعون الله ببيعتهم
اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه
وقيل منّته وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس فى الكلام وتاكيد لعقد

بيعتهم

بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلعم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول فى باب
المجاز وهذا فى باب الحقيقة لان القاتل والرامى بالحقيقة هو الله تعالى و
هو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس فى قدرة البشر
توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه و
كذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل فى هذه الاية الاخرى انها على
المجاز العربى ومقابلة اللفظ ومناسبته اى ما قتلتموهم وما رميتهم انت
اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اى
ان منفعة الرمى كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامى بالمعنى وانت
بالاسم الفصل العاشر فيما اظهره الله تعالى فى كتابه العزيز من كرامته عم عليه
تعالى ومكانته عم عنده تعالى وما خصه به عم من ذلك سوى ما انتظم فيما
ذكرناه قبل من ذلك ما نصه الله تعالى فى قصة الاسراء فى سورة سبحان والنجم
وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته عم وقربه ومشاهدته ما شاهد
من العجايب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله والله يعصمك من الناس
وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله الا تنصروه فقد نصره الله
وما رفع الله به عنه فى هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلو
صهم نجيا فى امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن
طلبه فى الغار وما ظهر فى ذلك من الايات ونزول السكينة عليه وقصة
سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث والسير فى قصة الغار وحديث
الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك
هو الابتر اعلمه عم الله تعالى بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر فى الجنة و
قيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل
المعرفة ثم اجاب تعالى عنه عدوه ورد عليه قوله فقال تعالى ان شانئك
هو الابتر اى عدوك ومبغضك والابتر الذليل الحقير او المفرد الوحيد
او الذى لا خير فيه وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثانى والقران العظيم
قيل السبع المثانى السور الطوال الاول والقران العظيم ام القران وقيل
السبع المثانى ام القران والقران العظيم سايره وقيل السبع المثانى ما فى
القران من امر ونهى وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك
نبأ القران العظيم وقيل سميت ام القران مثانى لانها تثنى فى كل ركعة و
قيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وادخرها له دون الانبياء
وسمى القران مثانى لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثانى اكرمناك بسبع
كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة
وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس الاية وقال وما ارسلناك

الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا
قال القاضى رح فهذه من خصايصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا عم الى الخلق كافة كما قال عليه
السلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اى ما انفذه
فيهم فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من
اتباع رأى النفس وازواجه امهاتهم اى هن فى الحرمة كالامهات حرم
نكاحهن عليهم بعده عم تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج فى
الاخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرا به الان لمخالفته المصحف وقال
الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله العظيم بالنبوة
وقيل بما سبق له فى الازل واشار الواسطى الى انها اشارة الى احتمال الرؤية
التى لم يحتملها موسى عم **الباب الثانى** فى تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا
وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا **اعلم** ايها
المحب لهذا النبى الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال
الجلال والكمال فى البشر نوعان ضرورى دنيوى اقتضته الجبلة وضرورة
الحياة الدنيا ومكتسب دينى وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى ثم
هى على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل
فاما الضرورى المحض فاليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان
فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة
لسانه وقوة حواسه واعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة
قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه
ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه
الخصال الاخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على
سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة واما المكتسبة
الاخروية فسائر الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين والعلم
والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة
والجود والشجاعة والحياء والمروة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة
وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهى التى جماعها حسن الخلق وقد
يكون من هذه الاخلاق ما هو فى الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس
وبعضهم لا يكون فيه فيكتسبها ولكن لا بد ان يكون فيه من اصولها فى
اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق
دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن
وفضائل باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا فى موجب

حسنها

حسنها وتفضيلها وفى هذا الباب كما تقدم سبعة وعشرون فصلا **فصل**
قال القاضى رح اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد
منا يشرف بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت له فى كل عصر اما من نسب
او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره ويضرب
باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك فى القلوب اثرة وعظمة و
هو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل
هذه الخصال الى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا
حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة
والمحبة والاصطفاء والرؤية والاسراء والقرب والدنو والوحى
والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود
والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلاة بالانبياء والشهادة
بين الانبياء والامم وسيادة ولد ادم ولواء الحمد والبشارة والنذارة و
المكانة عند ذى العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة
للعالمين واعطاء الرضى والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة
والعفو عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر و
عزة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة
والسبع المثانى والقران العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله وصلاة
الله والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال
عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى
واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر
ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب و
ظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الالام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه
محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد
له فى الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة
والحسنى والزيادة التى تقف دونها العقول ويحار دون ادانيها الوهم
فصل ان قلت اكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة انه عم اعلى الناس
قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت فى تفاصيل
خصال الكمال مذهبا جميلا شوقنى الى ان اقف عليها من اوصافه
تفصيلا صلعم **فاعلم** نور الله قلبى وقلبك وضاعف فى هذا النبى
الكريم حبى وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التى هى غير
مكتسبة وفى جبلة الخلقة وجدته عم حائزا لجميعها محيطا بشتات
محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ
القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه فى حسنها فقد جاءت

الاثار الصحيحة والمشهودة الكثيرة بذلك من حديث على رضو وانس بن مالك
وابى هريرة والبراء بن عازب وعايشة ام المؤمنين وابن ابى هالة وابى
جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب و
ابى الطفيل والعداء بن خالد وخزيم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم
من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب
الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية
تملاء صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم
العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين
سائل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل
البائن ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب
الى الطول الا طاله صلعم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل
سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رؤى كا لنور يخرج من ثناياه
احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم
قال البراء ما رايت من ذى لمة فى حلة حمراء احسن من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رأيت شيئا احسن من رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجرى فى وجهه واذا ضحك
يتلألاء فى الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر
وكان مستديرا وقالت ام معبد فى بعض ما وصفته به اجمل الناس
من بعيد واحلاه واحسنه من قريب فى حديث ابن ابى هالة يتلألأ
وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال على رض فى اخر وصفه له من راه
بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده
مثله صلعم والاحاديث فى بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها
وقد اختصرنا فى وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية فى القصد
الى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه
هناك ان شاء الله تعالى فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه و
عرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان ءم قد خصه الله
تعالى فى ذلك بخصايص لم توجد فى غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال
الفطرة العشر وقال بنى الدين على النظافة حدثنا سفيان بن العاص
وغير واحد قالو حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس الرازى حدثنا
ابو احمد الجلودى حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا قتيبة
حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس رض قال ما شممت عنبرا
قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله ءم وعن جابر بن

سمرة

١٢

سمرة رض انه صلعم مسح خده قال جابر فوجدت ليده بردا وريحا كانما
اخرجها من جونة عطار وقال غيره مسها بطيب اولم يمسها يصافح المصافح
فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبى فيعرف من بين الصبيان
بريحها ونام رسول الله عليه السلام فى دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة
تجمع فيها عرقه ءم فسألها رسول الله صلعم عن ذلك فقالت نجعله فى طيبنا
وهو من اطيب الطيب وذكر البخارى رح فى تاريخه الكبير عن جابر رض لم
يكن النبى عليه السلام يمر فى طريق فيتبعه احد الا عرف انه ءم سلكه من
طيبه صلعم وذكر اسحق بن راهوية ان تلك كانت رايحته بلا طيب صلعم
وروى المزنى عن جابر رض اردفنى النبى عليه السلام خلفه فلتقمت خاتم
النبوة بفى فكان ينم على مسكا وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت
غائطه وبوله وفاحت لذلك رايحة طيبة صلعم واسند محمد بن سعد
كاتب الواقدى فى هذا خبرا عن عايشة رضى الله عنها انها قالت للنبى صلعم
انك تاتى الخلاء فلا يرى منك شئ من الاذى فقال يا عايشة اوما علمت
ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شئ وهذا الخبر وان
لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلعم
وهو قول بعض اصحاب الشافعى حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ فى شامله
وقد حكى القولين عن العلماء فى ذلك ابو بكر بن سابق المالكى فى كتابه
البديع وفروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من
تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلعم لم يكن منه شئ يكره ولا غير
طيب ومنه حديث على رض غسلت رسول الله ءم فذهبت انظر ما يكون
من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح
طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رض حين قبل النبى صلعم
بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه
وتسويغه صلعم ذلك له وقوله له لن تصيبه النار ومثله شرب
عبد الله بن الزبير دم حجامته ءم فقال له عليه السلام ويل لك
من الناس وويل لهم منك ولم ينكر ءم عليه وقد روى نحو من هذا
عنه صلعم فى امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكى وجع بطنك
ابدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث
هذه المرأة التى شربت بوله صحيح الزم الدارقطنى مسلما والبخارى اخراجه
فى الصحيح واسم هذه المرأة بركة واختلف فى نسبها فقيل هى ام ايمن رض
وكانت تخدم رسول الله صلعم قالت وكان لرسول الله صلعم قدح من
عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده ءم

فلم يجد فيه شيئا فسال بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا
اعلم وروى حديثها ابن جريج وغيره وكان النبي صلعم في بعض الروايات
قد ولد مختونا مقطوع السرة وروى عن امه امنة انها قالت ولدته
نظيفا ما به قذر وعن عايشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله عليه
السلام قط وعن علي رض اوصاني النبي عليه السلام ان لا يغسله غيري
فانه لا يرى احد عورته الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن
عباس رض انه صلعم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ قال
عكرمة لانه كان صلعم محفوظا **فصل** واما وفور عقله عم وذكاء لبه
وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا
مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن
الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره
فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة
تقدمت ولا مطالعة منه للكتب لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه
لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحقيقه وقد قال وهب بن
منبه قرأت في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله
عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا وفي رواية اخرى فوجدت
في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من مبداء الدنيا الى انقضائها
من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال
الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلوة
يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في
الساجدين وفي الموطاء عنه عم اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس
رض في الصحيحين وعن عايشة مثله قالت زيادة زاده الله اياها في حجته
وفي بعض الروايات اني لانظر من ورائي كما انظر الى من بين يدي وفي اخرى
اني لابصر من قفائي كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عايشة
كان النبي عليه السلام يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة
في رؤيته الملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت
المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد حكى عنه انه
كان يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو
قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه
ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء عليهم السلام وخصالهم كما اخبرنا
ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه **حدثنا** ابو الحسن المقرئ الفرغاني
حدثنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها **حدثنا** الشريف ابو الحسن علي بن
محمد الحسني **حدثنا** محمد بن محمد بن سعيد **حدثنا** محمد بن احمد بن سليمان

حدثنا

حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق **حدثنا** همام **حدثنا** الحسن عن قتادة عن يحيى
بن وثاب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما
تجلى الله لموسى عم كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة
فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا عم بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسرى
والحظوة بما راى من ايات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة
اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة وكان شديدا
في الجاهلية وعاوده ثلث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ابو هريرة ما رأيت احدا اسرع من رسول الله صلعم في مشيه
كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته ان
ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط
من صبب **فصل** واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلعم من
ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع
وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف
اوتي جوامع الكلم وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب يخاطب كل
امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان
كثير من اصحابه يسئلونه في غير موطن عن شرح كلامه عم وتفسير قوله
من تامل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه عم مع قريش
والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي
وقطن ابن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل ابن حجر الكندي وغيرهم
من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها
وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما
سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض
الداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح **وقوله** لنهد اللهم
بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد
وبارك لهم في المال والولد من اقام الصلوة كان مسلما ومن اتى الزكوة
كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودايع
الشرك ووضايع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة ولا تتثاقل
عن الصلوة وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش و
ذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا
يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء
بالعهد والذمة ومن ابا فعليه الربوة ومن كتابه لوائل ابن حجر الى
الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة
الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنا مم بكر

فاصقعوم مائة واستوفضوم عاما ومن نام ثيب فضرجوم بالاصنام ولا توصيم
فى الدين ولا غمة فى فرايض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على
الاقيال ابن هذا من كتابه لا نس فى الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء
على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها
معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله فى
حديث عطية السعدى فان اليد العليا هى المنطية واليد السفلى هى المنطاة
قال فكلمنا رسول الله عم بلغتنا وقوله فى حديث العامرى حين سأله فقال
له النبى صلعم سل عنك اى سل عما شئت وهى لغة بنى عامر واما كلامه
المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس
فيها الدواوين وجمعت فى الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى
فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم
ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من
احب ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ
عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا
فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان
احبكم الى واقربكم منى مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا
الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما
لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل
وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات و
وأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق
الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا
ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله فى
بعض دعائه اللهم انى اسئلك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها
امرى وتلم بها شعثى وتصلح بها غائبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى
وتلهمنى بها رشدى وترد بها الفتى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم انى
اسئلك الفوز فى القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على
الاعداء الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه
وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرقبة
لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته
التى لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ فى قالبه عليها كقوله عليه السلام
حمى الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد
من وعظ بغيره فى اخواتها ما يدرك الناظر العجب فى مضمنها ويذهب به
الفكر فى اداء حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذى هو افصح منك

فقال

فقال وما يمنعنى وانما انزل القران بلسانى لسان عربى مبين وقال مرة اخرى
بيد انى من قريش ونشأت فى بنى سعد فجمع له بذلك صلعم قوة عارضة البادية
وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهى
الذى مدده الوحى الذى لا يحيط بعلمه بشرى وقالت ام معبد فى وصفها
له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن وكان
جهير الصوت حسن النغمة صلعم **فصل** واما شرف نسبه وكرم بلده و
منشائه فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفى
منه فانه صلعم نخبة بنى هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب
واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة اكرم بلاد الله على الله و
على عباده **حدثنا** قاضى القضاة حسين بن محمد الصدفى رح **حدثنا**
القاضى ابو الوليد سليمان بن خلف **حدثنا** ابو ذر عبد بن احمد **حدثنا** ابو
محمد السرخسى وابو اسحق وابو الهيثم **حدثنا** محمد بن يوسف **حدثنا** محمد
بن اسمعيل **حدثنا** قتيبة بن سعيد **حدثنا** يعقوب بن عبد الرحمن عن
عمرو عن سعيد المقبرى عن ابى هريرة رض ان رسول الله صلعم قال بعثت
من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه وعن
العباس قال النبى عليه السلام ان الله خلق الخلق فجعلنى من خيرهم
من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلنى من خير قبيلة ثم تخير البيوت
فجعلنى من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن
الاسقع قال **قال** رسول الله عم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل
واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى
من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم قال الترمذى وهذا
حديث صحيح وفى حديث عن ابن عمر رواه الطبرى انه عم **قال** ان الله
اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم ثم اختار بنى آدم فاختار منهم
العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم
بنى هاشم ثم اختار بنى هاشم فاختارنى فلم ازل خيارا من خيار الا من
احب العرب فبحبى احبهم ومن ابغض العرب فببغضى ابغضهم وعن
ابن عباس رضى الله عنهما ان قريشا كانت نورا بين يدى الله تعالى قبل
ان يخلق آدم بالفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه
فلما خلق الله آدم القى ذلك النور فى صلبه فقال رسول الله صلعم
فاهبطنى الله الى الارض فى صلب آدم وجعلنى فى صلب نوح وقذف
بى فى صلب ابراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلنى من الاصلاب الكريمة
الى الارحام الطاهرة حتى اخرجنى من بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط

فصل
ويشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور فى مدح النبى صلعم
واتما ما تدعوا ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلثة ضروب ضرب
الفضل فى قلته وضرب الفضل فى كثرته وضرب تختلف الاحوال
فيه فاما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة
كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما
لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة
مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس
وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة
مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل
على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل و
عادة العجز وتضييع العمر فى غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته
والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا
من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها
وصحيح الحديث واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى استشهاد
عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبى عليه السلام
قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته عم وهو
الذى امر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالاخر حدثنا
ابو على الصدفى الحافظ بقراتى عليه حدثنا ابو الفضل الاصفهانى
حدثنا ابو نعيم الحافظ حدثنا سليمان بن احمد حدثنا ابو بكر بن
سهل حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا معاوية بن صالح ان يحيى بن
جابر حدثه عن المقداد بن معدى كرب ان رسول الله عم قال ما ملأ
ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم اكلات يقمن صلبه فان
كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة
النوم من كثرة الاكل والشرب قال سفيان الثورى بقلة الطعام
يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا
كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روى عنه صلعم انه كان احب الطعام اليه ما
كان على ضفف اى كثرة الايدى وعن عايشة رضى الله عنها لم يمتلئ جوف النبى
صلعم شبعا قط وانه كان فى اهله لا يسئلهم طعاما ولا يتشهاه ان
اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث
بريرة وقوله الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه اعتقادهم
انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ راهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا
يستأثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره

بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفى حكمة لقمان يا بنى اذا امتلأت المعدة
نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون
لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفى صحيح الحديث قوله صلعم اما انا فلا
اكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد فى الجلوس له كالمتربع
وشبهه من تمكن الجلسات التى يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس
على هذه الهيئة يستدعى الاكل ويستكثر منه والنبى صلعم انما كان جلوسه
للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد اكل كما يأكل العبد واجلس
كما يجلس العبد وليس معنى الحديث فى الاتكاء الميل على شق عند المحققين
وكذلك نومه صلعم كان قليلا شهدت بذلك الاخبار الصحيحة ومع ذلك
فقد قال رسول الله ان عينى تنامان ولا ينام قلبى وكان نومه صلعم
على جنبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنأ
لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة لميلها الى الجانب الايسر
فيستدعى ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق
القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق فصل والضرب
الثانى ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما
النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورة ولم
يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما فى
الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس افضل هذه الامة اكثرها
نساء مشيرا اليه صلعم وقد قال عليه السلام تناكحوا تناسلوا فانى مباه
بكم الامم يوم القيمة ونهى عم عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض
البصر اللذين نبه عليهما صلعم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض
للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح فى الزهد قال سهل ابن
عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة
وقد كان زهاد الصحابة كثيرى الزوجات والسرارى كثيرى النكاح و
حكى فى ذلك عن على والحسن وابن عمر وغيرهم غير شئ وقد كره غير واحد
ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل
وهذا يحيى بن زكريا عم قد اثنى الله عليه انه كان حصورا فكيف يثنى
الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام قد تبتل من
النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله على يحيى عم بانه كان
حصورا ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا
حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق
بالانبياء وانما معناه معصوم من الذنوب اى لا يأتيها كانه حصر
عنها وقيل مانع نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة فى النساء

فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل فى
كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى ع م او بكفاية من الله كيحيى
ع م فضيلة زائدة لكونها شاغلة فى كثير من الاوقات حاطّة الى الدنيا
ثم هى فى حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم يشغله عن
ربه درجة علياء وهى درجة بنيّنا ع م الذى لم تشغله كثرتهن عن
عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن و
اكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرّح انها ليست من حظوظ دنياه
هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال صلوات الله وسلامه عليه
حبّب الىّ من دنياكم فدلّ على ان حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين هما
من امور دنيا غيره واستعماله ع م لذلك ليس لدنياه بل لاخرته للفوائد التى
ذكرناها فى التزويج وللقاء الملائكة فى الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع
ويعين عليه ويحرّك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع
شهوته وكان حبه الحقيقى المختص بذاته فى مشاهدة جبروت مولاه و
مناجاته ولذلك ميّز بين الحبّين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة
عينى فى الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى عليهما السلام فى كفاية فتنتهن
وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان ممن اقدر على القوة فى هذا فاعطى الكثير
منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس رض
انه ع م كان يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن
احدى عشرة قال انس رض وكنا نتحدث انه ع م اعطى قوة ثلاثين رجلا
خرّجه النسائى وروى نحوه عن ابى رافع وعن طاووس اعطى ع م قوة اربعين
رجلا فى الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبى
صلعم على نسائه التسع وتطهّر من كل واحدة قبل ان يأتى الاخرى وقال هذا
اطيب واطهر وقد قال سليمان ع م لاطوفنّ الليلة على مائة امرأة او تسع
وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس رض عنهما كان فى ظهر سليمان ماء
مائة رجل وكانت له ثلثمائة امرأة وثلث مائة سرّية وحكى النقاش
سبع مائة امرأة وثلثمائة سرّية وقد كان لداود ع م على زهده واكله
من عمل يديه تسع وتسعون امرأة وتمّت بزوج اوريا مائة وقد نبّه على
ذلك فى الكتاب بقوله تعالى ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة وفى
حديث انس عنه عليه السلام فضّلت على الناس باربع بالسخاء و
الشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة
و بقدر جاهه عظمة فى القلوب وقد قال الله تعالى فى صفة عيسى ع م
وجيها فى الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى
الاخرة فلذلك ذمّه من ذمّه ومدح ضدّه وورد فى الشرع مدح الخمول

ودم

وذم العلو فى الارض وكان صلعم قد رزق من الحشمة والمكانة فى القلوب
والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذّبونه ويؤذون اصحابه
ويقصدون اذاه فى نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا
حاجته واخباره فى ذلك معروفة سيأتى بعضها وقد كان يبهت ويفرق
لرؤيته من لم يره كما روى عن قيلة انها لما راته ارعدت من الفرق فقال
يا مسكينة عليك السكينة وفى حديث ابى مسعود ان رجلا قام بين يديه
فارعد فقال هوّن عليك فانى لست بملك الحديث واما عظيم قدره
بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة
فى الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو فى الاخرة سيد ولد ادم وعلى معنى هذا
الفصل نظمنا هذا القسم باسره فصل واما الضرب الثالث فهو ما يختلف
الحالات فى التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال
فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجته و
تمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة فى نفسه فمتى كان المال بهذه
الصورة وصاحبه منفقا له فى مهماته ومهمات من اعتراه واملّه وتصريفه
فى مواضعه مشتريا به المعالى والثناء الحسن والمنزلة فى القلوب كان
فضيلة فى صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه فى وجوه البر وانفقه فى
سبيل الخير قصد بذلك الله والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال
ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه
عاد كثيره كالعدم وكان منقصة فى صاحبه ولا يقف فيه على جدد السلامة
بل اوقعه فى هوّة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال
وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه
فى متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملىّ
بالحقيقة ولا غنىّ بالمعنى ولا متمدح عند احد من العقلاء بل هو فقير
ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها
لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس فى يده
منه شىء والمنفق ملىّ غنىّ بتحصيله فوائد المال وان لم يبق فى يده
من المال شىء فانظر سيرة نبيّنا ع م وخلقه فى المال تجده قد اوتى
خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلّت له الغنائم ولم تحل لنبى قبله و
فتح له فى حياته صلعم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى
ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها
ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر
بشىء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره و
قوّى به المسلمين وقال ما يسرّنى ان لى احدا ذهبا يبيت عندى منه

دينار الا دينارا ارصده لدينى واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية
ندفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الان استرحت
ومات صلعم ودرعه مرهونة فى نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه
ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان صلى الله
عليه وسلم يلبس ما وجده فلبس فى الغالب الشملة والكساء الخشن
والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب
ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة فى الملابس والتزين بها ليست من خصائل
الشرف والجلالة وهى من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط
فى جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمرقة جنسه مما لا يؤدى الى الشهرة
فى الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه فى العادة عند الناس
انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهى بجودة
المسكن وسعة المنزل وتكثير الاته وخدمه ومركوباته ومن ملك
الارض وجبى اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز
للفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائد
عليها فى الفخر ومعرق فى المدح باضرابه عنها وزهده فى فانيها وبذلها
فى مظانها فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والاداب
الشريفة التى اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف
بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها و
وعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة
وهى المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال فى قوى النفس واوصافها و
التوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا
صلى الله عليه وسلم على الانتهاء فى كمالها والاعتدال الى غايتها حتى
اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عايشة
رض كان خلقه القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه يعنى التأدب
باداب والتخلق بمحاسنه والالتزام لاوامره وزاجره وقال عليه السلام
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال انس رض كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم احسن الناس خلقا وعن على ابن ابى طالب رض مثله وكان فيما
ذكره المحققون مجبولا عليها فى اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له
باكتساب ولا رياضة الا بجود الهى وخصوصية ربانية وهكذا
لسائر الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم صلوات الله على
جميعهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان
وغيرهم صلوات الله على جميعهم بل غرزت فيهم هذه الاخلاق فى الجبلة
واودعوا العلم والحكمة فى الفطرة قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا

قال

قال المفسرون اعطى يحيى عليه السلام العلم بكتاب الله فى حال صباه و
قال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب
خلقت وقيل فى قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى و
هو ابن ثلث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو
فى بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم انى اجد ما فى بطنى يسجد لما فى
بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لامه عند ولادتها
اياه بقوله لها الا تحزنى على قراءة من قرا من تحتها وعلى قول من قال
ان المنادى عيسى ونص على كلامه فى مهده فقال انى عبد الله اتانى
الكتاب وجعلنى نبيا وقال تعالى ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما و
علما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبى يلعب فى قصة المرجومة وفى
قصة الصبى ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبرى ان عمره كان اوتى
الملك اثنى عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته
وهو طفل وقال المفسرون فى قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من
قبل اى هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه
قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم بعث الله اليه ملكا يامره
عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل
فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم فى النار ومحنته كانت وهو ابن ست
عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان
استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا
وقيل اوحى الله الى يوسف وهو صبى عندما هم اخوته بالقائه فى الجب
بقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك من
اخبارهم وقد حكى اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا
صلعم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا رأسه الى السماء وقال
فى حديثه صلعم لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ولم اهم
بشئ مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمنى الله منهما ثم لم اعد اليهما
ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف
فى قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة
فى تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة
قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غير
هم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه
اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان
على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد
بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة

يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحاليت يتفاوت
الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق
جبلة او مكتسبة فحكى الطبرى عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة و
غريزة فى العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو و
الصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل
الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رض
فى حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق
المحمودة والخصال الشريفة الجميلة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى
جميعها ونحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها ان شا الله تعالى **فصل**
اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذى منه ينبعث
العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأى وجودة الفطنة والاصابة
وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن
السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى
مكانه منه وبلوغه منه ومن العلم الغاية التى لم يبلغها بشر سواه واذ
جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحققة عند من تتبع مجارى احواله
واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدايع سيره وحكم
حديثه وعلمه بما فى التورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء و
سير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرايع
وتأصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التى اتخذ اهلها
كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب
والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه فى معجزاته ان شاء الله تعالى
دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم
بل نبى امى لم يعرف بشئ من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه
واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع
على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها
ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه
صلى الله تعالى عليه وسلم الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما
يكون وما كان وعجايب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول فى تقدير
فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهى اليه
فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره و
بين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات
والاحتمال حبس النفس عند الالام والموذيات ومثلها الصبر ومعانيها

متقاربة واما العفو فهو ترك المواخذة وهذا كله مما ادب الله به نبيه محمد
عليه السلام فقال خذ العفو وأمر بالعرف الاية **روى** ان النبى صلى الله
عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها
فقال له حتى اسأل العالم ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان
تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على
ما اصابك وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال وليعفوا
وليصفحوا وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفاء
بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت
عنه هفوة وهو عليه السلام لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى
اسراف الجاهل الا حلما **حدثنا** القاضى ابو عبد الله محمد بن على التغلبى
وغيره قالوا اخبرنا محمد بن عتاب **حدثنا** ابو بكر بن واقد القاضى
وغيره **حدثنا** ابو عيسى **حدثنا** عبيد الله **حدثنا** يحيى بن يحيى **حدثنا**
مالك بن انس عن ابن شهاب عن عروة عن عايشة قالت ما خير
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى امرين قط الا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما فان كان اثما ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى
الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها
وروى ان النبى عليه السلام لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم
احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت الله عليهم فقال
انى لم ابعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومى فانهم
لا يعلمون **وروى** عن عمر رضى الله عنه انه قال فى بعض كلامه بابى
انت وامى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض
الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك و
ادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر
لقومى فانهم لا يعلمون   قال القاضى ابو الفضل انظر ما فى هذا القول من
جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية
الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفى ثم
اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر او اهد ثم اظهر
سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم
لا يعلمون **ولما قال له** الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه
الله لم يزده فى جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما
قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل
ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك
به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس

قائلون فى غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو قائم
والسيف صلتا فى يده فقال من يمنعك منى فقال الله فسقط السيف من يده
فاخذه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال كن خير اخذ
فتركه وعفى عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم
خبره فى العفو عفوه عن اليهودية التى سمته فى الشاة بعد اعترافها على
الصحيح من الرواية وانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم
اذ سحره وقد اعلم به واوحى اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته
وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن ابى واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل
عنهم فى جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان
محمدا يقتل اصحابه وعن انس رض كنت مع النبى عليه السلام وعليه برد
غليظ الحاشية فجذبه اعرابى بردائه جذبة شديدة حتى اثرت حاشية
البرد فى صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لى على بعيرى هذين من مال الله
الذى عندك فانك لا تحملنى من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبى
صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك
يا اعرابى ما فعلت بى قال لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة
فضحك النبى عليه السلام ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الاخر تمر
قالت عايشة رض ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من
مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده
شيئا قط الا ان يجاهد فى سبيل الله تعالى وما ضرب خادما ولا امرأة
قط وجئ اليه برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له رسول الله عليه
السلام لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط على وجاءه زيد بن
سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ
بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بنى عبد المطلب مطل فانتهره عمر
وشدد له فى القول والنبى صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله
انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تأمرنى بحسن القضاء وتأمره
بحسن التقاضى ثم قال لقد بقى من اجله ثلاث وامر عمر رض يقضيه
ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك
انه كان يقول ما بقى من علامات النبوة شئ الا وقد عرفتها فى محمد
صلى الله عليه وسلم الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة
الجهل الا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف والحديث عن حلمه صلى
الله عليه وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان نأتى عليه و
حسبك ما ذكرناه مما فى الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا
مبلغ اليقين من صبره على مقاسات قريش واذى الجاهلية ومصابرته

الشدايد

الشدايد الصعبة معهم الى ان اظفره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم وهم
لا يشكون فى استيصال شأفتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح
وقال ما تقولون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال
اقول كما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم الاية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال
انس رض هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلوة الصبح ليقتلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم الاية وقال لابى
سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل
بهم فعفى عنه ولاطفه فى القول ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان
لا اله الا الله فقال بابى انت وامى ما احلمك واوصلك واكرمك وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا عليه
السلام فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة
وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس
فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة
التجافى عن ما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة
والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو
ضد التقتير فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى فى هذه الاخلاق
الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضى الشهيد ابو
على الصدفى رح حدثنا القاضى ابو الوليد الباجى حدثنا ابو ذر الهروى
حدثنا ابو الهيثم الكشميهنى وابو محمد السرخسى وابو اسحق البلخى قالوا
حدثنا ابو عبد الله الفربرى حدثنا البخارى حدثنا محمد بن كثير حدثنا
سفيان عن ابن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله رض يقول ما سئل
النبى صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا وعن انس وسهل بن سعد
مثله وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس
بالخير واجود ما كان فى شهر رمضان وكان اذا لقيه جبرئل عليه
السلام اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس رضى الله عنه
ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا
فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة
من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت خلقه
صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك
تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة
الاف واعطى العباس رض من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه
تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد

سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شئ ولكن ابتع
علي فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه
فكره النبي عليه السلام ذلك فقال له رجل من الانصار يا رسول
الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي
وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من
رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء واعطاني ملء كفه حليا
وذهبا وقال انس رض كان النبي عليه السلام لا يدخر شيئا لغد
والخبر بجوده صلى الله عليه وسلم وكرمه كثير وعن ابي هريرة رض
اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستلف له رسول الله
صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا
وقال نصفه قضاء ونصفه نائل فصل واما الشجاعة والنجدة
فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس
عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف
الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح و
مقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة و
حفظت عنه جولة سواه صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو علي الجياني
فيما كتب لي قال حدثنا القاضي سراج حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا
ابو زيد الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا
ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابي اسحق سمع البراء وسأله
رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
لكن رسول الله عليه السلام لم يفر ثم قال له لقد رأيته على بغلته
الشهباء وابو سفيان اخذ بلجامها والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رئي
يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبي عليه السلام عن
بغلته وذكر مسلم عن العباس رض فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون
مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار
وانا اخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركابه
ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله عليه السلام اذا
غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شئ وقال ابن عمر ما رأيت اشجع
ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال علي رضي الله تعالى عنه انا كنا اذا حمي الباس ويروى اذا اشتد

الباس

الباس واحمرت الحدق اتقيناه برسول الله عليه السلام فما يكون احد اقرب
الى العدو منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقيل كان
الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنى العدو لقربه
منه وعن انس رضي الله عنه كان النبي عليه السلام احسن الناس و
اجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلا فانطلق ناس
قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم
الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه
وهو يقول لن تراعوا لن تراعوا وقال عمران ابن حصين رضي الله تعالى
عنه ما لقي رسول الله عليه السلام كتيبة الا كان اول من يضرب
ولما راه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد
كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدي يوم بدر عندي فرس
اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم انا اقتلك ان شاء الله تعالى فلما راه يوم احد شد ابي على فرسه
على رسول الله عليه السلام فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي
عليه السلام هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن
الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير
اذا انتفض ثم استقبله النبي عليه السلام فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ
منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول
قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم
اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم
الى مكة فصل واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان
عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء
التغافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي عليه السلام اشد
الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله سبحانه وتعالى ان
ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الاية حدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه
الله بقرائتي عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي
حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل
حدثنا عبدان حدثنا عبد الله اخبرنا شعبة عن قتادة سمعت عبد
الله مولى انس رض عن ابي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه
في وجهه وكان عليه السلام لطيف البشرة رقيق الظاهرة لا يشافه
احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عايشة رضي الله عنها كان النبي

عليه السلام اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا و
كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمى
فاعله وروى انس انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان
لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها
قالت عايشة رضي الله عنها في الصحيح لم يكن النبي عليه السلام فاحشا
ولا متفحشا ولا صخابا بالاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويصفح وقد حكى مثل هذا الكلام عن التورية من رواية ابن سلام
وعبد الله بن عمرو بن العاص وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه
كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكنى عما اضطره
الكلام اليه مما يكره وعن عايشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم قط فصل واما حسن عشرته وادبه وبسط
خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار
الصحيحة قال علي رض عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم كان عليه السلام
اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم
عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقرأته
على غيره قال حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا
ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى
قال حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي قال سمعت يحيى بن ابي
كثير يقول حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس بن
سعد رضي الله عنه قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
قصة ثم قال في اخرها فلما اراد الانصراف قرب اليه سعد حمارا وطاء
عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس
اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قيس فقال لي رسول الله عليه السلام
اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية
اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان رسول الله
عليه السلام يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم
ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره و
لا خلقه ويتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه
ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون
هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول
قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق
سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين
الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح

يتغافل

يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت
لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك الاية وقال ادفع بالتي
هي احسن الاية فكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافي
عليها قال انس خدمت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين
فما قال لي اف قط وما قال لي لشيء صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن
عايشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله عليه السلام
ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله
رض ما حجبني رسول الله عليه السلام قط منذ اسلمت ولا رأني الا تبسم
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم
ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة
والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس رض
ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون
الرجل هو الذي ينحي رأسه وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها
الاخذ ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام
ويبدأ اصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق
بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة
التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابا ويكني اصحابه ويدعوهم
باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه
بنهي او قيام ويروى بانتهاء او قيام وروى انه صلى الله عليه وسلم
كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلوته وسأله عن حاجته
فاذا فرغ عاد الى صلوته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل
عليه قران او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحارث ما رأيت احدا اكثر
تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس كان خدم المدينة
يأتون رسول الله عليه السلام اذا صلى الغداة بانيتهم فيها الماء فما يؤتى
بانية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون
به التبرك فصل واما الشفقة والرحمة والرأفة بجميع الخلق فقد
قال تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم
وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه
السلام ان الله تعالى اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف
رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد
الله بن محمد الخشني بقرأتي عليه حدثنا امام الحرمين حدثنا ابو علي
الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا
ابراهيم بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا ابو الطاهر انبأنا

ابو وهب ابنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله عليه وسلم صفوان بن امية
مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال بن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب
ان صفوان قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي
فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروى ان اعرابيا جاءه يطلب
منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت
فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله
وارسل اليه وزاده شيئا ثم قال هل احسنت اليك قال نعم فجزاك الله
من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي عليه السلام انك قلت ما قلت
وفي نفس اصحابي من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم مثل ما قلت
بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي
جاء فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم
انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى
الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها
الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي
فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض
فردها حتى جاءت واستناخت وشد رحلها عليها واستوى عليها واني
لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروى انه
عليه السلام قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب
ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته عليه السلام تخفيفه
عنهم وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله عليه
السلام لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلوة
الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يتعب امته و
رغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان صلى الله عليه
وسلم يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلوته ومن شفقته عليه السلام ان
دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة
ورحمة وصلوة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه
قومه اتاه جبرئيل عليه السلام فقال له ان الله قد سمع قول قومك
لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك
الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين
فقال النبي عليه السلام بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد
الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر ان جبرئيل عليه
السلام قال للنبي عليه السلام ان الله تعالى امر السماء والارض

والجبال


جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شئون المكتبات

والجبال ان تطيعك فقال اؤخر عن امتي فلعل الله ان يتوب عليهم وعن
عايشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله عليه السلام بين امرين
الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود رض كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا وعن عايشة رضي الله عنها
انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله عليك
بالرفق فصل واما خلقه عليه السلام في الوفاء وحسن العهد وصلة
الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراتي عليه قال حدثنا
ابو بكر محمد بن محمد حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس
ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان ثنا
ابراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن
ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم
ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت
ثم ذكرت بعد ثلث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت
علي انا ههنا منذ ثلث انتظرك وعن انس رض كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا اتى بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة
لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن عايشة رضي الله عنها قالت ما غرت
على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة
فيهديها الى خلائلها واستاذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت
عليه امرأة فهش لها واحسن السوال عنها فلما خرجت قال انها كانت
تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال
كان يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم وقال
صلى الله عليه وسلم ان ال ابي فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما
سابلها ببلالها وقد كان عليه السلام صلى بامامة ابنة ابنته زينب
يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة
رض وفد وفد للنجاشي فقام النبي عليه السلام يخدمهم فقال له اصحابه
نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم ولما جيء
باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه
وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى
قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت النبي صلى الله
عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه
فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمرو بن السائب
رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من
الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق



ثوبه من الجانب الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة
ابى لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سألهم من بقى من قرابتها
فقيل له لا احد وفى حديث خديجة رضى الله عنها انها قالت له صلى الله
عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل
الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق صلى الله
عليه وسلم **فصل** واما تواضعه عليه السلام على علو منصبه ورفعة
رتبته فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير
بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له
اسرافيل عليه السلام عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت
له انك سيد ولد ادم يوم القيمة واول من تنشق عنه الارض واول
شافع **حدثنا** ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقرائتى عليه فى
منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة قال **حدثنا** ابو على الحافظ **حدثنا**
ابو عمر **حدثنا** ابن عبد المؤمن **ثنا** ابن داسة **ثنا** ابو داود **ثنا** ابو بكر
ابن ابى شيبة **ثنا** عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابى امامة قال خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصى فقمنا له فقال
لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا انما انا عبد اكل كما يأكل
العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود
المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه
مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفى حديث عمر رض عنه عليه
السلام لا تطرونى كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله وعن انس رض ان امرأة كانت فى عقلها شئ جائته
فقالت ان لى اليك حاجة قال اجلسى يا ام فلان فى اى طرق المدينة
شئت اجلس اليك حتى حاجتك قال فجلست فجلس النبى صلى الله عليه
وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بنى قريظة
على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير
والاهالة السنخة فيجيب قال وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل
رث وعليه قطيفة ما تساوى اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا
لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى فى حجه
ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين
طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن
تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلونى على اخى يونس بن متى

ولا تفضلونى

ولا تفضلونى بين الانبياء ولا تخيرونى على موسى ونحن احق بالشك من
ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف فى السجن لاجبت الداعى وقال للذى قال له
يا خير البرية ذاك ابراهيم وسيأتى الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان
شاء الله تعالى وعن عائشة والحسن وابى سعيد وغيرهم فى صفته صلى الله
عليه وسلم وبعضهم يزيد على بعض كان فى بيته فى مهنة اهله يفلى ثوبه و
يحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه
ويقم البيت ويعقل البعير ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته
من السوق وعن انس رض ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتأخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضى حاجتها
ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فانى
لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وعن ابى هريرة قال
دخلت السوق مع النبى صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال
للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبى عليه السلام
يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا
رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشئ احق
بشيئه ان يحمله **فصل** واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته و
صدق لهجته فكان عليه السلام امن الناس واعدل الناس واعف
الناس واصدقهم لهجة منذ كان ثم اعترف له بذلك محادوه وعداه
وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع
الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين
على انه محمد عليه السلام ولما اختلفت قريش وتحاذبت عند بناء الكعبة
فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبى عليه السلام داخل
وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع
ابن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية
قبل الاسلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى والله لامين
فى السماء وامين فى الارض **حدثنا** ابو على الصدفى الحافظ بقرائتى عليه
ثنا ابو الفضل بن خيرون **ثنا** ابو يعلى بن زوج الحرة **ثنا** ابو على السنجى
ثنا محمد بن محبوب المروزى **ثنا** ابو عيسى الحافظ **ثنا** ابو كريب **ثنا**
معاوية بن هشام عن سفيان عن ابى اسحق عن ناجية بن كعب عن على
رض ان ابا جهل قال للنبى عليه السلام انا لا نكذبك ولكن نكذب
بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية **وروى** غيره
لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقى ابا
جهل يوم بدر فقال له ابا الحكم ليس هنا غيرى وغيرك يسمع كلامنا تخبرنى

عن محمد صلى الله عليه وسلم صادق هو ام كاذب فقال ابو جهل والله ان
محمدًا لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم
تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث
لقريش قد كان محمد فيكم غلامًا حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم
امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر
لا والله ما هو بساحر قط وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما لمست
يده يد امرأة قط لا يملك رقها وفي حديث علي رض في وصفه صلى الله
عليه وسلم اصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم
اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل وقالت عايشة رض ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان
اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال
يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو
ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ولكن نبينا
عليه السلام جزأ نهاره ثلثة اجزاء جزأ لله تعالى وجزء لاهله وجزأ
لنفسه ثم جزء جزؤه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة
على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ
حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله تعالى يوم الفزع الاكبر
وعن الحسن رض كان رسول الله لا يأخذ احدًا بقرف احد ولا يصدق
احدًا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رض عنه صلى الله عليه
وسلم ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين
كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء
حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت
لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما تسمر الشباب فخرجت لذلك حتى
جئت اول دار من مكة فسمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس
بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس
الشمس فرجعت ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم
اهم بعد ذلك بسوء **فصل** واما وقاره وصمته وتؤدته و
مروته وحسن هديه صلى الله تعالى عليه وسلم **حدثنا** ابو علي الجياني
الحافظ اجازةً وعارضت بكتابه قال **ثنا** ابو العباس الدلائي
ثنا ابو ذر الهروي **ثنا** ابو عبد الله الوراق **ثنا** اللؤلؤي **ثنا** ابو
داود **ثنا** عبد الرحمن ابن سلام **ثنا** حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن
ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب سمعت خارجة بن زيد

يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج
شيئا من اطرافه **وروى** ابو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبا بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه
عليه السلام محتبيًا وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما جلس القرفصاء
وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عن
من تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير
وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم
وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم
اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وفي صفته يخطو تكفوا ويمشي
هونا كانما ينحط من صبب وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعًا يعرف
في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله
بن مسعود ان احسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن
عبد الله كان في كلام رسول الله ترتيل وترسيل قال ابن ابي هالة كان
سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عايشة رض
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه
وكان عليه السلام يحب الطيب والرايحة الحسنة ويستعملها كثيرًا و
يحض عليهما ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة
عيني في الصلوة ومن مروته عليه السلام نهيه عن النفخ في الطعام و
الشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب
واستعمال خصال الفطرة **فصل** واما زهده في الدنيا فقد تقدم من
الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن
زهرتها وقد سيقت اليه عليه السلام بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها
ان توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة
عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق ال محمد قوتًا **حدثنا** سفيان
ابن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا
حدثنا احمد بن عمر قال **ثنا** ابو العباس الرازي قال **ثنا** ابو احمد الجلودي
ثنا ابن سفيان **ثنا** ابو الحسين مسلم بن الحجاج **ثنا** ابو بكر بن ابي شيبة
ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عايشة رض
قالت ما شبع رسول الله عليه السلام من خبز ثلثة ايام تباعا حتى
مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء
لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع ال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله وقالت عايشة رض ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارًا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرًا

وفى حديث عمرو بن الحارث ما ترك رسول الله عليه السلام الا سلاحه
وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت عايشة رض ولقد مات وما فى
بيتى شئ يأكله ذو كبد الا شطر شعير فى رف لى وقال لى انى عرض
على ان تجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب اجوع يوما واشبع
يوما فاما اليوم الذى اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما
اليوم الذى اشبع فيه فاحمدك واثنى عليك وفى حديث اخر ان جبريل
عليه السلام نزل عليه صلى الله عليه وسلم فقال له ان الله يقرئك
السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا ويكون معك
اينما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له
ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله
يا محمد بالقول الثابت وعن عايشة رض قالت ان كنا ال محمد لنمكث شهرا
ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف رض
هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من
خبز الشعير وعن عايشة رض وابى امامة وابن عباس نحوه قال ابن
عباس رض كان رسول الله عليه السلام يبيت هو واهله الليالى
المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن انس رض قال ما اكل رسول
الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة ولا خبز له مرقق
ولا رأى شاة سميطا قط وعن عايشة رض انما كان فراشه الذى ينام
عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى بيتى مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع
فلما اصبح قال لى ما فرشتمونى الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله
فان وطائته منعتنى الليلة صلاتى وكان ينام احيانا على سرير مرمول
بشريط حتى يؤثر فى جنبه وعن عايشة رض قالت لم يمتلى جوف النبى
صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة
احب اليه من الغنى وان كان ليظل جايعا يلتوى طول ليلته من الجوع
فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء لسأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها
ورغد عيشها ولقد كنت ابكى له رحمة مما ارى به وامسح بيدى على بطنه
مما به من الجوع واقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك
فيقول يا عايشة ما لى وما للدنيا اخوانى من اولى العزم من الرسل
صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم
مآبهم واجزل ثوابهم فاجدنى استحيى ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى
غدا دونهم وما من شئ هو احب الى من اللحوق باخوانى واخلائى قالت
فما اقام بعد الا شهرا حتى توفى صلى الله عليه وسلم **فصل** واما خوفه ربه

وطاعته

وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما **حدثنا** ابو
محمد بن عتاب قرأة منى عليه قال **حدثنا** ابو القاسم الطرابلسى **ثنا** ابو الحسن
القابسى **حدثنا** ابو زيد المروزى **ثنا** ابو عبد الله الفربرى **ثنا** محمد بن
اسمعيل **ثنا** يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن
المسيب ان ابا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد فى روايتنا عن ابى عيسى
الترمذى رفعه الى ابى ذر انى ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت
السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته
ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم
بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله لوددت
انى شجرة تعضد روى هذا الكلام وددت انى شجرة تعضد من قول ابى
ذر نفسه وهو اصح وفى حديث المغيرة قام صلى الله عليه وسلم حتى
انتفخت قدماه وفى رواية انه كان يصلى حتى ترم قدماه فقيل له
اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال عليه السلام
افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابى سلمة وابى هريرة رض وقالت
عايشة كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق
ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول
لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس وقالت كنت لا تشاء
ان تراه من الليل مصليا الا رأيته مصليا ولا نائما الا رأيته نائما وقال
عوف ابن مالك رض كنت مع رسول الله عليه السلام ليلة فاستاك
ثم توضاء ثم قام يصلى فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة
الا وقف فسأل ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر
قيامه ويقول سبحان ذى الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال
مثل ذلك ثم قرأ ال عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك **وروى** عن
حذيفة رض مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا
منه وقال حتى قرأ البقرة وال عمران والنساء والمائدة وعن عايشة رض
قالت قام رسول الله عليه السلام باية من القران ليلة وعن عبد الله
ابن الشخير رض اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه
ازيز كازيز المرجل قال ابن ابى هالة كان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال عليه السلام
انى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة **وروى** سبعين مرة وعن على رض
قال سألت رسول الله عليه السلام عن سنته فقال المعرفة رأس مالى
والعقل اصل دينى والحب اساسى والشوق مركبى وذكر الله انيسى والثقة

كنزى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر ردائى والرضا غنيمتى والعجز
فخرى والزهد حرفتى واليقين قوتى والصدق شفيعى والطاعة حسبى والجهاد
خلقى وقرة عينى فى الصلوة وفى حديث اخر وثمرة فؤادى فى ذكره وغمى لاجل
امتى وشوقى الى ربه **فصل اعلم** وفقنا الله واياك ان صفات جميع
الانبياء والرسل من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن
الخلق وجميع المحاسن هى هذه الصفة لانها من صفات الكمال والكمال
والتمام البشرى والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم اشرف
الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض وقال
الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال عز وجل ولقد
اخترناهم على علم على العالمين وقد قال عليه السلام ان اول زمرة يدخلون
الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال فى آخر الحديث على خلق رجل واحد
على صورة ابيهم ادم عليه السلام طوله ستون ذراعا فى السماء وفى حديث
ابى هريرة رض رأيت موسى عليه السلام فاذا رجل ضرب رجل افنى كانه
من رجال شنوءة ورأيت عيسى عليه السلام فاذا هو رجل ربعة كثير
خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس وفى حديث اخر مبطن مثل السيف
قال وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال فى حديث اخر فى صفت موسى عليه
السلام كاحسن ما انت رائى من ادم الرجال وفى حديث ابى هريرة رضى الله
عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا فى
ذروة من قومه **ويروى** فى ثروة اى كثرة ومنعة وحكى الترمذى عن
قتادة ورواه الدارقطنى من حديث قتادة عن انس رض ما بعث الله
نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها و
احسنهم صوتا وفى حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت انه
فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث فى انساب قومها وقال الله تعالى فى
ايوب عليه السلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا
يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال تعالى ان الله
يبشرك بيحيى الى قوله الصالحين وقال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا
وال ابراهيم وال عمران على العالمين الايتين وقال تعالى فى نوح انه كان
عبدا شكورا وقال تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى قوله
الصالحين وقال تعالى انى عبد الله اتانى الكتاب الى ما دمت حيا وقال
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا
الاية وقال النبى عليه السلام كان موسى عليه السلام رجلا حييا ستيرا
ما يرى من جسده شىء استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لى ربى
حكما وجعلنى من المرسلين وقال فى وصف جماعة منهم انى لكم رسول

امين

امين وقال ان خير من استأجرت القوى الامين وقال تعالى فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا
الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى
والاجتباء والحكم والنبوة وقال تعالى فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال
تعالى ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين وقال
تعالى ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقال فى اسمعيل انه كان صادق
الوعد الايتين وقال فى موسى انه كان مخلصا وفى سليمان نعم العبد انه
اواب وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولى الايدى
والابصار الى الاخيار وفى داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه و
اتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال عن يوسف اجعلنى على خزائن الارض
انى حفيظ عليم وفى موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا وقال عن شعيب
ستجدنى ان شاء الله من الصالحين وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما
وقال انهم كانوا يسارعون فى الخيرات الاية قال سفيان هو الحزن الدائم
فى اى كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء
من ذلك فى الاحاديث كثير كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما الكريم بن
الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبى
ابن نبى ابن نبى ابن نبى وفى حديث انس رض وكذلك الانبياء تنام
اعينهم ولا تنام قلوبهم **وروى** ان سليمان عليه السلام كان مع
اعطى من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان
يطعم الناس لذائذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحى الله اليه يا رأس
العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح
فى جنوده فيأمر الريح فتقف فينظر فى حاجتها ويمضى وقيل ليوسف
عليه السلام مالك تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع
فانسى الجائع **وروى** ابو هريرة رضى الله عنه عنه عليه السلام
خفف على داود عليه السلام القران فكان يأمر بدابته فتسرج فيقرأ
القران قبل ان تسرج ولا يأكل الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له
الحديد ان اعمل سابغات وقدر فى السرد وكان سأل ربه ان يرزقه
عملا بيده يغنيه عن بيت المال وقال عليه السلام احب الصلوة
الى الله تعالى صلوة داود واحب الصيام الى الله تعالى صيام داود
وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما
ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير
بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة

ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل عليه السلام باكيا
حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت
الدموع فى خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع
الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا فقال
انا اكرم على الله من ان يشغلنى بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم
يكن له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامى اليه ان يقال له
مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة
البقل فى بطنه من الهزال وقد قال عليه السلام لقد كان الانبياء قبلى
يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال
عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له فى ذلك فقال
اكره ان اعود لسانى المنطق بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب
وكان يبكى من خشية الله تعالى حتى اتخذت الدمع فى خده مجرى وكان
يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبرى عن وهب ان موسى
عليه السلام كان يستظل بعريش ويأكل فى نقرة من حجر ويكرع فيها
اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه الله تعالى به
من كلامه واخبارهم فى هذا كله مسطورة وصفاتهم فى الكمال وجميل
الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها
ولا تلتفت الى ما تجده فى كتب بعض جهلة المورخين والمفسرين مما يخالف
هذا **فصل** قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل
المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم
وجلبنا من الاثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب فى حقه
عليه السلام ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه زاخر
لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره فى الصحيح والمشهور
من المصنفات واقتصرنا فى ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا ان
نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابى هالة لجمعه من شمائله
واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله بتنبيه
لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضى ابو على الحسين بن محمد
الحافظ رحمه الله بقراءتى عليه سنة ثمان وخمس مائة قال حدثنا الامام
ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمى قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب
ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسين النسابورى والشيخ الفقيه ابو
عبد الله محمد بن احمد بن الحسين المحمدى والقاضى ابو على الحسن بن
على بن جعفر الوخشى قالوا حدثنا ابو القاسم على بن احمد بن محمد بن
الحسن الخزاعى قال حدثنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى قال حدثنا

ابوعيسى

ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا سفيان بن وكيع
حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلى املاء من كتابه قال حدثنى رجل
من بنى تميم من ولد ابى هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضى الله عنها
يكنى ابا عبد الله عن ابن لابى هالة عن الحسن بن على بن ابى طالب رض
قال سألت خالى هند بن ابى هالة قال القاضى ابو على رحمه الله وقرأت
على الشيخ ابى طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خداداد الكرجى الباقلانى
قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا
حدثنا ابو على الحسن ابن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان
ابن خرب بن مهران الفارسى قراءة عليه فاقر به قال اخبرنا ابو محمد
الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين
ابن على بن الحسين بن على بن ابى طالب المعروف بابن اخى طاهر العلوى
قال اخبرنا اسمعيل بن اسحق بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن
محمد بن على بن ابى طالب قال حدثنى على بن جعفر بن محمد بن على بن
الحسين عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن
على عن على بن الحسين قال قال الحسن بن على رض واللفظ لهذا السند
سألت خالى هند بن ابى هالة عن حلية رسول الله عليه السلام وكان
وصافا وانا ارجو ان يصف لى منها شيئا تعلق به قال كان رسول الله
عليه السلام فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول
من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت
عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنه اذا هو وفره ازهر
اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق
يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم
كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق
المسربة كان عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا
متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم
الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى
كالخط عارى الثديين ما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالى
الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل
الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما
الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشى هونا ذريع المشية اذا
مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف
نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق
اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قلت صف لى منطقه قال كان رسول

الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم
فى غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع
الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافى ولا المهين يعظم
النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه
اذا تعرض للحق بشئ حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا
اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب
بابهامه اليمنى راحته اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح
غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن
فكتمتها عن الحسين بن على زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقنى اليه
فسأل اباه عن مدخل رسول الله عليه السلام ومخرجه ومجلسه وشكله
فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت ابى عن دخول رسول الله عليه السلام
فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له فى ذلك فكان اذا اوى الى منزله جزء
دخوله ثلثة اجزاء جزءا لله تعالى وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزء
جزؤه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم
شيئا وكان من سيرته فى جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمته
على قدر فضلهم فى الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم
ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من مسئلته عنهم
واخبارهم بالذى ينبغى لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وابلغونى
حاجت من لا يستطيع ابلاغى حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من
لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك
ولا يقبل من احد غيره وقال فى حديث سفيان بن وكيع يدخلون روادا
ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعنى فقهاء قلت فاخبرنى
عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم يكرم كريم كل قوم و
يوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوى عن احد
بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسئل الناس عما فى الناس ويحسن الحسن
ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة
ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى
غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة و
اعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة ثم قال فسألته عن
مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس
ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى
الى القوم جلس حيث ينتهى به المجلس ويامر بذلك ويعطى كل جلسائه

نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده الا
بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا و
صاروا عنده فى الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفى الرواية الاخرى
وصاروا عنده فى الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع
فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير
الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير و
يرحمون فيه الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته
عن سيرته صلى الله عليه وسلم فى جلسائه فقال كان رسول الله عليه
السلام دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا
سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤيس
منه قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس
من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا
فيما يرجوا ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير واذا
سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى
يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون
منه ويصبر للغريب على الجفوة فى المنطق ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة
يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه
حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع و
زاد الاخر قلت كيف كان سكوته عليه السلام قال كان سكوته على اربع
على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففى تسويته النظر والاستماع
بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم
فى الصبر فكان لا يغضبه شئ يستفزه وجمع له فى الحذر اربع اخذه
بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأى بما اصلح
امته والقيام لهم بما جمع لهم من امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد
الله وعونه **فصل** فى تفسير غريب هذا الحديث ومشكله **قوله** المشذب
اى البائن الطول فى نحافة وهو مثل قوله فى الحديث الاخر ليس بالطويل
الممغط والشعر الرجل الذى كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد
والعقيقة شعر الرأس اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها
معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه
زهرة الحيوة الدنيا اى زينتها وهذا كما قال فى الحديث الاخر ليس بالابيض
الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون
ومثله فى الحديث الاخر ابيض مشرب اى فيه حمرة والحاجب الازج

المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه
والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج
ووقع فى حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة
وفى الحديث الاخر اشكل العين واسجر العين وهو الذى فى بياضها حمرة
والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها و
تحزيز فيها كما يوجد فى اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق
المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك
معتدل الخلق يمسك بعضه بعضاً مثل قوله فى الحديث الاخر لم يكن
بالمطهم ولا بالمكلثم اى ليس بمسترخى اللحم والمكلثم القصير الذقن
وسواء البطن والصدر اى مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه
اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معانى اشاح اى انه كان بادى
الصدر ولم يكن فى صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله
قبل سواء البطن والصدر اى ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض
البطن ولعل اللفظة مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع
فى الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام و
هو مثل قوله فى الحديث الاخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس
المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان
عظما الذراعين وسائل الاطراف اى طويل الاصابع وذكر ابن الانبارى
انه روى سائل الاطراف او قال سائن بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام
من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف
فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث ورحب
الراحة اى واسعها وقيل كنى به عن سعة العطاء والجود وخمصان
الاخمصين اى متجافى اخمص القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض
من وسط القدم ومسيح القدمين اى املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء
وفى حديث ابى هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها
ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمى
المسيح ابن مريم اى لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا
يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل
الى سنن المشى وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو
اى ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية
المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال
ينحط كانما من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اى لسعة
فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب

الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اى جعل من جزء نفسه
ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم
يبدلها فى جزء اخر بالعامة ويدخلون روادا اى محتاجين اليه و
طالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه و
يشبه ان يكون على ظاهره اى فى الغالب والاكثر والعتاد العدة و
الشىء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن
اى لا يتخذ لمصلاه موضعاً معلوماً وقد ورد نهيه عليه السلام عن
هذا مفسراً فى غير هذا الحديث وصابره اى حبس نفسه على ما يريد صاحبه
ولا تؤبن فيه الحرم اى لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته اى لا يتحدث
بها اى لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون
والصخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل
مقتصد فى ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على
يد سبقت من النبى صلى الله عليه وسلم له ويستفزه اى يستخفه وفى
حديث اخر فى وصفه صلى الله عليه وسلم منهوس العقب اى قليل
لحمها واهدب الاشفار اى طويل شعرها **الباب الثالث** فيما ورد من
صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه
به فى الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف انه اكرم
البشر وسيد ولد ادم وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة
واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة جداً وقد
اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معانى ما ورد منها فى اثنى
عشر فصلا **الفصل الاول** فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفا
ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد ادم وما خصه به عليه السلام
فى الدارين من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب صلى الله عليه وسلم
اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذناً بلفظه قال حدثنا
ابو الحسن الفرغانى حدثنا ام القاسم بنت ابى بكر بن يعقوب عن
ابيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى وهو ابن اسمعيل عن يحيى
الحمانى حدثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعى عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال قال رسول الله عليه السلام ان الله قسم الخلق قسمين
فجعلنى من خيرهم قسماً فذلك قوله عز وجل واصحاب اليمين واصحاب
الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين
اثلاثاً فجعلنى فى خيرها ثلثاً وذلك قوله واصحاب الميمنة واصحاب
المشئمة والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين
ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلنى من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلنا

كم شعوبا وقبائل لتعارفوا الاية فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على الله ولا
فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتاً فذلك قوله انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الايه وعن ابى سلمة عن ابى هريرة
قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وادم بين الروح
والجسد وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل
بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم
واصطفانى من بنى هاشم ومن حديث انس رض انا اكرم ولد ادم
على ربى ولا فخر وفى حديث ابن عباس رض انا اكرم الاولين والاخرين
ولا فخر وعن عايشة رضى الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم اتانى
جبرئيل عليه السلام فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار
رجلا افضل من محمد ولم ار بنى اب افضل بنى هاشم وعن انس رض
ان النبى عليه السلام اتى بالبراق ليلة اسرى به فاستصعب عليه
فقال له جبرئيل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه
فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه عليه السلام لما خلق الله ادم
اهبطنى فى صلبه الى الارض وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة و
قذف بى فى النار فى صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلنى من الاصلاب
الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجنى بين ابوى لم يلتقيا على
سفاح قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عمه
نظم من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق ثم
هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق بل نطفة تركب
السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق تنقل من صالب الى رحم اذا مضى
عالم بدا طبق حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها نطق
وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق فنحن فى ذلك
الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخرق وروى عنه صلى الله عليه
وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله
انه قال اعطيت خمساً وفى بعضها ستا لم يعطهن نبى قبلى نصرت
بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجداً وطهوراً فايما رجل من امتى
ادركته الصلاة فليصل واحلت لى الغنايم ولم تحل لنبى قبلى وبعثت الى
الناس كافة واعطيت الشفاعة وفى رواية بدل هذه الكلمة وقيل لى
سل تعطه وفى رواية اخرى وعرض على امتى فلم يخف على التابع من
المتبوع وفى رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود العرب لان
الغالب على الوانهم الادمة فهم السود والحمر العجم وقيل البيض والسود

من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفى الحديث الاخر عن ابى هريرة رض نصرت
بالرعب واوتيت جوامع الكلم وخواتمه وبينا انا نائم اذ جئ بمفاتيح خزائن
الارض فوضعت فى يدى وفى رواية عنه وختم بى النبيون وعن عقبة بن
عامر رض انه قال عليه السلام انى فرط لكم وانا شهيد عليكم والله لانظر الى
حوضى الان وانى قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض وانى والله ما اخاف
عليكم ان تشركوا بعدى ولكنى اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله
بن عمر رض ان رسول الله عليه السلام قال انا محمد النبى الامى لا نبى بعدى
اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن
عمر رضى الله عنه بعثت بين يدى الساعة ومن رواية ابن وهب انه عليه
السلام قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسئل يا رب اتخذت ابراهيم
خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحاً واعطيت سليمان ملكا لا ينبغى
لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر
وجعلت اسمك مع اسمى ينادى به فى جوف السماء وجعلت الارض طهوراً
لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فانت تمشى فى
الناس مغفوراً لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك
مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها لنبى غيرك وفى حديث
اخر رواه حذيفة بشرنى يعنى ربه اول من يدخل الجنة معى من امتى
سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطانى ان لا تجوع امتى
ولا تغلب واعطانى النصر والعزة والرعب يسعى بين يدى امتى شهراً وطيب لى
ولامتى الغنايم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا فى الدين من
حرج وعن ابى هريرة رض عنه عليه السلام ما من نبى من الانبياء الا وقد اعطى
من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذى اوتيت وحياً اوحى الله الى
فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزاته
ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر
لها ومعجزة القران يقف عليها قرنا بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه
كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا اخر
باب المعجزات وعن على رض كل نبى اعطى سبعة نجباء من امته واعطى نبيكم
صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيباً منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار
وقال عليه السلام ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله
والمؤمنين وانها لم تحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار وعن
العرباض بن سارية رضى الله عنه سمعت رسول الله عليه السلام يقول
انى عبد الله وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل فى طينته ودعوة ابى ابراهيم
وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال ان الله فضل

محمداً صلى الله عليه وسلم على اهل السمآء وعلى الانبيآء صلوات الله عليهم
قالوا فما فضله على اهل السمآء قال ان الله قال لاهل السمآء ومن يقل منهم
انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الآية وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحاً
مبيناً الآية قالوا فما فضله على الانبيآء قال ان الله قال وما ارسلنا من
رسول الا بلسان قومه الآية وقال لمحمد عليه السلام وما ارسلناك الا
كافة للناس وعن خالد بن معدان ان نفراً من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روى نحوه
عن ابى ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك رضى الله عنهم فقال نعم انا
دعوة ابى ابراهيم يعنى قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية وبشرى
عيسى ورأت امى حين حملت بى انه خرج منها نور اضاء له قصور بصرى
من ارض الشام واسترضعت فى بنى سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لى خلف
بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض وفى حديث اخر
ثلثة رجال بطست من ذهب مملوة ثلجاً فاخذانى فشقا بطنى قال فى غير
هذا الحديث من نحرى الى مراق بطنى ثم استخرجا منه قلبى فشقاه فاستخرجا
منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى انقياه
قال فى حديث آخر ثم تناول احدهما شيئاً فاذا بخاتم فى يده من نور يحار
الناظر دونه فختم به قلبى فامتلاء ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر
الاخر يده على مخرق صدرى فالتأم وفى رواية ان جبرئيل عليه السلام
قال قلب وكيع اى شديد فيه عينان تبصران واذنان تسمعان ثم قال
احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزننى بهم فرجحتهم ثم قال
زنه بمائة من امته فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته
فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته كلها لوزنها
قال فى الحديث الاخر ثم ضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى
ثم قالوا لى يا حبيب الله لم ترع انك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت
عيناك وفى بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك
وملائكته قال فى حديث ابى ذر رضى الله عنه فما هو الا ان وليا عنى
فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكى وابو الليث السمرقندى و
غيرهما ان ادم عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لى
خطيئتى ويروى تقبل توبتى فقال له الله من اين عرفت محمداً قال رأيت
فى كل موضع من الجنة مكتوباً لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى
محمد عبدى ورسولى فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه
وغفر له وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات
وفى رواية الاجرى فقال ادم لما خلقتنى رفعت رأسى الى عرشك

فاذا

فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم
قدراً عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى
انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان ادم يكنى
بابى محمد وقيل بابى البشر وروى عن سريج بن يونس انه قال ان لله
ملائكة سياحين عبادتهم على كل دار فيها احمد او محمد اكراما لمحمد صلى الله
عليه وسلم وروى ابن قانع القاضى عن ابى الحمراء رض قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما اسرى بى الى السمآء اذا على العرش مكتوب
لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلى وفى التفسير عن ابن عباس
رضى الله عنه فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب
فيه مكتوب عجباً لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجباً لمن ايقن بالنار كيف
يضحك عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله
الا انا محمد عبدى ورسولى وعن ابن عباس رض على باب الجنة مكتوب
انى انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه
وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقى مصلح وسيد امين وذكر السمنطارى
انه شاهد فى بعض بلاد خراسان مولوداً ولد على احد جنبيه مكتوب
لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد
الهند ورداً احمر مكتوباً عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى
عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من
اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه السلام وروى ابن القاسم
فى سماعه وابن وهب فى جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون
ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا ورزق جيرانه وعنه عليه
السلام ما ضر احدكم ان يكون فى بيته محمد ومحمدان وثلثة وعن
عبد الله بن مسعود رض ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها
قلب محمد عليه السلام فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش
ان النبى عليه السلام لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان
تنكحوا ازواجه من بعده ابداً الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان
ان الله فضلنى عليكم تفضيلا وفضل نسائى على نسائكم تفضيلا الحديث
فصل فى تفضيله بما تضمنته كرامة الاسرآء من المناجات والرؤية
وامامة الانبيآء عليهم السلام والعروج به عليه السلام الى سدرة
المنتهى وما رأى من ايات ربه الكبرى ومن خصايصه عليه السلام
قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه
الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذى اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الايات وقال والنجم اذا

هوى الى قوله لقد رأى من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين فى
صحة الاسراء به عليه السلام اذ هو نص القران وجاءت بتفصيله وشرح
عجايبه وخواص محمد نبينا عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة رأينا
ان نقدم اكلها ولنشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضى
الشهيد ابو على والفقيه ابو بحر بسماعى عليهما والقاضى ابو عبد الله التميمى
وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس العذرى حدثنا ابو العباس
الرازى حدثنا ابو احمد الجلودى حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج
حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البنانى عن
انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق
وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند
منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى يربط
بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبرئيل
باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبرئيل اخترت الفطرة ثم
عرج بنا الى السماء فاستفتح جبرئيل فقيل من انت قال جبرئيل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم عليه
السلام صلى الله فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية
فاستفتح جبرئيل فقيل من انت قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابنى الخالة عيسى بن مريم
ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما وسلم فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا
الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه السلام
واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء
الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه السلام فرحب بى ودعا لى بخير
قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر
مثله فاذا انا بهارون فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة
فذكر مثله فاذا انا بموسى عليه السلام فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج
بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم عليه السلام مسندا
ظهره الى البيت المعمور فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون
اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها
كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشى تغيرت فما احد من خلق الله
يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الى ما اوحى ففرض على خمسين
صلوة فى كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت
خمسين صلوة قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فان امتك لا يطيقون
ذلك فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت

يارب خفيف عن امتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عنى
خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسئله التخفيف قال
فلم ازل ارجع بين ربى تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات
فى كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم
يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها
لم تكتب له شيئا فان عملها كتبت له سيئة واحدة قال فنزلت حتى اتيت
الى موسى واخبرته فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت لقد رجعت الى ربى حتى استحييت منه قال القاضى
رحمه الله جود ثابت هذا الحديث عن انس رضى ما شاء ولم يات احد عنه
باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية
شريك بن ابى نمر فقد ذكر فى اوله مجئ الملك له وشق بطنه وغسله بماء
زمزم وهذا انما كان وهو صبى وقبل الوحى وقد قال شريك فى حديثه
وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف انها كانت بعد
الوحى وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل غير هذا وقد
روى ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجئ جبرئيل عليه
السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره
وشقه قلبه تلك القصة منفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فجود
فى القصتين وفى ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة
واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من هناك فازاح كل اشكال
اوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتى فنزل جبرئيل
ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلى حكمة
وايمانا فافرغها فى صدرى ثم اطبقه ثم اخذ بيدى وعرج بنا الى السماء وذكر
القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة و
فيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف فى ترتيب الانبياء فى السموات
وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت فى حديث الاسراء
زيادات نذكر منها نكتا مفيدة فى غرضنا منها فى حديث ابن شهاب
وفيه قول كل نبى له مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح الا ادم
وابراهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج
بى حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس ثم انطلق
بى حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادرى ما هى قال ثم ادخلت
الجنة وفى حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعنى موسى بكى فنودى
ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدى يدخل من امته الجنة اكثر

ثم يدخل من امتى وفى حديث ابى هريرة رض وقد رايتنى فى جماعة من الانبياء
فحانت الصلوة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه
فالتفت فبدانى بالسلام وفى حديث ابى هريرة رض ثم سار حتى اتى بيت
المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلوة
قالوا يا جبريئل من هذا معك قال محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد
ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة
ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم
ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبى صلى الله عليه
وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم
اثنى على ربه وانا اثنى على ربى الحمد لله الذى ارسلنى رحمة للعالمين
وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل على الفرقان فيه تبيان كل شىء وجعل
امتى خير امة وجعل امتى امة وسطا وجعل امتى هم الاولون وهم
الاخرون وشرح لى صدرى ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى
فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء
الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفى حديث ابن مسعود رض وانتهى
بى الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السابعة اليها ينتهى ما يعرج به من
الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ
يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفى رواية ابى هريرة رض من
طريق الربيع ابن انس فقيل لى هذه السدرة المنتهى ينتهى اليها كل احد من
امتك خلا على سبيلك وهى السدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير
آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من
عسل مصفى وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما وان الورقة منها
مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله تعالى اذ يغشى
السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابراهيم
خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا
عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما
وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغى
لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه
والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل
فقال له ربه تعالى قد اتخذتك خليلا وحبيبا فهو مكتوب فى التورية
محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم
الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى
يشهدوا انك عبدى ورسولى وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم

بعثا واعطيتك سبعا من المثانى ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتم سورة
البقرة من كنز تحت عرشى لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفى
الرواية الاخرى قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا اعطى
الصلوات الخمس واعطى خواتم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله شيئا
من امته المقحمات وقال تعالى ما كذب الفؤاد ما راى الايتين راى جبريئل
عليه السلام فى صورته له ستمائة جناح وفى حديث شريك انه راى موسى
عليه السلام فى السابعة قال بتفضيل كلام الله تعالى قال ثم علا به فوق
ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع على احد وقد روى
عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس وعن انس رض
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل
جبريئل عليه السلام فوكز بين كتفى فقمت الى شجرة فيها مثل وكرى الطائر
فقعد فى واحدة وقعدت فى الاخرى فنمت حتى سدت الخافقين ولو شئت
لمست السماء وانا اقلب طرفى فى ملكوت السماء والارض ورايت جبريئل
كانه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله تعالى على وفتح لى باب السماء
ورايت النور الاعظم ولط دونى الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم اوحى
الله الى ما شاء ان يوحى الى وذكر البزار عن على بن ابى طالب رضى الله
عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريئل بدابة يقال
لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريئل اسكنى فوالله
ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى
بها الى الحجاب الذى يلى الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من
الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريئل من هذا قال
والذى بعثك بالحق نبيا انى لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما
رايته منذ خلقت قبل ساعتى هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له
من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان
لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى انا الله لا اله الا
انا وذكر مثل هذا فى بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حى
على الصلوة حى على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام
اهل السماء فيهم ادم ونوح قال ابو جعفر محمد بن على بن الحسين راويه
اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض
قال القاضى رحمه الله ما فى هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو فى حق
المخلوق لا فى حق الخالق فهم المحجوبون والبارى جل اسمه منزه عما
يحجبه اذ الحجب انما يحيط بمقدار محسوس ولكن حجبه على ابصار
خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله

كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله فى هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك
من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع
على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجايب ملكوته وجبروته ويدل عليه
من الحديث قول جبريل عليه السلام عن الملك الذى خرج من ورآئه ان هذا
الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص
بالذات ويدل عليه قول كعب فى تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهى علم
الملائكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذى يلى
الرحمن فيحمل على حذف المضاف اى يلى عرش الرحمن او امراً من عظيم اياته
او مبادى حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل القرية اى
اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر فظاهره انه سمع
فى هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من ورآء حجاب اى وهو لا يراه حجب بصره عن
رأيته فان صح القول بان محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل انه فى
غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى راه والله اعلم
فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان الاسراء بروحه او بجسده
على ثلث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسرآء بالروح وانه رؤيا منام
مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء عليهم السلام وحى وحق والى هذا ذهب
معاوية وحكى عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق
وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس وما حكوا
عن عايشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا
انا نائم وقول انس وهو نائم فى المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال فى اخرها
فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه
اسرآء بالجسد وفى اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر
وانس وحذيفة وعمر وابى هريرة ومالك بن صعصعة وابى حبة البدرى
وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وسعيد بن المسيب
وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة
وابن جريج وهو دليل قول عايشة وهو قول الطبرى وابن حنبل و
جماعة عظيمة من المسلمين وهذا قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين
والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الاسرآء بالجسد يقظة الى
بيت المقدس والى السماء بالروح واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذى اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى
غاية الاسرآء الذى وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف
النبى محمد عليه السلام به واظهار الكرامة له بالاسرآء اليه قال هؤلاء

ولوكان

ولوكان الاسرآء بجسده الى زائد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ فى المدح
ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففى حديث انس وغيره
ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا عن
ظهر البراق حتى رجعا قال القاضى رحمه الله والحق من هذا والصحيح ان شاء
الله تعالى انه اسرآء بالجسد والروح فى القصة كلها وعليه تدل الاية و
صحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند
الاستحالة وليس فى الاسرآء بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان مناما
لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان
مناما لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا
ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا فى المنامات لا ينكر بل لم
يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى
ما ذكر فى الحديث من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس فى رواية انس
او فى السماء على ما روى غيره وذكر مجئ جبريل بالبراق وخبر المعراج و
استفتاح السماء فيقال من معك فيقول محمد ولقائه الانبيآء فيها وخبرهم
معه وترحيبهم به وشانه فى فرض الصلوة ومراجعته مع موسى فى ذلك
وفى بعض هذه الاخبار فاخذ يعنى جبريل بيدى فعرج بى الى السمآء الى
قوله ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى
سدرة المنتهى وانه دخل الجنة وراى فيها ما ذكره قال ابن عباس هى رؤيا
عين راها النبى عليه السلام لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا نائم فى
الحجر جاءنى جبريل فهمزنى بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعى
ذكر ذلك ثلثا فقال فى الثالثة فاخذ بعضدى فجرنى الى باب المسجد فاذا
بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هانى ما اسرى برسول الله عليه السلام
الا وهو فى بيتى تلك الليلة صلى العشاء الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل
الفجر اهبنا رسول الله عليه السلام فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا
ام هانئ لقد صليت معكم العشاء الاخرة كما رأيت بهذا الوادى ثم جئت
بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون وهذا بين فى
انه بجسمه وعن ابى بكر من رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبى عليه
السلام ليلة اسرى به طلبتك يا رسول الله البارحة فى مكانك فلم اجدك
فاجابه ان جبريل عليه السلام حملنى الى المسجد الاقصى وعن عمر رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسرى بى فى
مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه انية ثلاث وذكر
الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابى
ذر رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتى وانا بمكة فنزل

جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم الى اخر القصة ثم اخذ بيدي
فعرج بي وعن انس رض اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح صدري وعن
ابي هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم لقد رايتني في الحجر وقريش تسئلني
عن مسراي فسئلتني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه
الله لي انظر اليه ونحوه عن جابر وقد روى عن عمر بن الخطاب في حديث
الاسراء عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت
عن جانبها **فصل** في ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى وما
جعلنا الرؤيا التي اريناك فسماها رؤيا قلنا قوله تعالى سبحان الذي اسرى
بعبده يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين
واسراء بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل
ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين
قد اختلفوا في هذه الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية
وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قوله انه سماها
في الحديث مناما وقوله في الحديث اخر بين النائم واليقظان وقوله ايضا
وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول
الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس
في الحديث انه كان نائما في القضية كلها الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت
وانا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظت
من نوم اخر بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليلة و
انما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما
كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه
من مشاهدة الملاء الاعلى وما راى من ايات ربه الكبرى فلم يستفق
ولم يرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان
يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى
بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه حق
تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو
من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله عز
وجل ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلاته بالانبياء ولعله كانت له
في هذا الاسراء حالات ووجه رابع وهو ان يعبر ها هنا بالنوم عن هيئة
النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام
بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا انا في الحطيم
وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان
فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى

ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا
الحديث انما هي من رواية شريك عن انس فهي منكرة من روايته اذ شق البطن
في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه السلام وقبل النبوة ولانه قال
في الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن
ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن
غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن
صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة
كان ابو ذر يحدث واما قول عايشة ما فقدت جسده فعايشة لم تحدث
به عن مشاهدة لانها حينئذ لم تكن زوجه ولا في سن من يضبط ولعلها
لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء متى كان فان الاسراء كان في اول
الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت
عايشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة
وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول وليست من
غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عايشة دل انها حدثت بذلك عن غيرها فلم
يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث ام
هانئ وغيره وايضا فليس حديث عايشة بالثابت والاحاديث الاخر
اثبت ولسنا نعني حديث ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة رض وايضا فقد
روى عن عايشة رض ما فقدت ولم يدخل بها النبي عليه السلام الا
بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها
ان يكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان
قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما راى فقد جعل ما راه للقلب وهذا
يدل على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله
تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر الى البصر وقد قال اهل
التفسير في قوله ما كذب الفؤاد ما راى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة
بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما راته عيناه **فصل** واما رؤيته
صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف السلف فيها فانكرته عايشة
رض حدثنا ابو الحسين بن سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال
حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا حدثنا القاضي يونس بن
مغيث حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن
ابيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي حدثنا محمود بن ادم حدثنا
وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعايشة يا ام المؤمنين
هل راى محمد ربه قالت لقد قف شعري مما قلت ثلث من حدثك بهن
فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه

الابصار الاية وذكر الحديث وقالت جماعة بقول عايشه رض وهو المشهور
عن ابن مسعود ومثله عن ابى هريرة انه قال انما راى جبريل واختلف
عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته فى الدنيا جماعة من المحدثين
والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس رض انه رآه بعينيه وروى
عطاء عنه رآه بقلبه وعن ابى العالية عنه رآه بفواده مرتين وذكر ابن
اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس رضى الله عنهم يسأله هل رآى
محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه رأى ربه بعينيه وروى ذلك
عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم بالخلة و
محمداً بالرؤية وحجته قوله ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على ما
يرى ولقد راه نزلة اخرى وقال الماوردى قيل ان الله تعالى قسم
كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين
وحكى ابو الفتح الرازى وابو الليث السمرقندى الحكاية عن كعب
وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن
عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمداً قد رائ ربه مرتين فكبر كعب
حتى جاوبته الجبال وقال ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين محمد
وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى شريك عن ابى ذر فى
تفسير الاية قال رأى النبى عليه السلام ربه وحكى السمرقندى عن
محمد بن كعب القرظى وربيع بن انس ان النبى عليه السلام سئل هل
رأيت ربك قال رأيته بفؤادى ولم اره بعينى وروى مالك بن يخامر
عن معاذ عن النبى عليه السلام قال رأيت ربى وذكر كلمة فقال يا محمد
فيم يختصم الملا الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف
بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكى عن عكرمة وحكى بعض
المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق ان مروان سئل
ابا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل
انه قال انا اقول بحديث ابن عباس رض بعينيه رآه رآه حتى انقطع
نفسه يعنى نفس احمد بن حنبل وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل راه
بقلبه وجبن عن القول برؤيته فى الدنيا بالابصار وقال سعيد بن
جبير لا اقول راه ولا لم يره وقد اختلف فى تأويل الاية عن ابن عباس
وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكى عن ابن عباس وعكرمة راه بقلبه
وعن الحسن وابن مسعود راى جبريل عليه السلام وحكى عبد الله بن
احمد بن حنبل عن ابيه انه قال راه وعن ابن عطاء فى قوله تعالى الم
نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام
وقال ابو الحسن على بن اسمعيل الاشعرى وجماعة من اصحابه انه رأى

الله ببصره وعينى رأسه وقال كل آية اوتيها نبى من الانبياء عليهم السلام
فقد اوتى مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية
ووقف بعض مشايخنا فى ذلك وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان
يكون قال القاضى ابو الفضل رحمه الله والحق الذى لا امتراء فيه ان
رؤيته فى الدنيا جائزة عقلا وليس فى العقل ما يحيلها والدليل على جوازها
فى الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبى ما يجوز على
الله وما لا يجوز عليه بل لم يسئل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه و
مشاهدته من الغيب الذى لا يعلمها الا من علمه الله تعالى فقال له الله
لن ترانى اى لن تطيق ولا تحتمل رؤيتى ثم ضرب له مثلا بما هو اقوى
من بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته
فى الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس فى الشرع دليل قاطع على
استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا
حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف
التأويلات فى الاية واذ ليس يقتضى قول من قال فى الدنيا الاستحالة وقد
استدل بعضهم بهذه الاية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على
الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط
به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون
وكل هذه التأويلات لا يقتضى منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة
لهم بقوله لن ترانى الاية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست
على العموم ولان من قال معناها لن ترانى فى الدنيا انما هو تأويل وايضا
فليس فيه نص الامتناع وانما جاءت فى حق موسى عليه السلام وحيث
تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل
وقوله تبت اليك اى من سؤالى ما لم تقدره لى وقد قال ابو بكر الهذلى
فى قوله تعالى لن ترانى اى ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الى فى الدنيا وانه
من نظر الى مات وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه ان
رؤيته فى الدنيا ممتنعة لضعف تراكيب اهل الدنيا وقواهم وكونها
متغيرة غرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان
فى الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار
ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رأيت نحو هذا لمالك
بن انس قال لم يرفى الدنيا لانه باق ولا يرى الباقى بالفانى فاذا
كان فى الاخرة ورزقوا ابصارا باقية ربئ الباقى بالباقى وهذا كلام حسن
مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا
قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع

فى حقه وقد تقدم ما ذكر من قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ
ادراكهما بقوة الهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما رآياه والله
اعلم وقد ذكر القاضى ابو بكر فى اثناء اجوبته عن الآيتين ما معناه ان
موسى عليه السلام راى الله سبحانه فلذلك خر صعقا وان الجبل راى
ربه فصار دكا بادراك خلقه الله تعالى له واستنبط ذلك من قوله
تعالى والله اعلم ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى
الآية ثم قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا و
تجليه للجبل هو ظهوره له حتى راه على هذا القول وقال جعفر بن محمد
شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا
يدل على ان موسى عليه السلام رآه وقد وقع لبعض المفسرين فى الجبل انه
رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا له اذ جعله دليلا
على الجواز ولا مرية فى الجواز اذ ليس فى الآيات نص فى المنع واما وجوبه
لنبينا والقول بانه رآه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول
فيه على آيتى النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع
متواتر عن النبى عليه السلام بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده
لم يسنده الى النبى صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه و
مثله حديث ابى ذر فى تفسير الآية وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو
مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابى ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروى
نور انى اراه وحكى بعض شيوخنا انه روى نور آنى اراه وفى حديثه الآخر
سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما على صحة الرؤية
فان كان الصحيح رأيت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما راى نورا منعه
وحجبه عن رؤية الله تعالى والى هذا يرجع قوله نور انى اراه اى كيف
اراه مع حجاب النور المغشى للبصر وهذا مثل ما جاء فى الحديث الآخر
حجابه النور وفى الحديث الآخر لم اره بعينى ولكن رأيته بقلبى مرتين
وتلى ثم دنى فتدلى والله قادر على خلق الادراك الذى فى البصر فى
القلب او كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين فى الباب
اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعى يرده
والله تعالى الموفق للصواب فصل واما ما ورد فى هذه القصة
من مناجاته لله وكلامه معه بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما
تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحى اليه جبريل عليه
السلام وجبريل الى محمد عليه السلام الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن
محمد الصادق قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطى والى هذا
ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه فى الاسراء وحكى عن الاشعرى

وحكى

وحكى عن ابن مسعود وابن عباس وانكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس
فى قصة الاسراء عنه عليه السلام فى قوله تعالى دنا فتدلى قال فارقنى
جبريل فانقطعت الاصوات عنى فسمعت كلام ربى وهو يقول لى ليهدأ روعك
يا محمد ادن ادن وفى حديث انس فى الاسراء نحو منه وقد احتجوا فى هذا بقوله
تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا
فيوحى باذنه ما يشاء فقالوا هى ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى
وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم
الثالث قوله وحيا ولم يبق فى تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة
وقد قيل الوحى هنا هو ما يلقيه فى قلب النبى عليه السلام دون واسطة
وقد ذكر ابو بكر البزار عن على رضى فى حديث الاسراء ما هو اوضح فى سماع النبى
صلى الله عليه وسلم لكلام الله عز وجل من الآية فذكر فيه فقال الملك الله
اكبر الله اكبر فقيل لى من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر انا اكبر وقال فى
سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجئ الكلام فى مشكل هذين الحديثين فى
الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفى اول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد
عليه السلام ومن اختصه من الانبياء جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد فى
الشرع قاطع يمنعه فان صح فى ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى
كائن حق مقطوع به نص على ذلك فى الكتاب واكده بالمصدر دلالة على
الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد فى الحديث فى السماء السابعة بسبب كلامه
ورفع محمدا فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل
فى حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل
بعضهم فوق بعض درجات فصل واما ما ورد فى حديث الاسراء وظاهر
الآية من الدنو والقرب من قوله تعالى دنا فتدلى فكان قاب قوسين
او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلى امر منقسم ما بين محمد وجبريل
عليهما السلام او مختص باحدهما من الآخر او من السدرة المنتهى قال
الرازى وقال ابن عباس هو محمد عليه السلام دنى فتدلى من ربه و
قيل معنى دنا قرب وتدلى زاد فى القرب وقيل هما بمعنى واحد اى قرب
وحكى مكى والماوردى عن ابن عباس رض هو الرب جل جلاله دنى
من محمد عليه السلام فتدلى اليه اى امره وحكمه وحكى النقاش عن
الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه
فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس رض
هو مقدم ومؤخر فتدلى الرفرف لمحمد عليه السلام ليلة المعراج فجلس
عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقنى جبريل فانقطعت عنى الاصوات
فسمعت كلام ربى وعن انس رض فى الصحيح عرج بى جبريل الى سدرة

المنتهى ودنا الجبّار ربّ العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى
فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلوة وذكر حديث الاسراء وعن
محمد بن كعب القرظى هو محمد عليه السلام دنا من ربه عز وجل فكان قاب
قوسين قال وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين
قال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حدّ له ومن العباد بالحدود وقال
ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبرئيل عليه السلام
عن دنوه ودنى محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون
قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضى ابو الفضل
اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله عز وجل او الى
الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرناه عن جعفر الصادق
ليس بدنو حدّ انما دنو النبى عليه السلام من ربه تعالى وقربه منه
ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة
اسرار غيبه وقدرته من الله تعالى له مبرّة وتأنيس وبسط واكرام و
يتأول فيه ما يتأول فى قوله عليه السلام ينزل ربنا الى السماء الدنيا كل
ليلة على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطى
من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى
بعدا يعنى عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق جل جلاله ولا بعد وقوله
تعالى قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله تعالى لا الى
جبرئيل عليه السلام على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل
وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد عليه السلام وعبارة
عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفى وانافة المنزلة والمرتبة
من الله تعالى ويتأول فيه ما يتأول فى قوله من تقرب منى شبرا تقربت
منه ذراعا ومن اتانى يمشى اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان
بالاحسان وتعجيل المأمول **فصل** فى ذكر تفضيله عليه السلام فى القيمة
بخصوص الكرامة **حدثنا** القاضى ابو على **ثنا** ابو الفضل وابو الحسين
قالا **ثنا** ابو يعلى **حدثنا** السنجى **ثنا** ابن محبوب **ثنا** الترمذى **ثنا** الحسين
ابن يزيد الكوفى **ثنا** عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس
عن انس بن مالك رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم
اذا ايسوا لواء الحمد بيدى وانا اكرم ولد ادم على ربى ولا فخر وفى رواية
ابن زحر عن الربيع بن انس فى لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا
اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم
اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدى وانا اكرم ولد ادم

على ربى ولا فخر ويطوف على الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابى هريرة فاكسى
حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك
المقام غيرى وعن ابى سعيد قال قال رسول الله عليه وسلم انا سيد ولد
ادم يوم القيمة وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ ادم فمن سواه
الا تحت لوائى وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابى هريرة رض
انا سيد ولد ادم يوم القيمة واول من ينشق عنه القبر واول شافع و
اول مشفع وعن ابن عباس رضى الله عنهما انا حامل لواء الحمد يوم القيمة
ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة
فيفتح لى فادخلها ويدخلها معى فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والاخرين ولا فخر وعن انس رض انا اول الناس يشفع فى الجنة وانا اكثر
الناس تبعا وعن انس رض قال النبى صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس
يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث
الشفاعة وعن ابى هريرة رض انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم
الانبياء اجرا يوم القيمة وفى حديث اخر اما ترضون ان يكون ابراهيم
وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما فى امتى يوم القيمة اما ابراهيم فيقول
انت دعوتى وذريتى فاجعلنى من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة
بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخى ليس بينى وبينه نبى وانا اولى
الناس به قوله انا سيد ولد ادم يوم القيمة هو سيدهم فى الدنيا ويوم
القيمة لكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون
غيره اذ لجاء الناس اليه فى ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذى يلجاء
الناس اليه فى حوائجهم فكان ح سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد
فى ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك
له تعالى فى الدنيا والاخرة لكن فى الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك
فى الدنيا وكذلك لجاء الى محمد جميع الناس فى الشفاعة فكان سيدهم فى
الاخرة دون دعوى وعن انس رض قال قال رسول الله عليه السلام
آتى باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد
فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه
ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب
منه لم يظمأ ابدا وعن ابى ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب
فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر
من ورق وفى رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال
انس ايلة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى

حديث الحوض ايضا انس وجابر بن سمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعى والمستورد وابو برزة الاسلمى وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة وابو سعيد الخدرى و عبد الله بن الصنابحى وابو هريرة والبراء بن عازب وجندب وعايشة واسماء بنتا ابى بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم رضى الله عنهم

فصل فى تفضيله صلى الله عليه وسلم بالمحبة والخلة جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص عليه السلام على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد ثنا ابو الهيثم وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه ثنا القاضى ابو الوليد ثنا عبد بن احمد ثنا ابو الهيثم ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا ابو عامر ثنا فليح ثنا ابو النضر عن بشر بن سعيد عن ابى سعيد عن النبى عليه السلام انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر وفى حديث اخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر وادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم صفى الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وفى حديث ابى هريرة رض من قول الله تعالى لنبيه عليه السلام انى اتخذتك خليلا فهو مكتوب فى التورية انت حبيب الرحمن قال القاضى ابو الفضل رحمه الله اختلف فى تفسير الخلة و اصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله الذى ليس فى انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمى ابراهيم خليل الله لانه يوالى فيه ويعادى فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهى الحاجة

فسمى بها ابراهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبرئيل عليه السلام وهو فى المنجنيق ليرمى به فى النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التى توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك عز وجل فى كتابه بقوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يواخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من النبوة لان النبوة قد يكون فيها العداوة كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم فلا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف حوايجهما عليه والانقطاع عن من دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفى الطافه عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الهيته ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما عن من سواه حتى لم يخاللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلماء وارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم عليه السلام بالخلة ومحمد عليه السلام بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله لو كنت متخذا خليلا غير ربى فلم يتخذه وقد اطلق عليه السلام المحبة لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا عليه السلام ارفع من درجة الخليل ابراهيم عليه السلام واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا فى حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهى درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال فى الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به ولا ينبغى ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عايشة رض كان خلقه القران برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله قد تخللت مسلك الروح منى وبذا سمى الخليل

خليلاً فاذا ما نقطت كنت حديثي واذا ما سكت كنت غليلاً فاذاً مزية الخلة
وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا عليه السلام بما دلت عليه الاثار الصحيحة
المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله الاية حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قالت الكفار انما يريد محمد
ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم فانزل الله غيظا لهم
ورغما على هذه المقالة قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم
بطاعته وقرنها بطاعته عز وجل ثم توعدهم على التولى عنه بقوله فان
تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن
بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته
الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدى الى ما بعده فمن
ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم
ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين والحبيب يصل لحبيبه
به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذى تكون مغفرته
فى حد الطمع من قوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين والحبيب
الذى مغفرته فى حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر والخليل قال ولا تخزنى والحبيب قيل له يوم لا يخزى الله
النبى فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال فى المحنة حسبى الله
والحبيب قيل له يا ايها النبى حسبك الله والخليل قال واجعل لى لسان
صدق فى الاخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطى بلا سؤال
والخليل قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب
هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم
اعلم بمن هو اهدى سبيلاً **فصل** فى تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود
قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محموداً اخبرنا الشيخ ابو
على الغسانى الجيانى فيما كتب به الى بخطه **ثنا** سراج بن عبد الله القاضى
ثنا ابو محمد الاصيلى **ثنا** ابو زيد وابو احمد قالا **ثنا** محمد بن يوسف قال
ثنا محمد بن اسمعيل قال **ثنا** اسمعيل بن ابان قال **حدثنا** ابو الاحوص
عن ادم بن على قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة
جثاً كل امة تتبع نبيها يقولون فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا
حتى تنتهى الشفاعة الى النبى محمد صلى الله عليه وسلم فذلك يوم
يبعثه الله المقام المحمود وعن ابى هريرة سئل عنها رسول الله عليه
السلام يعنى قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محموداً فقال هى الشفاعة
وروى كعب بن مالك رضى الله عنه عنه عليه السلام قال يحشر الناس

يوم

يوم القيمة فاكون انا وامتى على تل ويكسونى ربى حلة خضراء ثم يؤذن لى
فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر رض وذكر
حديث الشفاعة قال فيمشى حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله
المقام المحمود الذى وعده وعن ابن مسعود رضى الله عنه عنه عليه السلام
انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون
والاخرون ونحوه عن كعب والحسن وفى رواية هو المقام الذى اشفع
لامتى فيه وعن ابن مسعود قال رسول الله عليه السلام انى لقائم
المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على
كرسيه الحديث وعن ابى موسى عنه عليه السلام قال خيرت بين ان
يدخل نصف امتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها
اعم اترونها للمتقين لا ولكنها للمذنبين الخطائين الملوثين وعن ابى
هريرة رض قال قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك فى الشفاعة فقال
شفاعتى لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة
رض قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتى من بعدى
وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسئلت
الله ان يؤتينى شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله
الناس فى صعيد واحد حيث يسمعهم الداعى وينفذهم البصر حفاة عراة
كما خلقوا سكوتاً لا تكلم نفس الا باذنه فينادى يا محمد فيقول لبيك و
سعديك والخير فى يديك والشر ليس اليك والمهتدى من هديت و
عبدك بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك
تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذى
ذكره الله تعالى وقال ابن عباس رض اذا دخل اهل النار النار واهل
الجنة الجنة فتبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فتقول زمرة
النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم
اهل الجنة فيسئلون ادم وغيره بعده فى الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى
يأتوا محمداً فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود ايضاً
ومجاهد وذكره على بن الحسين عن النبى عليه السلام وقال جابر بن
عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعنى
الذى يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذى يخرج الله
به من يخرج يعنى من النار وذكر حديث الشفاعة فى اخراج الجهنميين
وعن انس رض نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذى وعده وعن سلمان رض
المقام المحمود هو الشفاعة فى امته يوم القيمة ومثله عن ابى هريرة وقال
قتادة كان اهل العلم يرون المقام المحمود شفاعته يوم القيمة وعلى ان

المقام المحمود هو مقامه عليه السلام للشفاعة مذهب السلف من الصحابة
والتابعين وعامة ائمة المسلمين رضى الله عنهم وبذلك جاءت مفسرة فى
صحيح الاخبار عنه عليه السلام وجاءت مقالة فى تفسيرها شاذة عن
بعض السلف يجب ان لا يثبت اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا سديد نظر ولو
صحت لكان لها تاويل غير مستنكر لكن ما فسره النبى عليه السلام فى صحيح
الاثار يرده فلا يجب ان يلتفت اليه مع انه لم يات فى كتاب ولا سنة
ولا اتفقت على المقال به ائمة وفى اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعه
وفى رواية انس وابى هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم فى حديث بعض
قال عليه السلام يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة فيهتمون او قال
فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق اخر عنه ماج الناس
بعضهم فى بعض وعن ابى هريرة رض وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم
ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فيأتون
ادم فيقولون زاد بعضهم انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك
من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شئ
اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول
ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله
ونهانى عن الشجرة فعصيت نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى
نوح فيأتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك
الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا عند
ربك فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
بعده مثله نفسى نفسى قال فى رواية انس رض ويذكر خطيئة التى اصاب
سؤاله ربه بغير علم وفى رواية ابى هريرة رض وقد كانت لى دعوة دعوتها
على قومى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فيأتون
ابراهيم فيقولون انت نبى الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك
الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر
ثلث كلمات كذبهن نفسى نفسى لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله
وفى رواية فانه عبد اتاه الله التورية وكلمه وقربه نجيا قال عليه
السلام فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست لها ويذكر خطيئته التى
اصاب وقتله النفس نفسى نفسى ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله و
كلمته فيأتون عيسى عليه السلام فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله
عليه وسلم عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فاوتى فاقول انا
لها فانطلق فاستأذن على ربى فيؤذن لى فاذا رأيته وقعت ساجدا وفى
رواية فاتى تحت العرش فاخر ساجدا وفى رواية فاقوم بين يديه فاحمده

بمحامد لا اقدر عليها الان الا انه يلهمنيها الله وفى رواية فيفتح الله على
من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلى قال فى رواية
ابى هريرة رض فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع
رأسى فاقول يا رب امتى يا رب امتى فيقول ادخل من امتك من لا
حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى
ذلك من الابواب ولم يذكر فى رواية انس رض هذا الفصل وقال مكانه
ثم اخر ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع
وسل تعطه فاقول يا رب امتى امتى فيقال انطلق فمن كان فى قلبه
مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع
الى ربى فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من
خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان فى قلبه
ادنى ادنى ادنى مثقال حبة من خردل قال فافعل وذكر فى المرة الرابعة
فيقال لى ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع واسئل تعطه فاقول
يا رب ايذن لى فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن و
عزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لاخرجن من النار من قال لا اله
الا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا ادرى فى الثالثة او الرابعة
فاقول يا رب ما بقى فى النار الا من حبسه القران اى من وجب عليه
الخلود وعن ابى بكر وعقبة بن عامر وابى سعيد وحذيفة رضى الله عنهم
مثله قال فيأتون محمدا عليه السلام فيؤذن له وتأتى الامانة والرحم
فتقومان جنبتى الصراط وذكر فى رواية ابى مالك عن حذيفة فيأتون
محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون عليه اولهم كالبرق ثم كالريح
والطير وشد الرجال ونبيكم عليه السلام على الصراط يقول اللهم سلم
سلم حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جوازا الحديث وفى رواية ابى هريرة
رضى فاكون اول من يجيز يومئذ وعن ابن عباس رضى الله عنه عنه
عليه السلام يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبرى لا اجلس
عليه قائما بين يدى ربى منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد
ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم
من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى ولا ازال
اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول
يا محمد ما تركت لغضب ربك فى امتك من نقمة ومن طريق زياد النميرى عن
انس ان رسول الله عليه السلام قال انا اول من تنفلق الارض عن جمجمته
ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعى لواء الحمد يوم القيمة وانا
اول من تفتح له الجنة ولا فخر فاتى فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول

محمد فيفتح لى فيستقبلنى الجبار تعالى فاخر له ساجداً وذكر نحو ما تقدم ومن رواية
انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة
لاكثر مما فى الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الاثارات
شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى اخرها من حين
يجتمع الناس للحشر ويضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف
مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حج لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع
الصراط ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث عن ابى هريرة وحذيفة رضى الله
عنهما وهذا الحديث اتقن فيشفع فى تعجيل من لا حساب عليه من امته الى
الجنة كما تقدم فى الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار
منهم حسبما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس
هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفى الحديث المنتشر الصحيح لكل نبى دعوة
يدعو بها واختبأت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيمة قال اهل العلم معناه
دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبى من
دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند
الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه و
يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح
عن ابى هريرة فى هذا الحديث لكل نبى دعوة دعا بها فى امته فاستجيب
له وانا اريد ان اؤخر دعوتى شفاعة لامتى يوم القيمة وفى رواية ابى
صالح لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته ونحوه فى رواية
ابى زرعة عن ابى هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابى هريرة
رض فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة
والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سأل لامته اشياء من امور
الدين والدنيا اعطى بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم
القيمة وخاتمة المحن وعظيم السؤل والرغبة جزاه الله احسن ما جزى
نبياً عن امته وصلى الله عليه وسلم كثيراً **فصل** فى تفضيله صلى الله
عليه وسلم فى الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة
حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى والفقيه ابو الوليد
هشام بن احمد بقراءتى عليهما قالا **ثنا** ابو على الغسانى **حدثنا** النمرى
ثنا ابن عبد المؤمن **ثنا** ابو بكر التمار **ثنا** ابو داود **ثنا** محمد بن سلمة
ثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابى ايوب عن كعب بن
علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه
سمع النبى عليه السلام يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم
صلوا على فانه من صلى على مرة صلى الله عليه عشراً ثم اسئلوا الله

لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون
انا هو فمن سال الله لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفى حديث اخر عن ابى
هريرة الوسيلة اعلا درجة فى الجنة وعن انس قال قال رسول الله عليه
السلام بينا انا اسير فى الجنة اذ عرض لى نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبرئيل
ما هذا قال هذا الكوثر الذى اعطاكه الله قال ثم ضرب بيده الى طينته فاستخرج
مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت
وماؤه احلا من العسل وابيض من الثلج ونحوه عن ابن عباس وفى رواية
عنه فاذا هو يجرى ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتى وذكر حديث
الحوض ونحوه عن ابن عباس رض وعن ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير
الذى اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير النهر الذى فى الجنة من
الخير الذى اعطاه الله وعن حذيفة فيما ذكر عليه السلام عن ربه و
اعطانى الكوثر نهراً فى الجنة يسيل فى حوضى وعن ابن عباس فى قوله
تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن
المسك وفيه ما يصلحهن وفى رواية اخرى وفيه ما ينبغى له من
الازواج والخدم **فصل** فان قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الاثر
واجماع الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة
بنهيه عليه السلام عن التفضيل كقوله فيما **حدثناه** الاسدى قال **ثنا**
السمرقندى قال **ثنا** الفارسى **ثنا** الجلودى **ثنا** ابن سفيان **ثنا** مسلم **ثنا**
ابن مثنى **ثنا** محمد بن جعفر **ثنا** شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية يقول
حدثنى ابن عم نبيكم يعنى ابن عباس عن النبى عليه السلام قال ما ينبغى
لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفى غير هذا الطريق عن ابى
هريرة رض قال يعنى رسول الله ما ينبغى لعبد الحديث وفى حديث ابى
هريرة رض فى اليهودى الذى قال والذى اصطفى موسى على البشر فلطمه
رجل من الانصار وقال تقول ذلك والنبى صلى الله عليه وسلم بين
اظهرنا فبلغ ذلك النبى عليه السلام فقال لا تفضلوا بين الانبياء
وفى رواية لا تخيرونى على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان
احداً افضل من يونس بن متى وعن ابى هريرة رض ومن قال انا خير من
يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود رض لا يقولن احدكم انا
خير من يونس بن متى وفى حديثه الاخر فجاءه رجل فقال له يا خير
البرية فقال ذاك ابراهيم عليه السلام **فاعلم** ان للعلماء فى هذه الاحاديث
تأويلات احدها ان نهيه عليه السلام عن التفضيل كان قبل ان يعلم
انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل
بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احداً افضل منه لا يقتضى

تفضيله هو وانما هو فى الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثانى انه عليه السلام
قاله على طريق التواضع ونفى التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض
الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدى الى النقص بعضهم والغض
منه لا سيما فى جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله تعالى عنه بما اخبر
لئلا يقع فى نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته
الرفيعة اذ قال الله تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون اذ ذهب مغاضبا
فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده انحطاطه بذلك الوجه
الرابع منع التفضيل فى حق النبوة والرسالة فان الانبياء عليهم السلام
فيها على حد واحد اذ هى شئ واحد لا يتفاضل وانما التفاضل فى زيادة
الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف اما النبوة فى
نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم
رسل ومنهم اولوا عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من اوتى
الحكم صبيا واوتى بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع
بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية
قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا فى الدنيا وذلك بثلثة احوال
ان يكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر او يكون امته ازكى واكثر او يكون
فى ذاته افضل واظهر وفضله فى ذاته راجع الى ما خصه الله من كرامته
واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف
ولاياته واختصاصه وقد روى ان النبى عليه السلام قال ان للنبوة
اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ النبى صلى الله عليه وسلم
موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح فى نبوته او قدح
فى اصطفائه وحط من رتبته ووهن فى عصمته شفقة منه صلى الله
عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو
ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه اى لا يظن احد وان بلغ من
الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكاه الله
عنه فان درجة النبوة افضل واعلا وان تلك الاقدار لم تحطه
عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد فى القسم الثالث فى هذا بيانا ان
شاء الله تعالى فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض
وبالله التوفيق وهو المستعان لا اله الا هو

فصل فى اسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته

حدثنا ابو عمران موسى بن ابى تليد
الفقيه قال ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ
ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن
جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله عليه السلام لى خمسة

اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى
يحشر الناس على قدمى وانا العاقب وقد سماه الله تعالى فى كتابه محمدا واحمد
فمن خصايصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره
فاما اسمه احمد فهو افعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة
من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر
الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة
ليتم له كمال الحمد ويشتهر فى تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه
هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والاخرون بشفاعته
لهم ويفتح عليه من المحامد كما قال عليه السلام ما لم يعط غيره وسمى امته
فى كتب انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم فى هذين الاسمين
من عجايب خصايصه وبدايع اياته فن اخر هو ان الله جل جلاله حمى
ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذى اتى فى الكتب وبشرت به
الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو
قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا
لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه
السلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب
ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالته
وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسى ومحمد بن مسلمة الانصارى ومحمد بن
براء البكرى ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفى ومحمد بن
خزاعى السلمى لا سابع لهم ويقال اول من سمى بمحمد محمد بن سفيان واليمن
تقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعى
النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا فى امره حتى
تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله وانا
الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ففسر فى الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة
وبلاد العرب وما زوى له من الارض ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون
المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقد
ورد تفسيره فى الحديث انه الذى محيت به سيئات من اتبعه وقوله وانا
الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى اى على زمانى وعهدى اى ليس بعدى
نبى كما قال تعالى وخاتم النبيين وسمى عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء
وفى الصحيح وانا العاقب الذى ليس بعدى نبى وقيل معنى على قدمى اى
يحشر الناس بمشاهدتى كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا وقيل على قدمى على سابقتى قال الله تعالى ان
لهم قدم صدق عند ربهم وقيل على قدمى اى على قدامى وحولى اى

يجتمعون الىّ فى القيمة وقيل قدمى على سنتى ومعنى قوله لى خمسة اسمآء
قيل انها موجودة فى الكتب المتقدمة وعند اولى العلم من الامم السالفة
والله اعلم وقد روى عنه عليه السلام لى عشرة اسماء وذكر منها طه
ويس حكاه مكى وقد قيل فى بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادى وفى
يس يا سيد حكاه السلمى عن الواسطى وجعفر بن محمد وذكر غيره لى عشرة
اسماء فذكر الخمسة التى فى الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول
الراحة ورسول الملاحم وانا المقفى قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع
الكامل كذا وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه
بعد عن الحربى وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا فى كتب الانبيا قال
داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون
القيم بمعناه وروى النقاش عنه عليه السلام لى فى القران سبعة اسماء
محمد واحمد وطه ويس والمدثر والمزمل وعبد الله وفى حديث عن
جبير بن مطعم رض هى ست محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحى
وفى حديث ابى موسى الاشعرى انه كان عليه السلام يسمى لنا نفسه
اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبى التوبة ونبى
الملحمة ويروى المرحمة والرحمة والراحة وكل صحيح ان شاء الله تعالى
ومعنى المقفى معنى العاقب وقيل المتبع للنبيين واما نبى الرحمة
والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى
صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال فى صفة امته انها امة
مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اى يرحم
بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام ربه رحمة لامته ورحمة للعالمين و
رحيما بهم ومترحما ومستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها
بالرحمة وامرها بالتراحم واثنا عليها فقال ان الله يحب من عباده الرحماء
وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء
واما رواية نبى الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف
صلى الله عليه وسلم وهى صحيحة وروى حذيفة مثل ابى موسى وفيه
ونبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم وروى الحربى فى حديثه عنه
انه قال اتانى ملك فقال انت قثم اى مجتمع قال والقثوم الجامع للخير
وهذا اسم هو فى اهل بيته عليه السلام معلوم وقد جاءت من القابه
عليه السلام وسماته فى القران عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور
والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد
والحق المبين وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم صدق

ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب
والكريم والنبى الامى وداعى الله فى اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى
منها فى كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق
الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابى القاسم والحبيب ورسول
رب العالمين والشفيع المشفع والمتقى والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق
والمصدوق والهادى وسيد ولد ادم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد
الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة
والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب
التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب و
صاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة
والنعلين ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم فى الكتب المتوكل والمختار
ومقيم السنة والمقدس وروح القدس وروح الحق وهو معنى البار
قليط فى الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذى يفرق بين الحق والباطل
ومن اسمائه عليه السلام فى الكتب السالفة ماذماذ ومعناه طيب طيب
وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار وقال ثعلب فالخاتم الذى
ختم به الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية
مشفح والمنحمنا واسمه ايضا فى التورية احيد وروى ذلك عن ابن
سيرين ومعنى صاحب القضيب اى السيف وقع ذلك مفسرا فى الانجيل
قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه
القضيب الممشوق الذى كان يمسكه عليه السلام وهو الان عند
الخلفاء واما الهراوة التى وصف بها فهى فى اللغة العصا واراها والله
اعلم العصا المذكورة فى حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاى
لاهل اليمين واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب
والعمايم تيجان العرب واوصافه والقابه وسماته فى الكتب كثيرة وفيما
ذكرناه منها مقنع ان شاء الله تعالى وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم
وروى عن انس انه لما ولد له ابراهيم جاءه جبرئيل عليه السلام فقال له
السلام عليك يا ابا ابراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم فصل فى
تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من
صفاته العلى صلى الله عليه وسلم قال القاضى ابو الفضل وفقه الله
ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه فى سلك مضمونها
وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه
ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض فى الفصل
الذى قبله فرأينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى

خص كثيرًا من الانبياء بكرامة خلعها الله عليهم من اسمائه كتسميته اسحق
واسمعيل بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوحًا بشكور وعيسى ويحيى ببر و
موسى بكريم وقوى ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق
الوعد كما نطق به الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمدًا نبينا
صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها فى كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه
بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد
من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين وحررنا منها
فى هذا الفصل نحو ثلثين اسمًا ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه
يتم النعمة باباته ما لم يظهر لنا الان ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد
ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضًا بمعنى الحامد
لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبى عليه السلام محمدًا واحمد فمحمد
بمعنى محمود وكذا وقع اسمه فى زبر داود واحمد بمعنى اكبر من حمد و
اجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان بقوله وشق له من اسمه
ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم
وهما بمعنى متقارب وسماه فى كتابه بذلك فقال تعالى بالمؤمنين رؤف
رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنا الحق الموجود والمتحقق امره
وكذلك المبين اى البين امره والهيته بان وابان بمعنى واحد ويكون
بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبى عليه السلام بذلك
فى كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل انى انا النذير
المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
قيل محمد عليه السلام وقيل القران ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق
صدقه وامره وهو بالمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته او المبين
عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه
تعالى النور ومعناه ذو النور اى خالقه او منور السموات والارض
بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورًا فقال قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القران وقال فيه وسراجًا منيرًا
سمى بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين
بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على
عباده يوم القيمة وسماه الله تعالى شهيدًا وشاهدًا فقال انا ارسلناك
شاهدًا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدًا وهو بمعنى الاول ومن اسمائه
تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلى وفى
الحديث المروى فى اسمائه تعالى الاكرم وسماه كريمًا بقوله انه لقول رسول
كريم قيل محمد وقيل جبرئيل وقال عليه السلام انا اكرم ولد ادم ومعانى

الاسم صحيحة فى حقه عليه السلام ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل
الشان الذى كل شئ دونه وقال فى النبى صلى الله عليه وسلم وانك
لعلى خلق عظيم ووقع فى اول سفر من التورية عن اسمعيل عليه السلام
وسيلد عظيمًا لامة عظيمة فهو صلى الله عليه وسلم عظيم وعلى خلق
عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلى
العظيم الشان وقيل المتكبر وسمى النبى صلى الله عليه وسلم فى كتاب
داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرايعك
مقرونة بهيبة يمينك ومعناه فى حق النبى عليه السلام اما لاصلاحه
الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر وعظيم
خطره ونفى عنه فى القران جبرية التكبر التى لا يليق به فقال تعالى وما
انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشئ
والعالم بحقيقته وقيل معناه المخبر قال الله تعالى الرحمن فاسئل به
خبيرًا قال القاضى بكر بن العلاء المامور بالسؤال غير النبى صلى الله
عليه وسلم والمسئول الخبير هو النبى عليه السلام وقال غيره بل السائل
النبى صلى الله عليه وسلم والمسئول هو الله تعالى فالنبى عليه السلام
خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله
من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له فى اعلامهم به
ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب
الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائر
هم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعناه الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد
جاءكم الفتح اى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ
الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
بالفاتح فى حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس عن
ابى عالية وغيره عن ابى هريرة رض قول النبى صلى الله عليه وسلم
فى ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحًا
وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على
امته او الفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق
او المبتدئ بهداية الامة او المبتدء المقدم فى الانبياء والخاتم لهم كما قال
عليه السلام كنت اول الانبياء فى الخلق واخرهم فى البعث ومن اسمائه
تعالى فى الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثنى
على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحًا عليه السلام فقال انه كان
عبدًا شكورًا وقد وصف النبى عليه السلام نفسه بذلك فقال افلا
اكون عبدًا شكورًا اى معترفا بنعم ربى عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه

مجهدًا نفسى فى الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ومن
اسمائه تعالى **العليم والعلام** وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه
عليه السلام بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك مالم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيمًا وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم
تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى **الاول والاخر** ومعناهما السابق
للاشياء قبل وجودها والباقى بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول
ولا اخر وقال عليه السلام كنت اول الانبياء فى الخلق واخرهم فى
البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح فقدم محمدًا عليه السلام وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب
رض ومنه قوله نحن الاخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق
عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو
خاتم النبيين واخر الرسل ومن اسمائه تعالى **القوى** وذو القوة
المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذى قوة
عند ذى العرش مكين قيل محمد وقيل جبرئيل عليهما السلام ومن اسمائه
تعالى **الصادق** فى الحديث الماثور وورد فى الحديث ايضًا اسمه عليه
السلام بالصادق المصدوق ومن اسمائه تعالى **الولى والمولى**
ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال
عليه السلام انا ولى كل مؤمن وقال الله تعالى النبى اولى بالمؤمنين
من انفسهم وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلى مولاه ومن اسمائه
تعالى **العفو** ومعناه الصفوح وقد وصف الله بهذا نبيه فى القرآن
والتورية وامره بالعفو فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح
وقال له جبرئيل عليه السلام وقد ساله عن قوله خذ العفو قال
ان تعفو عن من ظلمك وقال فى التورية والانجيل فى الحديث المذكور
فى صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه
تعالى **الهادى** وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى
الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعوا الى دار السلام و
يهدى من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من
التقديم وقيل فى تفسير طه انه يا طاهر يا هادى يعنى النبى صلى الله
عليه وسلم وقال له الله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم
وقال تعالى فيه وداعيًا الى الله باذنه وسراجًا منيرًا فالله تعالى
مختص بالمعنى الاول قال تعالى انك لا تهدى من احببت ولكن
الله يهدى من يشاء وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى ومن اسمائه
تعالى **المؤمن المهيمن** قيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن فى حقه المصدق

وعد عباده والمصدق قوله الحق **و**المصدق لعباده المؤمنين ورسله
وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده فى الدنيا من ظلمه والمؤمنين
فى الاخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة
هاء وقد قيل ان قولهم فى الدعاء امين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه
معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبى صلى الله
عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله تعالى امينًا فقال مطاع
ثم امين وكان عليه السلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها
وسماه العباس فى شعره مهيمنًا فى قوله **نظم** ثم احتوى بيتك المهيمن
من خندف علياء تحتها النطق قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبى
والامام ابو القاسم القشيرى وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين
اى يصدق وقال انا امنة لاصحابى فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى
القدوس ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات الحدث وسمى بيت
المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادى المقدس وروح القدس
ووقع فى كتب الانبياء فى اسمائه عليه السلام المقدس اى المطهر من
الذنوب كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذى يتطهر
به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال
ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسًا بمعنى مطهر من الاخلاق
الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى **العزيز** ومعناه الممتنع
الغالب او الذى لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله
اى الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة و
النذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات وقال ان الله
يبشرك بيحيى وقال بكلمة منه وسماه الله تعالى **مبشرًا ونذيرًا** اى
مبشرًا لاهل طاعته ونذيرًا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكر
بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى
الله عليه وسلم وشرف وكرم **فصل** قال القاضى ابو الفضل وفقه
الله تعالى وها هنا انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا
القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم
تخلصه من مهاوى التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان
يعتقد ان الله جل اسمه فى عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى
اسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئًا من مخلوقاته ولا يشبه به وان
ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما فى المعنى
الحقيقى اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته لا
تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم

لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته
واسمائه وكفى فى هذا قوله تعالى ليس كمثله شئ ولله در من قال من العلماء
العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة
من الصفات وزاد هذه النكتة بيانا الواسطى وهى مقصودنا فقال ليس كذاته
ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة
اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة كما استحال
ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة
والجماعة رضى الله عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم القشيرى رحمه قوله
هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد
وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهى بوجودها مستغنية وكيف
يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر
واعراض وجد ولا بمباشرة ولا معالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن
هذه الوجوه وقال اخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه
بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالى الجوينى من اطمان الى
موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمان الى النفى المحض فهو معطل
وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن
قول ذى النون المصرى حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله تعالى فى
الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا امزاج وعلة كل شئ صنعه ولا علة
لصنعه وما تصور فى وهمك فالله تعالى بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس
محقق والفصل الاخير تفسير لقوله تعالى ليس كمثله شئ والثانى تفسير
لقوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والثالث تفسير لقوله تعالى انما قولنا
لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات
والتنزيه وجنبنا طرفى الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه و
رحمته الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به
من الخصائص والكرامات قال القاضى ابو الفضل حسب المتأمل ان يحقق
ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن
فى معجزاته عليه السلام فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين
حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن اليها ونذكر شروط المعجزة والتحدى
وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع ورده بل الفناه لاهل ملته
الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا فى محبتهم له ومنماة
لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت فى هذا الباب امهات
معجزاته ومشاهيرها لتدل على عظم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق
والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع

فى

٤٧

فى مشاهير كتب الائمة واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد
سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد
حاله وصواب مقاله صلى الله عليه وسلم لم يمتر فى صحة نبوته صلى الله
عليه وسلم وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد فى اسلامه والايمان
به فروينا عن الترمذى وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله ابن
سلام رضى الله عنه قال لما قدم رسول الله عليه السلام المدينة جئته
لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب
حدثنا به القاضى الشهيد ابو على رحمه الله عليه قال حدثنا ابو الحسين
الصيرفى وابو الفضل بن خيرون عن ابى يعلى البغدادى عن ابى على
السنجى عن ابن محبوب عن الترمذى حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد
الوهاب الثقفى ومحمد بن جعفر وابن ابى عدى ويحيى بن سعيد عن عوف
عن ابى جميلة الاعرابى عن زرارة بن ابى اوفى عن عبد الله بن سلام
الحديث وعن ابى رمثة التيمى قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم ومعى
ابن لى فاريته فلما رايته قلت هذا نبى الله وروى مسلم وغيره ان ضمادا
لما وفد عليه فقال له النبى عليه السلام ان الحمد لله نحمده ونستعينه
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له واشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد على
كلماتك هؤلاء فقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع
بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه راى رسول الله عليه
السلام بالمدينة فقال هل معكم شئ تبيعونه قلنا هذا البعير قال رسول
الله عليه السلام بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار
الى المدينة قلنا بعنا من رجل لا ندرى من هو ومعنا ظعينة فقالت
انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم
فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله اليكم يامركم ان تاكلوا
من هذا التمر وتكتالوا من هذا حتى تستوفوا ففعلنا وفى خبر الجلندى
ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى
الاسلام قال الجلندى والله لقد دلنى على هذا النبى الامى انه لا يامر
بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شئ الا كان اول تارك له وانه
يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفى بالعهد وينجز الموعود واشهد
انه نبى وقال نفطويه فى قوله تعالى يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه
نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه عليه السلام يقول يكاد منظره
يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحه نظم لو لم تكن فيه
رسول الله عليه السلام ايات مبينة لكان منظره عليه السلام

ينبئك بالخبر وقد ان ان نأخذ فى ذكر النبوة والوحى والرسالة وبعده فى معجزة
القران ومافيه من برهان ودلالة **فصل اعلم** ان الله جل اسمه قادر
على خلق المعرفة فى قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع
تكليفاته ابتداء ودون واسطة لوشاء كما حكى عن سنته فى بعض
الانبياء وذكره بعض اهل التفسير فى قوله تعالى وماكان لبشران يكلمه
الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه
ويكون ذلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء عليهم
السلام او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل و
اذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب
تصديقهم فى جميع مااتوا به لان المعجزة مع التحدى من النبى قائم مقام
قول الله تعالى صدق عبدى فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه
فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه
وجده مستوفى فى مصنفات ائمتنا رحمهم الله فالنبوة فى لغة من
همزها مأخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التأويل
تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون
نبى منبأ فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا
عما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة
وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند
مولاه منيفة فالوصفان فى حقه مؤتلفان **واما الرسول** فهو المرسل
ولم يأت فعول بمعنى مفعل فى اللغة الا نادرا وارساله عليه السلام
امر الله تعالى له عليه السلام بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه
من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه
الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبى
والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو
الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبى فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبى الا رسولا
ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا فى
النبوة التى هى الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة والرفعة
بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا فى زيادة الرسالة التى للرسل
وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق
بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارها فى الكلام البليغ
قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبى الى امة او نبى ليس بمرسل الى
احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا ومن

لم يأت



٤٨

لم يأت به نبى غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذى عليه
الجماء الغفير ان كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا واول الرسل ادم و
اخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفى حديث ابى ذر عنه ان الانبياء مائة
الف واربعة وعشرون الف نبى وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر
اولهم ادم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا
للنبى ولا وصف ذات خلافا للكرامية فى تطويل لهم وتهويل ليس عليه
تعويل **واما الوحى** فاصله الاسراع فلما كان النبى عليه السلام يتلقى
ما يأتيه من ربه بعجل سمى وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها
بالوحى الى النبى عليه السلام وسمى الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه
ووحى الحاجب واللحظ سرعة اشارتها ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا اى اومى ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا
اى السرعة وقيل اصل الوحى السر والاخفاء ومنه سمى الالهام وحيا
ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اى يوسوسون
فى صدورهم ومنه قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اى القى فى قلبها
وقد قيل ذلك فى قوله تعالى وماكان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
اى ما يلقيه فى قلبه دون واسطة **فصل** اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت
به الانبياء عليهم السلام معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها
وهى على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم
عنه هو فعل الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمنى الموت وتعجيزهم
عن الاتيان بمثل القران على رأى بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن
قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية
واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الاصابع وانشقاق
القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك على يد النبى من
فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان يأتى بمثله تعجيزا له **واعلم**
ان المعجزات التى ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل
نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة
وابهرهم اية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهى فى كثرتها لا يحيط بها
ضبط فان واحدا منها وهو القران لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين
ولا اكثر لان النبى عليه السلام قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال
اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه
بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما
انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين
قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقران فلا مرية ولا خلاف



بمجئ النبي عليه السلام به وظهوره من قبله عليه السلام واستدلاله بحجته
وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد صلى الله عليه وسلم
فى الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين فى الحجة به فهو فى نفسه وجميع
ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما
سنشرحه قال بعض مشايخنا ويجرى هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه
عليه السلام ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معين القطع فيبلغه
جميعها فلا مرية فى جريان معانيها على يديه عليه السلام ولا يختلف مؤمن
ولا كافر انه جرت على يديه عليه السلام عجايب وانما خلاف المعاند فى كونها
من قبل الله وقدمنا كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم
وقوع مثل هذا ايضا من نبينا صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما
يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم الاحنف لاتفاق الاخبار
الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل
خبر بنفسه لا يوجب العلم لا يقطع بصحته والقسم الثانى مالم يبلغ مبلغ
الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع
الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين
الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد
اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا فى المعنى واجتمعا
على الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضى ابو الفضل رحمه الله وانا اقول
صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الاخبار المأثورة عنه عليه السلام معلومة
بالقطع اما انشقاق القمر فالقران نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل
عن ظاهره الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن
عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا نلتفت الى سخافة مبتدع يلقى
الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بها انفه وننبذ بالعراء سخفه و
كذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقاة والعدد الكثير عن الجم الغفير
عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عن
من حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان فى موطن اجتماع
الكثير منهم فى يوم الخندق وفى غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك
وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة
مخالفة للراوى فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم رأوه كما رآه فسكوت
الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل و
المداهنة فى كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه
منكرا عندهم وغير معروف لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها
من السنن والسير وحروف القران وخطأ بعضهم بعضا ووهمه فى ذلك مما

هو

هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعى من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال
الاخبار التى لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول
الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما نشاهد فى كثير
من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة واعلام نبينا صلى الله عليه
وسلم هذه الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا
ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف
اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا وللطاعن عليها الا
حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون وكان معلوم
من اياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من
ائمتنا القاضى والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهم الله وما اوجب عندى
قول القائل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته
للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق
النقل وطالع الاحاديث والسير لم يرتب فى صحة هذه القصص المشهورة
على الوجه الذى ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد
ولا يحصل عند اخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة
وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون
اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة
والنقل المتواتر عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القران فى الصلوة للمنفرد
والامام واجزاء النية فى اول ليلة من رمضان عن ما سواه وان الشافعى
يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار فى المسح على بعض الرأس وان مذهبهما
القصاص فى القتل بالمحدد وغيره وايجاد النية فى الوضوء واشتراط الولى فى
النكاح وان ابا حنيفة رحمه الله يخالفهما فى هذه المسائل وغيرهم ممن لم
يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعلم هذا من مذاهبهم فضلا عما
سواه وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله
تعالى فصل فى اعجاز القران اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله
العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط
انواعها فى اربعة وجوه اولها حسن تأليفه والتيام كلمه وفصاحته
ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب
هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص
به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان ومن فصل
الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة
وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون
بديها فى المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب

ويمدحون ويقدحون ويتوسّلون ويتوصّلون ويرفعون ويضعون فيأتون
من ذلك بالسحر الحلال ويطوّقون من اوصافهم اجمل من سمط اللآل فيخدعون
الالباب ويذلّلون الصّعاب ويذهبون الاحن ويهيّجون الدّمن ويجرّؤن
الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيّرون النّاقص كاملاً ويتركون
النّبيه خاملاً منهم البدوى ذو اللّفظ الجزل والقول الفصل والكلام
الفخم والطبع الجوهرى والمنزع القوى ومنهم الحضرى ذو البلاغة البارعة
والالفاظ النّاصعة والكلمات الجامعة والطبع السّهل والتصرّف فى
القول القليل الكلفة الكثير الرّونق الرّقيق الحاشية وكلا البابين فلهما
فى البلاغة الحجّة البالغة والقوّة الدّامغة والقدح الفالج والمهيع النّاهج
لا يشكّون انّ الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها
واستنبطوا عيونها ودخلوا من كلّ باب من ابوابها وعلوا صرحاً لبلوغ
اسبابها فقالوا فى الخطير والمهين وتفنّنوا فى الغثّ والسّمين وتقاولوا
فى القلّ والكثر وتساجلوا فى النّظم والنّثر فما راعهم الّا رسول كريم بكتاب
عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
قد احكمت اياته وفصّلت وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته
على كلّ مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه و
تبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كلّ البيان جوامعه وبدايعه
واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم
افسح ما كانوا فى هذا الباب مجالاً واشهر فى الخطابة رجالاً واكثر فى السّجع
والشّعر سجالاً واوسع فى الغريب واللّغة مقالاً بلغتهم الّتى يتحاورون
ومنازعهم الّتى عنها يتناضلون صارخاً بهم فى كلّ حين ومقرّعاً لهم بضعاً
وعشرين عاماً على رؤس الملاء اجمعين ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة
مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم فى
ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا
وقل لئن اجتمعت الانس والجنّ على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون
بمثله الاية وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك انّ المفترى
اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب واللّفظ اذا اتبع
المعنى الصّحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان
يكتب ما يريد وللاوّل على الثّانى فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل
يقرعهم صلّى الله عليه وسلّم اشدّ التّقريع ويوبّخهم غاية التّوبيخ
ويسفّه احلامهم ويحطّ اعلامهم ويشتّت نظامهم ويذمّ الهتهم
واباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم فى كلّ هذا ناكصون
عن معارضته محجمون عن مماثلته مخادعون انفسهم بالتّشغيب

بالتكذيب

بالتّكذيب والاغتراء بالافتراء وقولهم ان هذا الّا سحر يؤثر وسحر مستمرّ وافك
افتراه واساطير الاوّلين والمباهتة والرّضى بالدّنيّة كقولهم قلوبنا غلف
وفى اكنّة ممّا تدعونا اليه وفى اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه لعلّكم تغلبون والادّعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا
مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك
من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله تعالى ما الفوه من فصيح
كلامهم والّا فلم يخف على اهل الميز منهم انّه ليس من نمط فصاحتهم ولا
من جنس بلاغتهم بل ولّوا عنه مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتد و
بين مفتون ولهذا لمّا سمع الوليد بن المغيرة من النّبى عليه السّلام انّ الله
يأمر بالعدل والاحسان الاية قال والله انّ له لحلاوة وانّ عليه لطلاوة
وانّ اسفله لمغدق وانّ اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد انّ
اعرابيّاً سمع رجلاً يقراء فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته
وسمع اخر رجلاً يقراء فلمّا استيئسوا منه خلصوا نجيّاً فقال اشهد انّ مخلوقاً
لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكى انّ عمر بن الخطّاب رضى الله عنه كان يوماً
نائماً فى المسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهّد شهادة الحقّ فاستخبره فاعلمه
انّه من بطارقة الرّوم ممّن يحسن كلام العرب وغيرها وانّه سمع رجلاً من
اسرى المسلمين يقراء اية من كتابكم فتأمّلتها فاذا هى قد جمع فيها ما انزل الله
على عيسى بن مريم من احوال الدّنيا والاخرة وهى قوله تعالى ومن يطع الله
ورسوله ويخش الله ويتّقه فاولئك هم الفائزون وحكى الاصمعى انّه
سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعدّ هذا فصاحة
بعد قوله واوحينا الى امّ موسى ان ارضعيه الاية يجمع فى اية واحدة بين
امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته
غير مضاف الى غيره على التّحقيق والصّحيح من القولين وكون القران من
قبل النّبى عليه السّلام وانّه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السّلام
متحدّياً به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة
وكونه فى فصاحته خارقاً للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة
ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من
اهلها عن معارضته واعتراف المقرّين باعجاز بلاغته وانت واذا
تأمّلت قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة وقوله ولو ترى اذ فزعوا
فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله ادفع بالّتى هى احسن فاذا
الّذى بينك وبينه عداوة كانّه ولىّ حميم وقوله وقيل يا ارض ابلعى
ماءك ويا سماء اقلعى الاية وقوله فكلّاً اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصباً الاية واشباهها من الاى بل اكثر القران حقّقت ما بيّنته

من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها
وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جمالاً كثيرة وفصولاً جمة وعلوماً زواخر
ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات
عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف
في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان اية لمتأمله من
ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة
يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على
كثرة ترددها حتى يكاد كل واحدة منها تنسي في البيان صاحبتها و
تناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا
معاداة لمعادها **فصل** الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب و
الاسلوب الغريب المخالف الاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها
الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم
يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد على مماثلة شيء منه بل
حارت فيه عقولهم وتولهت دونه احلامهم ولم تهتدوا الى مثله في
جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه
صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه السلام عليه القران
رق فجاءه ابو جهل منكراً عليه فقال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار
مني والله ما يشبه الذي يقول عليه السلام شيئاً من هذا وفي خبرة الاخر
حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا
فيه رأياً لا يكذب بعضكم بعضاً فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن
ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما
هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه و
مقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه
ولا عقده قالوا فما تقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئاً الا وانا اعرف
انه باطل وان اقرب القول انه عليه السلام ساحر وانه سحر يفرق
بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا
وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني
ومن خلقت وحيدا الايات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القران
يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئاً الا وقد علمته وقرأته وقلته والله
لقد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا
بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر و
وصف اخاه انيساً فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض

اثنى

اثنى عشر شاعراً في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر
النبي عليه السلام قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد
سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعراء فلم يلتئم
ولا يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه عليه السلام لصادق وانهم
لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين
الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع
اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منها اذ كل واحد خارج
عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة
المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة و
الاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح
ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعاً ومن تفنن في فنون البلاغة
وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد
اختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع
في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تأليفه
واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة
عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب
الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدر
هم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه
وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز القلوب عنه ثابت واقامة
الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم ان يأتوا بمثله قاطع
وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء
ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا
الى ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار
والذل وكانوا من شموخ الانف وابائة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك
اختياراً ولا يرضونه الا اضطراراً والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم
والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح واقطع للعذر وافحام الخصم لديهم
وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما منهم
الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما
جلوا في ذلك خبيئة من نبات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين
مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا
فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه **فصل** الوجه الثالث
من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع
فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام

ان شاء الله امنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين
كله وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض
الاية وقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم
فارس فى بضع سنين ودخل الناس فى الاسلام افواجا فما مات عليه السلام
وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المسلمين فى الارض
ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما
قال عليه السلام زويت لى الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك امتى ما زوى لى منها وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى فى تغييره وتبديل محكمه من الملحدة و
المعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على
خمس مائة عام فما قدروا على اطفاء شئ من نوره ولا تغيير كلمة من كلمه و
تشكيك المسلمين فى حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى سيهزم
الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله تعالى
هو الذى ارسل رسوله بالهدى الاية وقوله لن يضروكم الا اذى وان
يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود
ومقالهم وكذبهم فى حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله تعالى ويقولون
فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله تعالى يخفون فى انفسهم
ما لا يبدون لك الاية وقوله ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون
لقوم اخرين لم ياتوك وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه
الى قوله فى الدين وقد قال مبديا ما قدره الله واعتقده المؤمنون
يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير
ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين ولما
نزلت بشر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه ايا
هم وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا
وقوله تعالى والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام
ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة **فصل** الوجه
الرابع ما انبأ به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرايع
الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب
الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده النبى عليه السلام على وجهه و
ياتى به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم
ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امى لا يقرا ولا يكتب
ولا اشتغل بمدارسة ولا مثاقفة من اهل الذهن الثاقب والبحث
عن الامور لم يغب عليه السلام عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد

كان

كان اهل الكتاب كثيرا ما يسئلونه عليه السلام عن هذا فينزل عليه السلام
من القران ما يتلوا عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر
ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذى القرنين ولقمان وابنه واشباه
ذلك من الانباء والقصص وبدء الخلق وما فى التورية والانجيل والزبور
وصحف ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب
ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق له من خير ومن شقى
معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة
عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما فى كتبهم و
تقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام و
تعنيتهم اياه عليه السلام عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات
سيرهم واعلامه عليه السلام لهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات كتبهم
مثل سؤالهم عن الروح وذى القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم
الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات
كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله تعالى ذلك مثلهم فى التورية
ومثلهم فى الانجيل الاية وغير ذلك من امورهم التى نزل فيها القران
فاجابهم وعرفهم بما اوحى اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثر
هم صرح بصحة نبوته عليه السلام وصدق مقاله واعترف بعناده
وحسدهم اياه عليه السلام كاهل نجران وابن صوريا وابنى خطب وغير
هم ومن باهت فى ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما
حكاه عليه السلام مخالفة دعى الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له
فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله انهم الظالمون عليه السلام
فقرع ووبخ ودعى الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده و
متواقح يلقى على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف
قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا اهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب و
يعفو عن كثير الايتين **فصل** هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع
فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة فى اعجازه من غير هذه الوجوه آى
وردت بتعجيز قوم فى قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها كما فعلوا
وما قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند
الله الاية قال ابو اسحق الزجاج فى هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة
على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم عليه السلام انهم
لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبى عليه السلام والذى نفسى
بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعنى يموت مكانه فصرفهم الله

من تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحى اليه اذ لم يتمنه احد وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه و هذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الاية ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها **فصل** ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله و انافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه و يزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان هذا القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا و تكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال الله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته الاية ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وامن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي عليه السلام يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله تعالى المسيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الاسلام في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي عليه السلام فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي عليه السلام يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمدا عليهما حتى انتهى عليه السلام الى السجدة فسجد النبي عليه السلام وقام عتبة لا تدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى

قومه

قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني عليه السلام بكلام ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي عن ابن المقفع انه طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك الاية فرجع ومحى ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس في زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني منه خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة والاوبة **فصل** ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه اية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الانبياء انقرضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقران العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم منذ خمس مائة عام وخمس وثلثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة و الاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه **فصل** وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في البلاغة والحسن مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القران بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم ينته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء

الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرايع والتنبيه
على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة
سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة
مثلها فلم يقدروا عليها كقوله اوليس الذى خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذى انشأها اول مرة ولو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ
والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب والشيم قال الله جل اسمه
ما فرطنا فى الكتاب من شئ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ لقد
ضربنا للناس فى هذا القران من كل مثل وقال عليه السلام ان الله انزل
هذا القران امرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما
كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا ينقضى عجايبه
هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج
ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم
ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر
الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع
عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب
ولا تنقضى عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود رض و
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه
نبأ الاولين والاخرين وفى الحديث قال الله لمحمد عليه السلام انى منزل
عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فيها
ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقران
فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى ان هذا القران يقص على
بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى
الاية فجمع [illegible] مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما فى الكتب
قبله التى الفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل
والمدلول وذلك انه احتج بنظم القران وحسن وصفه وايجازه وبلاغته
واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالى له يفهم
موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها
ان جعله فى حيز المنظوم الذى لم يعهد ولم يكن فى حيز المنثور لان
المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمح فى الاذان واحلى
فى الافهام فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره
تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر وساير الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجم

الغفير على مرور السنين عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان فى اقرب مدة
ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتيام اقسامها
وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف
معانيها وانقسام السورة الواحدة على امر ونهى وخبر واستخبار ووعد
ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب الى غير ذلك
من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل
هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه
فتأمل اول سورة ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم
باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد عليه السلام و
تعجبهم مما اتى عليه السلام به والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر وما
ظهر من الحسد فى كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزى الدنيا
والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل
مصابهم وتصبير النبى عليه السلام على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره
ثم اخذ فى ذكر داود وقصص الانبياء عليهم السلام كل هذا فى اوجز كلام
واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التى انطوت عليها الكلمات القليلة
وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر فى اعجاز القران الى وجوه كثيرة ذكرها
الائمة لم نذكرها اكثرها داخل فى باب بلاغته فلا يجب ان يعد فنا منفردا
فى اعجازه الا فى باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا
ذكره عنهم يعد فى خواصه وفضائله لا فى اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه
الاربعة التى ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القران وعجايبه
التى لا تنقضى وبالله التوفيق **فصل** فى انشقاق القمر وحبس الشمس قال
الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر
مستمر اخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضى واعراض الكفرة عن اياته
واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ
من كتابه حدثنا القاضى سراج الدين عبد الله ثنا الاصيلى ثنا المروزى
ثنا الفربرى ثنا البخارى ثنا مسدد ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة وسفيان
عن الاعمش عن ابراهيم عن ابى معمر عن ابن مسعود رض قال انشق القمر على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة
دونه فقال رسول الله عليه السلام اشهدوا وفى رواية مجاهد ونحن
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى بعض طرق الاعمش ونحن
بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى رأيت الجبل
بين فرجتى القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار
قريش سحركم ابن ابى كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا

يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسئلوا من يأتيكم من بلد اخر هل رأوا هذا
فاتوا فسئلوهم فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندى عن الضحاك
نحوه وقال قال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى ينظروا راوا ذلك
ام لا فاخبر اهل الافاق انهم رأوه منشقا فقالوا يعنى الكفار هذا سحر مستمر
ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد الله وقد رواه
غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر و
حذيفة وعلى وجبير بن مطعم رض فقال على من رواية ابى حذيفة الارحبى
انشق القمر ونحن مع النبى عليه السلام وعن انس رض سئال اهل مكة النبى
صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى راوا
حراء بينهما ورواه عن انس قتادة وفى رواية معمر وغيره عن قتادة عنه
اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه
عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن
حذيفة ابو عبد الرحمن السلمى ومسلم بن ابى عمران الازدى واكثر طرق
هذه الاحاديث صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول
بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شىء ظاهر لجميعهم اذ لم
ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا
عن من لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس
القمر فى حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين
وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابلتهم من اقطار الارض او يحول
بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات فى بعض البلاد دون
بعض وفى بعضها جزئية وفى بعضها كلية وفى بعضها لا يعرفها الا المدعون
لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم واية القمر كانت ليلا والعادة من الناس
بالليل الهدوء والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف
من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف
القمرى كثيرا فى البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما تحدث الثقات
بعجايب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر فى الاحيان بالليل
فى السماء ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوى فى مشكل الحديث عن اسماء
بنت عميس من طريقين ان النبى عليه السلام كان يوحى اليه ورأسه فى
حجر على رض فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصليت يا على قال لا فقال رسول الله عليه السلام
اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس شرقها
قالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال

والارض

والارض وذلك بالصهباء فى خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقاة
وحكى الطحاوى عن احمد بن صالح كان يقول لا ينبغى لمن سبيله العلم التخلف
عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير فى
زيادة المغازى فى روايته عن ابن اسحق لما اسرى برسول الله عليه السلام
واخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير قالوا متى تجئ قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الاربعاء فلما كانت ذلك اليوم اشرفت
قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا النبى عليه السلام فزيد له
عليه السلام فى النهار ساعة وحبست عليه الشمس وهذان الحديثان
ورواتهما ثقاة **فصل فى نبع الماء** من بين اصابعه وتكثيره ببركته عليه
السلام اما الاحاديث فى هذا فكثيرة جدا وروى حديث نبع الماء من بين
اصابعه جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم منهم انس وجابر وابن
مسعود حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتى عليه
ثنا القاضى عيسى بن سهل ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو عمر بن
الفخار ثنا ابو عيسى ثنا يحيى ثنا عبد الله ثنا مالك عن اسحق بن
عبد الله بن ابى طلحة عن انس بن مالك رأيت رسول الله عليه
السلام وحانت صلوة العصر فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجدوه
فاتى رسول الله عليه السلام بوضوء فوضع رسول الله عليه السلام
فى ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرايت الماء ينبع
من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند اخرهم ورواه
ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر
قال كم كنتم قال زهاء ثلثمائة وفى رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق
ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفى رواية حميد قلت كم
كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا
واما ابن مسعود ففى الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتى بماء فصبه فى اناء ثم وضع
كفه فيه فجعل الماء ينبع من اصابعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفى الصحيح عن سالم بن ابى الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحد
يبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها
واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا فى ركوتك فوضع
النبى عليه السلام يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه
كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قالوا لو كنا مائة الف لكفانا كنا
خمس عشرة مائة وروى مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية

وفى رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه فى حديث مسلم الطويل فى
ذكر غزوة بواط قال قال لى رسول الله عليه السلام يا جابر ناد الوضوء
وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة فى عزلاء شجب فاتى به النبى
عليه السلام فغمزه وتكلم بشئ لا ادرى ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت
بها فوضعتها بين يديه وذكر النبى عليه السلام بسط يده فى الجفنة و
فرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرأيت الماء يفور من
بين اصابعه عليه السلام ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت
وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقى احد له حاجة
فرفع النبى عليه السلام يده من الجفنة وهى ملأى وعن الشعبى ان
رسول الله عليه السلام فى بعض اسفاره بادارة ماء وقيل ما معنا يا
رسول الله ماء غيرها فسكبها فى ركوة ووضع رسول الله عليه السلام
اصبعه وسطها وغمسها فى الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤن ثم
يقومون قال الترمذى وفى الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا فى
هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا يتطرق التهمة الى المحدث به
لانهم كانوا اسرع شئ الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك
ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه
ونسبوا حضور الجماء الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا
به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له **فصل** ومما
يشبه هذا من معجزاته عليه السلام تفجير الماء ببركته عليه السلام و
انبعاثه بمسه عليه السلام ودعوته مما روى مالك فى الموطأ عن
معاذ بن جبل فى قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهى تبض بشئ
من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع فى شئ ثم غسل
رسول الله عليه السلام فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء
كثير فاستقى الناس قال فى حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس
كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ماء
ههنا قد ملئ جنانا وفى حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم فى
قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروى خمسين شاة فنزحنا
ها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله عليه السلام على جباها قال
البراء واتى بدلو منها فبصق رسول الله عليه السلام فدعا وقال سلمة
فاما دعا واما بصق فيها فجاشت البئر فارووا انفسهم وركابهم وفى غير
هذين الروايتين فى هذه القصة من طريق ابن شهاب فى الحديبية فاخرج
سهما من كنانته فوضع رسول الله عليه السلام فى قعر قليب ليس فيه
ماء فروى الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابى قتادة وذكر ان الناس

شكوا الى رسول الله عليه السلام العطش فى بعض اسفاره فدعا بالميضأة فجعلها
فى ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملؤا
كل اناء معهم فخيل الى انها كما اخذها منى وكانوا اثنين وسبعين رجلا
وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبرى حديث ابى قتادة على غير ما ذكره
اهل الصحيح وان النبى عليه السلام خرج بهم ممدا لاهل مؤتة عند ما
بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وايات للنبى صلى الله
عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء فى غد وذكر حديث الميضأة
قال والقوم زهاء ثلثمائة وفى كتاب مسلم انه قال لابى قتادة احفظ على
ميضأتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن
حصين حين اصاب النبى عليه السلام واصحابه عطش فى بعض اسفارهم
فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير
عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى النبى عليه السلام فجعل
فى اناء من مزادتيها وقال رسول الله عليه السلام فيه ما شاء الله ان
يقول عليه السلام ثم اعاد الماء فى المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس
فملؤا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤه قال عمران ويخيل الى انهما
لم تزدادا الا امتلاء ثم وقال رسول الله عليه السلام امر فجمع للمرأة من
الازواد حتى ملاء ثوبها وقال رسول الله عليه السلام اذهبى فانا لم
ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع
قال النبى عليه السلام هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها
فى قدح فتوضأ فاكلها ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفى حديث
عمر ونحن فى جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر
بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابوبكر رض الى النبى عليه السلام فى
الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم
من انية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبى
عليه السلام وهو رديفه بذى المجاز عطشت وليس عندى ماء فنزل النبى
عليه السلام وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث فى
هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه **فصل**
ومن معجزاته رسول الله عليه السلام تكثير الطعام ببركته ودعائه
حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه **ثنا** العذرى **ثنا** الرازى **ثنا** الجلودى
ثنا ابن سفيان **ثنا** مسلم بن الحجاج **ثنا** سلمة بن شبيب **ثنا** الحسن بن
اعين **ثنا** معقل عن ابى الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه
وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال ياكل منه وامرأته
وضيفه حتى كاله فاتى النبى عليه السلام فاخبره فقال لولم تكله

لا كلهم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابى طلحة المشهود واطعامه صلى
الله عليه وسلم ثمانين رجلا او سبعين من اقراص من شعير جاء به انس
تحت يده اى ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث
جابر فى اطعامه عليه السلام يوم الخندق الف رجل من صاع شعير
وعناق وقال جابر واقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان
برمتنا لتغط كما هى وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله عليه السلام بصق
فى العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن
ثابت مثله عن رجل من الانصار وامرأة ولم يسمها قال وجىء بمالء الكف
فجعل رسول الله عليه السلام يبسطها فى الاناء ويقول ما شاء الله
فاكل من فى البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلاء ممن قدم معه عليه
السلام لذلك وبقى بعدما شبعوا مثل ما كان فى الاناء وحديث ابى
ايوب انه صنع لرسول الله عليه السلام ولابى بكر من الطعام زهاء ما
يكفيهما فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ادع ثلثين من اشراف الانصار
فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال رسول الله عليه السلام ادع ستين
فكان مثل ذلك ثم قال رسول الله عليه السلام ادع سبعين فاكلوا
حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من
طعامى مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب اتى النبى عليه السلام
بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم ويقعد اخرون ومن
ذلك حديث عبد الرحمن بن ابى بكر كنا مع النبى عليه السلام ثلاثين ومائة
وذكر فى الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوى سواد بطنها
قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا قد عليه السلام حز له حزة من
سواد بطنها ثم جعل عليه السلام منها قصعتان فاكلنا اجمعون وفضل
فى القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابى عمرة الانصارى
عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابى هريرة وعمر بن الخطاب رضى الله
عنهم فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبى عليه السلام فى بعض
مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام فوق
ذلك واعلاهم الذى اتى بالصاع من التمر فجمعه رسول الله عليه السلام
على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا عليه السلام الناس
باوعيتهم فما بقى فى الجيش وعاء الا ملؤه وبقى منه قدر ما جعل اولا و
اكثر ولو دعا اهل الارض لكفاهم وعن ابى هريرة امرنى النبى عليه السلام
ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة
فاكلنا منها ما شئنا وفرغنا وهى مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر
الاصابع وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه جمع رسول الله عليه

وسلم

وسلم بنى عبد المطلب وكانوا اربعين منهم من يأكل الجذعة ويشرب الفرق
فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو ثم دعا بعس فشربوا
حتى رووا وبقى كانه لم يشرب وقال انس ان النبى عليه السلام حين ابتنى
بزينب امره عليه السلام ان يدعو له عليه السلام قوما سماهم وكل من لقيته
حتى امتلأت البيت والحجرة وقدم لهم تورا فيه قدر مد من تمر ثم جعل
حيسا فوضعه عليه السلام قدامه عليه السلام وغمس ثلث اصابعه وجعل
القوم يتغذون ويخرجون وبقى التور نحوا مما كان وكان القوم احدا واثنين
وسبعين رجلا وفى رواية اخرى فى هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا
زهاء ثلثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال رسول الله عليه السلام لى ارفع
فلا ادرى حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وفى حديث جعفر بن محمد عن
ابيه عن على ان فاطمة طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا الى النبى عليه
السلام ليتغذى معهما فامرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له
عليه السلام ولعلى ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا
منها ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب ان يزود اربع مائة راكب من احمس
فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هى الا اصوع قال اذهب فذهب
فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقى بحاله من رواية
دكين الاخمسى ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر
بعينه الا انه قال اربع مائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر
فى دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه
ولم يكن فى ثمرها سنين كفاف دينهم فجاءه النبى عليه السلام بعد ان
امر بجدها وجعلها بيادر فى اصولها فمشى عليه السلام فيها فدعا فاوفى
منها جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون فى كل سنة وفى رواية
مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فتعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة
رض اصاب الناس مخمصة فقال لى رسول الله عليه وسلم هل من شىء قلت
نعم شىء من التمر فى المزود قال فأتنى به فادخل يده عليه السلام فى المزود
فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا
ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به فادخل
يدك واقبض منه شيئا ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت منه
واطعمت حياة رسول الله عليه السلام وابى بكر وعمر الى ان قتل عثمان
فانتهب منى فذهب وفى رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق
فى سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية فى غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة
تمرة ومنه ايضا حديث ابى هريرة رض حين اصابه الجوع فاستتبعه النبى
عليه السلام فوجد لبنا فى قدح قد اهدى اليه وامره ان يدعو اهل الصفة قال

فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم
وذكر امر النبي عليه السلام له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب
حتى يروى ثم يأخذه الاخر حتى يروى جميعهم قال فاخذ النبي عليه
السلام القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب
وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق لا اجد له مسلكا
فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى
انه اجزر النبي عليه السلام شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة
فلا تبد عياله عظما عظما وان النبي عليه السلام اكل من هذه الشاة و
جعل فضلتها في دلو خالد ودعا بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا و
افضلوا ذكر خبره الدولابي وفي حديث الاجري في انكاح النبي عليه
السلام لعلي فاطمة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة
من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك
فطعن عليه السلام في رأسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة يأكلون
منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فترك النبي عليه السلام فيها و
امر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث انس
تزوج النبي عليه السلام فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور
وبعثتني به الى رسول الله عليه السلام فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا
ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء
ثلثمائة حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبي عليه السلام تحلقوا
عشرة عشرة ووضع النبي عليه السلام يده على الطعام فدعا فيه وقال
رسول الله عليه السلام ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا
كلهم فقال عليه السلام لي ارفع فما ادري احين وضعت كان اكثر ام
حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلثة في الصحيح وقد اجتمع على
معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من
التابعين ثم من لا ينعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة
ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكره
فصل في كلام الشجر وشهادتها له رسول الله عليه السلام بالنبوة
واجابتها دعوته عليه السلام حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ
الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي
القاسم البغوي ثنا احمد بن عمران الاخنسي ثنا ابو حيان التيمي وكان
صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر فدنا منه عليه السلام اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى
اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال رسول الله عليه السلام تشهد

ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد
لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها تجيبك
قال فدعوتها فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها
ثلثا فشهدت انه كما قال رجعت الى مكانها وعن بريدة سأل اعرابي
النبي عليه السلام اية فقال له النبي عليه السلام قل لتلك الشجرة رسول
الله عليه السلام يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين
يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها
مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله عليه السلام فقالت السلام
عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت
فدلت عروقها في ذلك فاستوت فقال الاعرابي ايذن لي ان اسجد لك
قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال
فاذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن
عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي
حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق
رسول الله عليه السلام الى احديهما فاخذ بغصن من اغصانها
فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي
يصانع قائده وذكر انه فعل رسول الله عليه السلام بالاخرى
مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال رسول الله عليه السلام
التئما علي باذن الله فالتأمتا وفي رواية اخرى فقال رسول الله
عليه السلام يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله الحقي بصا
حبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس
خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله
مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف
رسول الله عليه السلام وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى
اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله عليه السلام في بعض مغازيه
هل تعني مكانا لحاجة رسول الله عليه السلام فقلت ان الوادي ما
فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة فقلت ارى نخلات
متقاربات قال رسول الله عليه السلام انطلق وقل لهن ان رسول
الله عليه السلام يأمركن ان تأتين لمخرجه عليه السلام وقل للحجارة
مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات
يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما
قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن
والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت

مع النبي عليه السلام في مسيره وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر
النبي عليه السلام وديتين فانضمتا وفي رواية اشاتين وعن غيلان بن
سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي عليه السلام مثله
في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء رآها من
رسول الله عليه السلام فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم
رجعت الى منبتها فقال رسول الله عليه السلام انها استأذنت ان تسلم
علي وفي حديث عبد الله بن مسعود اذنت النبي عليه السلام بالجن ليلة
استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا
من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها
قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل فهذا
ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد
وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على
هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم
فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك انه عليه
السلام سار في غزوة الطائف ليلا وهو النبي عليه السلام وسن فاعترض
ضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز النبي عليه السلام بينهما
وبقيت على ساقين الى وقتنا هذا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك
حديث انس ان جبرئيل قال للنبي عليه السلام ورآه حزينا اتحب ان
اريك اية قال رسول الله عليه السلام نعم فنظر رسول الله عليه
السلام الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي
حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو
هذا ولم يذكر فيها جبرئيل قال عليه السلام اللهم ارني اية لا ابالي
بمن كذبني بعدها فدعى شجرة وذكر مثله وحزنه عليه السلام لتكذيب
قومه وطلبه الاية لهم لا له وذكر ابن اسحق ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اراى ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت حتى
وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه عليه السلام
شكى الى ربه من قومه وانهم يخوفونه عليه السلام وسأله اية يعلم
عليه السلام بها ان لا مخافة عليه فاوحى الله اليه عليه السلام ان
أيت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط
الارض خطا حتى انتصب بين يديه عليه السلام فحبسه ما شاء الله ثم
قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يارب علمت ان لا مخافة علي ونحو منه
عن عمر وقال فيه ارني اية لا ابالي بمن كذبني بعدها وذكر نحوه وعن
ابن عباس انه عليه السلام قال لاعرابي رأيت ان دعوت هذا العذق

من هذه

من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه عليه السلام فجعل
ينقز حتى اتاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع فعاد الى مكانه
وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح فصل في قصة حنين الجذع
ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر
والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر
صحابيا منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله
بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري
وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة رضوان الله عليهم اجمعين
كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح قال
جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي
عليه السلام اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا
لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس حتى ارتج المسجد
بخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفي رواية المطلب
وابي حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي عليه السلام فوضع يده عليه
فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد
من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم
القيمة تحزنا على رسول الله عليه السلام فامر به رسول الله عليه
السلام فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق
عن انس وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره او جعلت
في السقف وفي حديث ابي فكان اذا صلى صلى الله عليه وسلم صلى اليه
فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا
وذكر الاسفرائني ان النبي عليه السلام دعاه الى نفسه فجاء
يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة
فقال يعني النبي عليه السلام ان شئت اردك الى الحائط الذي
كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة
وان شئت اغرسك في الجنة فيأكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى
له النبي عليه السلام يسمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل
مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال
النبي عليه السلام قد فعلت ثم قال رسول الله عليه السلام
اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث بهذا بكى
وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله عليه السلام شوقا
اليه رسول الله عليه السلام لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى
لقائه عليه السلام رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله

بن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابى كرب وكريب وابو
صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت واسحق بن ابى طلحة ورواه
عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الوداك عن ابى سعيد
وعمار بن ابى عمار عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد
عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة
عن ابيه والطفيل بن ابى عن ابيه قال القاضى ابو الفضل رحمه فهذا
حديث كما تراه خرجه اهل الصحة ورواه من الصحابة رضى الله عنهم
من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره وبمن دون هذا
العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب **فصل**
ومثل هذا فى سائر الجمادات **حدثنا** القاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى
التميمى **ثنا** القاضى ابو عبد الله محمد بن المرابط **ثنا** المهلب ابو القاسم
ثنا ابو الحسن القابسى **ثنا** المروزى **ثنا** الفربرى **ثنا** البخارى **ثنا**
محمد بن المثنى **ثنا** ابو احمد الزبيرى قال **ثنا** اسرائيل عن منصور عن
ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل
وفى غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله عليه السلام
الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس اخذ النبى عليه السلام كفا من حصى
فسبحن فى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن
عليه السلام فى يد ابى بكر فسبحن ثم فى ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر
وذكر انهن سبحن فى كف عمر وعثمان وقال على كنا بمكة مع رسول الله
عليه السلام فخرج الى بعض نواحيها فما استقبلته شجرة ولا جبل الا قال
له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام انى
لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قيل انه الحجر الاسود وعن عايشة رض
لما استقبلنى جبرئيل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام
عليك يا رسول الله عليه السلام وعن جابر بن عبد الله لم يكن صلى الله
عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفى حديث العباس اذا اشتمل عليه
النبى عليه السلام وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره
النبى عليه السلام اياهم بملاءته فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت
آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبى عليه السلام فاتاه
جبرئيل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح
وعن انس صعد النبى عليه السلام وابو بكر وعمر وعثمان رضى الله
عنهم احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبى وصديق و
شهيدان ومثله عن ابى هريرة فى حراء وزاد معه وعلى وطلحة والزبير
وقال انما عليك نبى او صديق او شهيد والخبر فى حراء ايضا عن

عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت
الاثنين وفى حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد
روى انه عليه السلام حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله
فانى اخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله فقال حراء الى يا رسول الله
وروى ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله
حق قدره ثم قال رسول الله عليه السلام يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا
الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا النبى عليه السلام ليخرن
عنه وعن ابن عباس رض كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة
الارجل بالرصاص فى الحجارة فلما دخل رسول الله عليه السلام المسجد
عام الفتح جعل يشير بقضيب فى يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق
الباطل الاية فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه
حتى ما بقى منها صنم ومثله فى حديث ابن مسعود وقال جعل يطعنها ويقول
جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب
فى ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد
فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد النبى عليه السلام فقال هذا سيد
العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك
قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا يسجد الا لنبى وذكر
القصة ثم قال واقبل النبى عليه السلام وعليه غمامة تظله فلما دنى من
القوم وجدهم سبقوه الى فىء الشجرة فلما جلس مال الفىء اليه صلى الله عليه
وسلم **فصل** فى الايات فى ضروب الحيوانات **حدثنا** سراج بن عبد الملك ابو
الحسين الحافظ **ثنا** ابى **ثنا** القاضى يونس **ثنا** ابو الفضل الصقلى **ثنا** ثابت
بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا **ثنا** ابو العلاء احمد بن عمران **ثنا**
محمد بن فضيل **ثنا** يونس بن عمرو **ثنا** مجاهد عن عايشة رضى الله تعالى
عنها قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله عليه السلام
قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب اذا خرج رسول الله عليه السلام
جاء وذهب وروى عن عمر رض ان النبى عليه السلام كان فى محفل
من اصحابه اذ جاء اعرابى قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبى الله فقال
واللات والعزى لا اؤمن بك حتى يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدى
النبى عليه السلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان
مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيمة قال
رسول الله عليه وسلم من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض
سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه قال رسول
الله عليه السلام فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد

افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك كلام الذئب
المشهور عن ابي سعيد الخدري بينما راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة
منها فاخذها الراعي منه فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت
بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب
الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله عليه السلام بين الحرتين يحدث
الناس بانباء ما قد سلف فاتى الاعرابي الى النبي عليه السلام فاخبره فقال
النبي عليه السلام قم فحدث ثم قال رسول الله عليه السلام صدق
والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذئب عن ابي هريرة وفي
بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت
نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة
واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب
فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها حتى
ترجع فاسلم اليه الرجل غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده
النبي عليه السلام يقاتل فقال له النبي عليه السلام عد الى غنمك تجدها
بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب منها شاة وعن اهبان بن اوس وانه
كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن
الاكوع وانه كان صاحب هذه القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث
ابي سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب
وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف
الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة
يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى
لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روى مثل هذا الخبر وانه جرى
لابي جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه
وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي عليه السلام فاذا طائر سقط فقال
يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه
وعن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبي عليه السلام وآمن به وهو على
بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف لي
بالغنم قال رسول الله عليه السلام احصب وجوهها فان الله سيؤدي
عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى
اهلها وعن انس دخل النبي عليه السلام حائط انصاري وابو بكر وعمر
ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له عليه السلام فقال
ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة دخل النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له عليه السلام وذكر مثله و
مثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد
الله جعفر قال وكان لا يدخل احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل
عليه النبي عليه السلام دعاه عليه السلام فوضع مشفره في الارض
وبرك بين يديه عليه السلام فخطمه وقال رسول الله عليه السلام
ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس
ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل ان النبي
عليه السلام سألهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي رواية
ان النبي عليه السلام قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية
انه شكى الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل من
صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها النبي عليه
السلام وتعريفها بنفسها ومبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب الوحوش
عنها وندائهم لها انك لمحمد عليه السلام وانها لم تاكل ولم تشرب
بعد موته عليه السلام حتى ماتت ذكره الاسفرائني وروى ابن وهب
ان حمام مكة اظلت النبي عليه السلام يوم فتحها فدعا لها بالبركة
وروي عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي عليه
السلام ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه النبي عليه السلام فسترته
وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث اخر وان العنكبوت نسجت
على بابه فلما اتى الطالبون له عليه السلام راوا ذلك قالوا لو كان فيه
احد لم يكن الحمامتان ببابه والنبي عليه السلام يسمع كلامهم فانصرفوا وعن
عبد الله بن قرط قدم الى النبي عليه السلام بدنات خمس او ست او سبع لينحرها
يوم عيد فازدلفن اليه عليه السلام بايتهن يبدا وعن ام سلمة كان
النبي عليه السلام في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله فقال ما حاجتك
قالت صادني هذا اعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى
اذهب فارضعهما وارجع قال رسول الله عليه السلام وتفعلين قالت
نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول
الله الك حاجة قال رسول الله عليه السلام تطلق هذه الظبية فاطلقها
فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول
الله ومن هذا الباب ما روي في تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله
عليه السلام اذ وجهه عليه السلام الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه
انه مولى رسول الله عليه السلام ومعه كتابه فهمهم الاسد وتنحى
عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة
انكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق
واخذ عليه السلام باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم
خلاها عليه السلام فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها
بعد وما روى عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذى اصابه
عليه السلام بخيبر وقال له عليه السلام اسمي يزيد بن شهاب فسماه
النبي عليه السلام يعفورا وانه يوجهه الى دور اصحابه فيضرب
عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وان النبي عليه السلام لما مات تردى
في بئر جزعا عليه وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي
عليه السلام لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي حديث الغنم التي
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش
ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلث مائة فحلبها رسول الله عليه السلام
فاروى عليه السلام الجند ثم قال رسول الله عليه السلام لرافع املكها
وما اريك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه رافع ابن قانع وغيره و
فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذى جاء بها هو الذى
ذهب بها وقال لفرسه عليه السلام وقد قام عليه السلام الى الصلوة
في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى تفرغ من صلاتنا وجعله
قبلته فما حرك عضوا حتى صلى رسول الله عليه السلام ويلتحق بهذا
ما رواه الواقدي ان النبي عليه السلام لما وجه رسله للملوك فخرج
ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم
الذى بعثه عليه السلام اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا
منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة

فصل في احياء الموتى وكلامهم له عليه السلام وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم
له عليه السلام بالنبوة صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو الوليد هشام
بن احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي
ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا حدثنا
ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى
ثنا احمد بن سعيد ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا وهب بن بقية
عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة
ان يهودية اهدت للنبي عليه السلام بخيبر شاة مصلية سمتها
فاكل النبي صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا
ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال رسول
الله عليه السلام لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا
لم يضرك الذى صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال رسول

الله

الله عليه السلام فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت
اردت قتلك فقال رسول الله عليه السلام ما كان الله ليسلطك على ذلك
فقالوا الا نقتلها قال رسول الله عليه السلام لا وكذلك روي عن ابي هريرة
من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفي
رواية اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها النبي عليه السلام وفي
رواية الحسن ان فخذها تكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة عن
عبد الرحمن قالت اني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه فتجاوز
عليه السلام عنها وفي الحديث الاخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها في
لهوات رسول الله عليه السلام وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله عليه
السلام قال في وجعه الذى مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعادني فالان
اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال
ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله عليه السلام قتل اليهودية
التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة و
انس وجابر وفي رواية ابن عباس انه رفعها لاولياء بشر بن البراء
فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله الذى سحره قال الواقدي وعفوه
عليه السلام عنه اثبت عندنا وروي عنه انه قتله وروى الحديث
البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في اخره فبسط يده وقال
كلوا باسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر احدا منا قال القاضي ابو
الفضل رحمه وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه
الائمة وهو حديث مشهور واختلف ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن
قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة او الحجر او الشجر و
حروف واصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها
ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما
الله واخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة اولا ثم الكلام بعده وحكي
هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم يجعل
الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع
عدم الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا
بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي
من بين سائر متكلمي الفرق في احالة وجود الكلام اللفظي والحروف
والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف
والاصوات والتزم ذلك في الحصا والجذع والذراع وقال ان الله تعالى
جل جلاله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا والة امكنها بها من

الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به اكد من التهمم بنقل تسبيحه
او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على
سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه فى النظر والموفق الله وروى وكيع
رفعه عن فهد بن عطية ان النبى عليه السلام اتى بصبى قد شب لم
يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله وروى عن معرض بن معيقيب
رأيت من النبى عليه السلام عجبا جئ بصبى يوم ولد فذكر مثله وهو
حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه
قال له النبى عليه السلام صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم
يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة
بمكة فى حجة الوداع وعن الحسن اتى رجل النبى عليه السلام فذكر
له رسول الله عليه السلام انه طرح بنية له فى وادى كذا فانطلق معه
الى الوادى وناداها باسمها يا فلانة اجيبى باذن الله فخرجت وهى
تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان
اردك عليهما قالت لا حاجة لى فيهما وجدت الله خيرا لى منهما وعن
انس ان شابا من الانصار توفى وله ام عجوز عمياء فسجيناه و
عزيناها فقالت مات ابنى قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت
اليك والى نبيك رجاء ان تعيننى على كل شدة فلا تحملنى على هذه المصيبة
فابرحنا الى ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبد
الله عبيد الانصارى كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان
قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر
الصديق عمر الشهيد وعثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر
عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا فى بعض ازقة المدينة
فرفع وسجى اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول
انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبى الامى
وخاتم النبيين كان ذلك فى الكتاب الاول ثم قال صدق صدق
وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله و
رحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فسبحان القدير لا اله الا هو
محى الموتى فصل فى ابراء المرضى وذوى العاهات اخبرنا ابو الحسن
على بن مشرف فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال ثنا ابو اسحق
الحبال قال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الورد عن البرقى عن
ابن هشام عن زياد البكائى عن محمد بن اسحق ثنا ابن شهاب وعاصم
ابن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية احد بطولها قال وقالوا قال
سعد بن ابى وقاص رضى ان رسول الله عليه السلام ليناولنى السهم

لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله عليه السلام يومئذ عن
قوسه حتى اندقت سيتها كذا فى السير واصيبت يومئذ عين قتادة يعنى
ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله عليه السلام
فكانت احسن عينيه واحدهما وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن
قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدرى
عن قتادة وبصق رسول الله عليه السلام على اثر سهم فى وجه ابى
قتادة يوم ذى قرد قال فما ضرب على ولا قاح وروى النسائى عن
عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لى عن
بصرى قال رسول الله عليه السلام انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين
ثم قل اللهم انى اسئلك واتوجه اليك بنبى محمد نبى الرحمة يا محمد
انى اتوجه بك الى ربك وربى ان يكشف عن بصرى اللهم شفعه
فى قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروى ان ابن ملاعب الاسنة
اصابه استسقاء فبعث الى النبى عليه السلام فاخذ عليه السلام بيده
حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى
ان قد هزئ به عليه السلام فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله
وذكر العقيلى عن حبيب بن فديك ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه
فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله عليه السلام فى عينيه فابصر
فرأيته يدخل الخيط فى الابرة وهو ابن ثمانين ورمى كلثوم بن الحصين
يوم احد فى نحره فبصق رسول الله عليه السلام فيه فبرأ وتفل عليه
السلام على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل فى عينى على يوم خيبر
وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث عليه السلام على ضربة بساق سلمة بن
الاكوع يوم خيبر فبرئت وفى رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف
الى الكعب حين قتل كعب ابن الاشرف فبرئت وعلى ساق على بن الحكم
يوم الخندق اذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى
على بن ابى طالب فجعل رسول الله عليه السلام يدعو له فقال النبى
عليه السلام اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك
الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده
فبصق رسول الله عليه السلام عليها والصقها فلصقت رواه ابن وهب
ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول
الله عليه السلام بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول
الله عليه السلام ونفث عليه حتى صح واتته امرأة من خثعم معها
صبى به بلاء لا يتكلم فاتى بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها
اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول

الناس وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع
ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى وانكفأت القدر على ذراع
محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ لحينه و
كانت شرحبيل الجعفى سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة
فشكاها للنبى صلى الله عليه وسلم فمازال عليه السلام يطحنها بكفه
حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسألته جارية طعاما وهو النبى عليه السلام
يأكل فناولها من بين يديه النبى عليه السلام وكانت قليلة الحياء
فقالت انما اريد من الذى فى فيك فناولها النبى عليه السلام ما فى فيه
ولم يكن يسئل شيئا فيمنعه فلما استقر فى جوفها القى عليها من الحياء ما
لم تكن امرأة بالمدينة اشد حياء منها **فصل فى اجابة** دعائه صلى
الله عليه وسلم وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبى عليه
السلام لجماعة بما دعا النبى عليه السلام لهم وعليهم متواتر على الجملة
معلوم ضرورة وقد جاء فى حديث حذيفة كان رسول الله عليه
السلام اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده **حدثنا** ابو محمد
العتابى بقرائى عليه **ثنا** ابو القاسم حاتم بن محمد **ثنا** ابو الحسن القابسى
ثنا ابو زيد المروزى **ثنا** محمد بن يوسف **ثنا** محمد بن اسمعيل **ثنا** عبد الله
بن ابى الاسود **ثنا** حرمى **ثنا** شعبة عن قتادة عن انس قال قالت
امى يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده
وبارك له فيما اتيته ومن رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالى لكثير
وان ولدى وولد ولدى ليعادون اليوم على نحو المائة وفى رواية وما
اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدى هاتين
مائة من ولدى لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن
عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته
ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤس حتى مجلت
فيه الايدى واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف
وقيل بل صولحت احديهن لانه طلقها فى مرضه على نيف وثمانين الفا
واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية فى حياته وعوارفه العظيمة
اعتق يوما ثلثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبع مائة بعير وردت
عليه تحمل من كل شئ فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها و
دعا النبى عليه السلام لمعاوية بالتمكين فى البلاد فنال الخلافة و
لسعد بن ابى وقاص رضوان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا
استجيب له ودعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعز الاسلام
بعمر رضوا وبابى جهل فاستجيب له فى عمر قال بن مسعود فما زلنا اعزة

منذ

منذ اسلم عمر واصاب الناس فى بعض مغازيه عطش فسأل النبى عليه السلام
عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا فى الاستسقاء
فسقوا ثم شكوا اليه النبى عليه السلام المطر فدعا فصحوا وقال لابى قتادة
افلح وجهك اللهم بارك له فى شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين وكانه
ابن خمس عشرة وقال رسول الله عليه السلام للنابغة لا يفضض الله
فاك فما سقطت له سن وفى رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت
له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا النبى
عليه السلام لابن عباس رض اللهم فقهه فى الدين وعلمه التاويل فسمى
بعد الحبر وترجمان القران ودعا النبى عليه السلام لعبد الرحمن بن جعفر
بالبركة فى صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة
فكانت عنده غرائر من المال ودعا النبى عليه السلام بمثله لعروة بن
ابى الجعد فقال لقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا
وقال البخارى فى حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروى مثل
هذا لغرقدة ايضا وندت له النبى عليه السلام ناقة فدعا النبى عليه
السلام فجاءه بها النبى عليه السلام اعصار ريح حتى ردها عليه ودعا
النبى عليه السلام لام ابى هريرة فاسلمت ودعا النبى عليه السلام لعلى
ان يكفى الحر والقر فكان يلبس فى الشتاء ثياب الصيف وفى الصيف ثياب
الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا النبى عليه السلام لفاطمة ابنته
النبى عليه السلام الله عز وجل رض لا يجيعها قالت فما جعت بعد و
سأله الطفيل ابن عمرو اية لقومه فقال رسول الله عليه السلام اللهم
نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة
فتحول الى طرف سوطه فكان يضئ فى الليلة المظلمة فسمى ذا النور ودعا
على مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا النبى
عليه السلام على كسرى حين مزق كتابه النبى عليه السلام ان يمزق
الله ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة فى اقطار الدنيا
ودعا النبى عليه السلام على صبى قطع عليه الصلوة ان يقطع الله
اثره فاقعد وقال لرجل راه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع
فقال رسول الله عليه السلام لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال
لعتبة بن ابى لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وقال
لامرأة اكلك الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله
بن مسعود فى دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته النبى
عليه السلام وهو النبى عليه السلام ساجد مع الفرث والدم و
سماهم قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا النبى عليه السلام

على الحكم بن ابى العاصى وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبى عليه السلام
اى لا فزاه فقال رسول الله عليه السلام كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان
مات ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ورى فلفظته
مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة الصد جانب الوادى
وجحده رجل بيع فرس وهى التى شهد فيها خزيمة للنبى عليه السلام
فرد الفرس بعد النبى عليه السلام على الرجل وقال رسول الله عليه
السلام اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية برجلها
اى رائعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به **فصل فى كراماته وبركاته**
وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره اخبرنا احمد بن محمد حدثنا
ابو ذر الهروى اجازة وحدثنا القاضى ابو على سماعا والقاضى ابو
عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا اخبرنا ابو الوليد القاضى
حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم ثنا الفربرى ثنا
البخارى ثنا عبد الاعلى بن حماد الراسى ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد
عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول
الله عليه السلام فرسا لابى طلحة كان يقطف او به قطاف وقال
غيره يبطاء فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى و
نخس جمل النبى عليه السلام جابر وكان قد اعيى فنشط حتى كان
ما يملك زمامه وصنع النبى عليه السلام مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعى
فخفقها النبى عليه السلام بمخفقة معه النبى عليه السلام وترك
النبى عليه السلام عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها باثنى
عشر الفا وركب النبى عليه السلام حمارا قطوفا لسعد بن عبادة
فرده النبى عليه السلام هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره صلى
الله عليه وسلم فى قلنسوة خالد بن الوليد رض فلم يشهد بها قتالا
الا رزق النصر وفى الصحيح عن اسماء بنت ابى بكر رض انها اخرجت
جبة طيالسة وقالت كان رسول الله عليه السلام يلبسها فنحن
نغسلها للمرضى ونستشفى بها وحدثنا القاضى ابو على عن شيخه ابى
القاسم بن المأمون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبى صلى الله
عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه
الغفارى القضيب له النبى عليه السلام من يد عثمان ليكسره على ركبته
فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول
وسكب من فضل وضوئه فى بئر قباء فما نزفت بعد وبزق فى بئر
كانت فى دار انس فلم يكن فى المدينة اعذب منها ومر النبى عليه
السلام على ماء فسأل عنه فقيل اسمه بيسان وماؤه ملح فقال رسول

الله عليه

الله عليه السلام بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتى بدلو من ماء زمزم
فمج فيه النبى عليه السلام فعاد اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين
لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام مالك عكة تهدى
فيها للنبى عليه السلام سمنا فامرها النبى عليه السلام ان لا تعصرها ثم
دفعها النبى عليه السلام اليها فاذا هى مملوءة سمنا فياتيها بنوها يسئلونها
الادم وليس عندها شئ فتعمد عليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها
حتى عصرتها وكان يتفل فى افواه الصبيان المراضع فيجزيهم بريقه الى
الليل ومن ذلك بركة يده النبى عليه السلام فيما لمسه وغرسه لسلمان
حين كاتب مواليه على ثلث مائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم
وعلى اربعين نطم اوقية من ذهب فقام عليه السلام وغرسها له بيده
الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبى
عليه السلام وردها فاخذت وفى كتاب البزار فاطعم النخل من عامه
الا الواحدة فقلعها عليه السلام وغرسها فاطعمت من عامها و
اعطاه النبى عليه السلام مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان
ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقى عنده
مثل ما اعطاهم وفى حديث حنش بن عقيل رض سقانى رسول الله
عليه السلام شربة من سويق شرب النبى عليه السلام اولها و
شربت اخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت
وبردها اذا ظميت واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه النبى عليه
السلام العشاء فى ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه
سيضئ لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك
فترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فا
ضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج
ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه
يوم بدر فصار فى يده سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن
فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد فى
قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه النبى
عليه السلام لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب
نخل فرجع فى يده سيفا ومنه بركته صلى الله عليه وسلم فى درور
الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية
بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد
الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك
تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرت

النبي عليه السلام الصلوة نزلوا المحلوم فاذا هو لبن طيب وزبدة في فمه
من رواية حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات و
هو ابن ثمانين فما شاب وروى مثل هذه القصة عن غير واحد منهم
السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب
طيب نسائه لان رسول الله عليه السلام مسح بيده على بطنه وظهره
وسلت النبي عليه السلام الدم عن وجه عايذ بن عمرو وكان جرح
يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على راس
قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك وهو ابن مائة سنة وراسه
ابيض وموضع كف رسول الله عليه السلام وما مرت يد النبي
عليه السلام عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر وروى مثل
هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح على وجه اخر فما زال على
وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى
كان ينظر في وجهه كما ينظر في المراة ووضع يده على راس حنظلة بن
حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه
والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف رسول الله عليه
السلام فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة
من ماء فما يعرف كان في وجه امراة من الجمال ما بها ومسح على راس
صبي به عاهة فبرئ واستوى شعره وعلى غير واحد من الصبيان
المرضى والمجانين فبروا واتاه رجل به ادرة فامره النبي عليه السلام
ان ينضحها بماء من عين مج فيها النبي عليه السلام ففعل فبرئ وعن
طاووس لم يؤت النبي عليه السلام باحد به مس فصك في صدره
الا ذهب المس والجنون ومج رسول الله عليه السلام في دلو من بئر
ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة من تراب يوم
حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا
يمسحون القذا عن اعينهم وشكى ابو هريرة له النبي عليه السلام
النسيان فامره بيسط ثوبه وغرف النبي عليه السلام بيديه
فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعده ومما يروى عنه النبي
عليه السلام في هذا كثير وضرب في صدر جرير بن عبد الله و
دعا له وكان ذكر انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم
ومسح راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما
ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما فصل ومن ذلك
ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث في هذا الباب
بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته

المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها
واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن
الوليد الفهري اجازة وقراته على غيره قال ابو بكر ثنا ابو علي التستري
ثنا ابو عمر الهاشمي ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود ثنا عثمان بن ابي شيبة
ثنا جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك النبي عليه السلام شيئا
يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه النبي عليه السلام
حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه
ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا
غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام
تناسوه والله ما ترك رسول الله عليه السلام من قائد فتنة الى
ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلث مائة فصاعدا الا قد سماه لنا
باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله عليه
السلام وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكرنا منه النبي عليه
السلام علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه صلى الله
عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت
المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المراة من
الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على
يد علي رضي في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون
من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن
والاختلاف والاهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على
ثلث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانهم سيكون لهم انماط
ويغدوا احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه صحفة
وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال رسول الله
عليه السلام اخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا
المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم بينهم و
سلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب
كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وقيصر حتى لا قيصر
بعده وذكر ان الروم ذوات قرون الى اخر الدهر وبذهاب الامثل
من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج
وقال عليه السلام ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له
الارض فاري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي
له منها فكذلك كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض

الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك مالم تملكه امة
من الامم ولم يمتد فى الجنوب ولا فى الشمال مثل ذلك وقوله عليه السلام
لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن
المدينى الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقى بالغرب وهى الدلو وغيره
يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا فى الحديث بمعناه و
فى حديث اخر من رواية ابى امامة لا يزال طائفة من امتى ظاهرين
على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول
الله واين هم قال رسول الله عليه السلام ببيت المقدس واخبر النبى
عليه السلام بملك بنى امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بنى
امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم
اضعاف ما ملكوا وخروج المهدى وما ينال اهل بيته وتقتيلهم
وتشريدهم وقتل على رض وان اشقاها الذى يخضب هذه من هذه اى
لحيته من رأسه وانه قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه
النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبية وطائفة ممن ينسب اليه
من الروافض كفروه وقال رسول الله عليه السلام يقتل عثمان رض
وهو يقرأ فى المصحف وان الله النبى عليه السلام عسى ان يلبسه
قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قول الله تعالى
فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلى
رض وبنباح كلاب الحواب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلا كثير
وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عايشة عند خروجها الى البصرة وان عمارا
تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير
ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال فى قزمان وقد ابلى مع
المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال رسول الله عليه السلام
فى جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة اخركم موتا فى النار
فكان بعضهم يسئل عن بعض فكان سمرة اخرهم موتا هرم وخرف
فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال فى حنظلة الغسيل سلوا زوجته
عنه فانى رأيت الملائكة تغسله فسألوها فقالت انه خرج جنبا
واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد ووجدنا رأسه تقطر ماء
وقال الخلافة فى قريش ولن يزال هذا الامر فى قريش ما اقاموا الدين
وقال رسول الله عليه السلام فيكون فى ثقيف كذاب ومبير فراوهما
الحجاج والمختار وبان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به
وانذر بالردة وبان الخلافة بعده ثلثون سنة ثم تكون ملكا فكانت
كذلك بمدة الحسن بن على وقال رسول الله عليه السلام ان هذا الامر

بدأ

بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون
عتوا وجبروتا النبى عليه السلام وفسادا فى الامة واخبر بشان اويس
القرنى وبامراء يؤخرون الصلوة عن وقتها وسيكون فى امته ثلثون كذابا
فيهم اربع نسوة وفى حديث اخر ثلثون دجالا اخرهم الدجال الكذاب
كلهم يكذب على الله ورسوله وقال عليه السلام يوشك ان يكثر فيكم
العجم يأكلون فيكم ويضربون رقابكم ولا يقوم الساعة حتى يسوق الناس
بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم يأتى بعد
ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون
ولا يوفون وقال لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه وقال هلاك
امتى على يدى اغيلمة من قريش قال ابو هريرة راويه لو شئت سميتهم
لكم بنوا فلان وبنوا فلان واخبر بظهور القدرية والرافضة وسب
اخر هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح فى الطعام
فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم تبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده
اثرة واخبر النبى عليه السلام بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذى
فيهم وان سيماهم التحليق وترى رعاء الغنم رؤس الناس والحفاة
والعراة يتبارون فى البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب
لا يغزونه النبى عليه السلام ابدا وانه هو النبى عليه السلام يغزوهم
واخبر النبى عليه السلام بالموتان الذى يكون بعد فتح بيت المقدس وما
وعد النبى عليه السلام من سكنى البصرة وانهم يغزون فى البحر كالملوك
على الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس
وهاجت ريح فى غزواته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة
وجدوا ذلك وقال رسول الله عليه السلام لقوم من جلسائه
ضرس احدكم فى النار اعظم من احد قال ابو هريرة رض فذهب القوم
يعنى ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم بالذى غل
الشملة وحيث هى ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها
وبشان كتاب حاطب الى اهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره
وشارطه على قتل النبى صلى الله عليه وسلم فلما جاءه عمير النبى عليه
السلام قاصدا لقتله عليه السلام واطلعه رسول الله عليه السلام
على الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذى تركه عمه العباس عند ام
الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيرى وغيرها فاسلم واعلم النبى
عليه السلام انه النبى عليه السلام سيقتل النبى عليه السلام
ابى بن خلف قال رسول الله عليه السلام وفى عتبة بن ابى لهب
انه يأكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال وقال

رسول الله عليه السلام فى الحسن ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به
بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضربك
اخرون واخبر النبى عليه السلام بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم
مسيرة شهر او ازيد وبموت النجاشى يوم مات وهو بارضه واخبر
النبى عليه السلام فيروزاذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت
كسرى تلك اليوم فلما حقق فيروزنا القصة اسلم واخبر النبى عليه
السلام اباذر بتطريده كما كان ووجده فى المسجد نائما فقال كيف
بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال رسول الله عليه
السلام فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وبموته وحده واخبر
ان اسرع ازواجه به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها
بالصدقة واخبر النبى عليه السلام بقتل الحسين بالطف واخرج بيده
تربة وقال فيها مضجعه وقال رسول الله عليه السلام فى زيد بن
صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده فى الجهاد وقال
رسول الله عليه السلام فى الذين كانوا معه على حراء اثبت يا حراء
فانما عليك نبى وصديق وشهيد فقتل عمر وعثمان وعلى وطلحة
والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا البست سوارى
كسرى فلما اتى بهما لعمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى
والبسهما سراقة وقال رسول الله عليه السلام تبنى مدينة بين
رجلة ودجيل وقطربل والصراة يجبى اليها خزائن الارض يخسف بها
يعنى بغداد وقال سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر
لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل
فئتان دعواهما واحدة وقال رسول الله عليه السلام لعمر فى سهيل بن
عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام
ابى بكر يوم بلغهم موت النبى صلى الله عليه وسلم وخطبهم بنحو خطبة
وثبتهم وقوى بصايرهم وقال لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده
يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها فى حياته وبعد موته كما اخبر
النبى عليه السلام الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم
واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه النبى عليه
السلام وفى المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت
فوالله لو لم يكن عنده النبى عليه السلام من يخبره لاخبرته النبى
عليه السلام حجارة البطحاء واعلامه النبى عليه السلام بصفته
السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم وكونه من مشط ومشاقة فى
جف طلع نخلة ذكر وانه القى فى بئر ذروان فكان كما قال عليه السلام

ووجد على تلك الصحيفة واعلامه النبى عليه السلام قريشا باكل الارضة
ما فى صحيفتهم التى تظاهروا بها على بنى هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها
ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم ووصفه
النبى عليه السلام لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه فى خبر
الاسراء ونعته النبى عليه السلام اياه نعت من عرفه واعلامه بعير
هم التى مر عليها فى طريقه وانذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال
الى اخبر به من الحوادث التى تكون ولم يات بعد منها ما ظهرت مقدما
تها كقوله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب و
خراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ومن اشراط
الساعة وايات حلولها وذكر الحشر والنشر واخبار الابرار والفجار
والجنة والنار وعرصات القيمة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا
مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التى
ذكرناها كفاية واكثرها فى الصحيح وعند الائمة رضى الله عنهم والله
المستعان فصل فى عصمة الله تعالى له النبى عليه السلام من الناس
وكفايته قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال الله تعالى
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال الله تعالى اليس الله بكاف
عبده قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال الله تعالى
انا كفيناك المستهزئين وقال الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية اخبرنا
القاضى الشهيد ابو على الصدفى قراءة عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن
عبيد الله المعافرى قالا حدثنا ابو الحسين الصيرفى قال ثنا ابو يعلى البغدادى
ثنا ابو على السنجى ثنا ابو العباس المروزى ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا عبد بن
حميد ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريرى عن
عبد الله بن شقيق عن عايشة رض قالت كان النبى عليه السلام يحرس
حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله
عليه السلام رأسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد
عصمنى ربى وروى ان النبى عليه السلام كان اذا نزل منزلا اختار له
اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابى فاخترط سيفه ثم قال من
يمنعك منى فقال رسول الله عليه السلام الله فرعدت يد الاعرابى
وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الاية
وقد رويت هذه القصة فى الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب
هذه القصة وان النبى عليه السلام عفا عنه فرجع الى قومه وقال
جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له
يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه النبى عليه

السلام رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روى انه وقع له مثلها فى
غزوة عطفان بذى امر مع رجل اسمه دعثور بن الحارث وان
الرجل قد اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغزوه وكان سيدهم و
اشجعهم قالوا له اينما كنت تقول وقد امكنك فقال انى نظرت الى
رجل ابيض طويل دفع فى صدرى فوقعت لظهرى وسقط السيف
فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفى
رواية الخطابى ان غورث بن الحارث المحاربى اراد ان يفتك بالنبى
صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على رأسه النبى عليه
السلام منتضيا سيفه فقال رسول الله عليه السلام اللهم اكفينه
بما شئت فانكب على وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه
من يده الزلخة وجع الظهر وقيل فى قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت
يا ايها الذين امنوا اذكروا وقيل كان النبى عليه السلام يخاف قريشا
فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شاء فليخذلنى وذكر عبد بن
حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة وهى جمر على طريق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطأها النبى عليه السلام كثيبا
اهيل وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدى ابى لهب
وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله عليه
السلام وهو النبى عليه السلام جالس فى المسجد ومعه النبى عليه
السلام ابو بكر رض وفى يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا
بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه عليه السلام فقالت يا ابا بكر اين
صاحبك فقد بلغنى انه يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر
فاه عليه السلام وعن الحكم بن ابى العاصى تواعدنا على النبى عليه السلام
حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا من خلفنا ما ظننا انه بقى بتهامة احد
فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى النبى عليه السلام صلاته و
رجع النبى عليه السلام الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى
اذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه النبى عليه السلام
وعن عمر رض تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله النبى عليه السلام فسمعنا له فافتتح
النبى عليه السلام وقرأ النبى عليه السلام الحاقة ما الحاقة الى فهل
ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على يد عمر وقال انج وفرّاها بين
فكانت من مقدمات اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاية
التامة عند ما اخافته قريش واجتمعت على قتله النبى عليه السلام

ويبتوه

ويبتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصار
هم وذر التراب على رؤسهم وخلص النبى عليه السلام منهم وحمايته عن
رؤيتهم فى الغار بما هيأه الله له من الايات ومن العنكبوت التى نسجت
عليه النبى عليه السلام حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار
ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى الا انه من قبل ان يولد محمد
ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كان هنا
حمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت
قريش فيه النبى عليه السلام وفى ابى بكر الجعايل فانذر به فركب
فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبى عليه السلام فساخت
قوايم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب
ودنا حتى سمع قراءة النبى عليه السلام وهو النبى عليه السلام لا يلتفت
وابو بكر يلتفت وقال للنبى صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن
ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت
ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبى عليه السلام
امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبى
عليه السلام ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف ويقول للناس كفيتكم
ما هاهنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما على فادعوا لى فنجا ووقع فى
نفسه ظهور النبى عليه السلام وفى خبر اخر ان راعيا عرف خبرهما
فخرج يشتد ليعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدرى ما
يصنع وانسى ما خرج له حتى رجع موضعه وجاءه فيما ذكر ابن اسحق و
غيره ابو جهل بصخرة وهو النبى عليه السلام ساجد وقريش ينظرون اليه
ليطرحها عليه النبى عليه السلام فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه و
اقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأل النبى عليه السلام ان يدعو له
النبى عليه السلام ففعل النبى عليه السلام فانطلقت يداه وكان قد
تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه النبى عليه السلام ليدمغنه
فسألوه عن شانه فذكر انه عرض لى دونه النبى عليه السلام فحل ما
رأيت مثله قط هم بى ان يأكلنى فقال النبى عليه السلام ذاك جبرئيل
لو دنا منى لاخذه وذكر السمرقندى ان رجلا من بنى المغيرة اتى النبى
صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبى صلى الله
عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر
ان فى هاتين القصتين نزلت انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا الايتين
ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق فى قصته اذ خرج الى بنى قريظة فى اصحابه
فجلس الى جدار اطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه

رحا فقام النبي عليه السلام فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصته وقد
قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم
الاية في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي انه النبي عليه السلام
خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين الذين قتلهما عمرو بن
امية الضمري فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك
ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي عليه السلام مع ابي بكر وعمر وتوامر
حيي معهم على قتله عليه السلام فاعلم جبرئيل عليه السلام النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك فقام كانه النبي عليه السلام يريد حاجته حتى
دخل المدينة وذكر اهل التفسير معنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا
جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا عليه السلام يصلي ليطأن عنقه فلما
صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه النبي عليه
السلام ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيده فسئل فقال لما دنوت
منه النبي عليه السلام اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه
وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه
السلام تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على
النبي عليه السلام كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السورة وروى ان
رجلا يعرف بشيبة بن عثمان الحجبي ادركه النبي عليه السلام يوم
حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد
فلما اختلط الناس اتاه النبي عليه السلام من خلفه ورفع سيفه
ليصبه عليه قال فلما دنوت منه النبي عليه السلام ارتفع الي
شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس لي النبي صلى
الله عليه وسلم فدعاني النبي عليه السلام فوضع يده على صدري
وهو ابغض الخلق الي فما رفعها النبي عليه السلام الا وهو احب الخلق
الي وقال لي النبي عليه السلام ادن فقاتل فقاتلت امامه النبي
عليه السلام اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة
لاوقعت به دونه النبي عليه السلام وعن فضالة بن عمير اردت
قتل النبي عليه السلام عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت
منه قال رسول الله عليه السلام أفضالة قلت نعم قال رسول الله
عليه السلام قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك النبي
عليه السلام واستغفر لي ووضع النبي عليه السلام يده على صدري
فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه النبي
عليه السلام ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس
حين وفدا على النبي عليه السلام وكان عامر قال له انا اشغل عنك

وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله
ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه النبي عليه السلام افاضربك
ومن عصمته تعالى له ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه
لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى
بلغ فيه النبي عليه السلام امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة
شهر كما قال عليه السلام **فصل ومن معجزاته الباهرة** ما جمعه الله
له النبي عليه السلام من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع
على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته النبي عليه السلام بامور
شرايعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان من الامم
قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن
ادم الى زمانه النبي عليه السلام وحفظ شرايعهم وكتبهم ووعي سيرهم
وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف ارائهم والمعرفة
بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة
كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبات
علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات
العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ
لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها
الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم
للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض
فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الاداب
وكل شيء مستحسن مفصل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من
جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو
النبي عليه السلام اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان
عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم
واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار
اجلا مما لا يعلم ولا يقوم به جملة ولا ببعضه الا من مارس الدروس
والعكوف على الكتب ومثافنة بعض هذا الى الاحتواء على ضروب
العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرايض والحساب
والنسب وغير ذلك من العلوم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه
عليه السلام فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا
لاول عابر وهي على رجل طائر وقوله الرؤيا ثلث رؤيا حق ورؤيا
يحدث الرجل بها نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله النبي
عليه السلام اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله

اصل كل داء البردة ومما روى فى حديث ابى هريرة المعدة حوض البدن
والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه
موضوعا تكلم عليه الدار قطنى وقوله خير ما تداويتم به السعوط و
اللدود والوجود والحجامة والمشى وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع
عشرة واحدى وعشرين وفى العود الهندى سبعة اشفية وقوله النبى
عليه السلام ما ملاء ابن ادم وعاء شرا من بطن الى قوله فان كان لا
بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله النبى عليه السلام
قد سئل عنها يعنى عن سباء ارجل هو ام امراة او ارض فقال رجل ولد عشرة
تيامن منهم ستة وتشائم منهم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه فى
نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى
سؤاله النبى عليه السلام عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله النبى عليه
السلام حمير رأس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كا
هلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله النبى عليه السلام
فى الحوض زواياه سواء وقوله النبى عليه السلام فى حديث الذكر
وان الحسنة بعشر امثالها فتلك مائة وخمسون على اللسان والف
وخمس مائة فى الميزان وقوله النبى عليه السلام وهو بموضع نعم
موضع الحمام هذا وقوله النبى عليه السلام ما بين المشرق والمغرب
قبلة وقوله النبى عليه السلام لعيينة او للاقرع انا افرس بالخيل
منك وقوله النبى عليه السلام لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر
للممل هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتى علم
كل شئ حتى قد وردت عنه اثار بمعرفته النبى عليه السلام حروف
الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه
ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله النبى عليه السلام فى حديث
الاخر الذى يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه
السلام فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين
ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم
تصح الرواية انه عليه السلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا و
يمنع الكتابة والقراءة واما علمه عليه السلام بلغات العرب وحفظه
معانى اشعارها فامر مشهور وقد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك
حفظه النبى عليه السلام لكثير من لغات الامم كقوله فى الحديث
سنه سنه وهى حسنة بالحبشية وقوله النبى عليه السلام يكثر
الهرج وهو القتل بها وقوله فى حديث ابى هريرة اشكنب درداى وجع

البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه
الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو النبى
عليه السلام رجل كما قال الله تعالى امى لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة
من هذا صفته ولا نشأ النبى عليه السلام بين قوم لهم علم ولا قراءة لشئ
من هذه الامور ولا عرف هو النبى عليه السلام قبل بشئ منها قال الله
تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية انما كانت
غايت معارف العرب النسب واخبار اوايلها والشعر والبيان وانما
حصل ذلك لهم بعد التفرغ بعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة
اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه عليه السلام ولا سبيل الى جحد
الملحد لشئ مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة فى دفع ما قصصناه الا قولهم
اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان الذى
يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان
فان الذى نسبوا تعليمه اليه انما هو سلمان الفارسى او العبد الرومى
وسلمان انما عرفه النبى عليه السلام بعد الهجرة ونزول الكثير من
القران وظهور ما لا ينعد من الايات واما الرومى فكان اسلم وهو
يقراء على النبى صلى الله عليه وسلم واختلف فى اسمه وقيل بل كان
النبى عليه السلام يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمى اللسان وهم
الفصحاء اللد والخطباء اللسن وقد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان
بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف باعجمى الكن نعم
وقد كان سلمان او بلعام الرومى او يعيش اوجبرا او يسار على اختلافهم
فى اسمه بين اظهرهم يكلمونه مدى اعمارهم فهل حكى عن واحد منهم شئ
من مثل ما كان يجئ به محمد عليه السلام وهل عرف واحد منهم بمعرفة
شئ من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤب طلبه وقوة
حسده ان يجلس الى هذا فيأخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما
يحتج به على شيعه كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار
كتبه ولا غاب النبى عليه السلام عن قومه ولا كثرت اختلافاته
الى بلاد اهل الكتب فيقال انه النبى عليه السلام استمد منهم بل لم يزل
النبى عليه السلام بين اظهرهم يرعى فى صغره وشبابه على عادة ابنائهم
ثم لم يخرج عن بلادهم الا فى سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه النبى
عليه السلام مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان فى
سفره فى صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب النبى عليه السلام
عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم او اختلاف الى حبر
او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجئ ما اتى به من

معجزات القران قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل شبهة ومجليا لكل امر **فصل**
ومن خصايصه عليه السلام وكراماته وباهر اياته انباؤه مع الملائكة
والجن وامداد الله له النبي عليه السلام بالملائكة وطاعة الجن له
ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله
هو مولاه وجبريل وقال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة انى معكم
فثبتوا الذين امنوا وقال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم
الايتين وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران الاية
حدثنا سفيان بن العاص الفقيه بسماعي عليه **ثنا** ابو الليث السمرقندي
قال **ثنا** عبد الغافر الفارسي **ثنا** ابو احمد الجلودي **ثنا** ابن سفيان
ثنا مسلم **ثنا** عبيد الله بن معاذ **ثنا** ابي شعبة عن سليمان الشيباني سمع
زر بن حبيش عن عبد الله قال الله تعالى لقد راى من ايات ربه
الكبرى قال راى النبي عليه السلام جبريل في صورته له ستمائة
جناح والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملائكة
وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور و
قد راهم بحضرته النبي عليه السلام جماعة من اصحابه النبي عليه
السلام في مواطن مختلفة فراى اصحابه النبي عليه السلام جبريل
عليه السلام في صورة رجل يسئله عن الاسلام والايمان وراى ابن
عباس واسامة بن زيد وغيرهما جبريل عليه السلام في صورة دحية
وراى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين
عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة
خيلها يوم بدر وبعضهم راى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون
الضارب وراى ابو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل
بلق بين السماء والارض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة
تصافح عمران بن الحصين وارى النبي عليه السلام لحمزة جبريل
عليه السلام في الكعبة فخر مغشيا عليه وراى عبد الله بن مسعود
الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد
ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته
فكان النبي عليه السلام يقول له تقدم يا مصعب فقال له
الملك لست بمصعب فعلم النبي عليه السلام انه ملك وقد ذكر
غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رض الله قال بينا نحن
جلوس مع النبي عليه السلام اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على
النبي عليه السلام فرد عليه وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم نغمة الجن من انت قال انا الهامة بن الهيثم بن لاقيس بن ابليس

فذكر انه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وان النبي عليه السلام
علمه سورا من القران وذكر الواقدي قتل خالد رض عند هدمه
للعزى السوداء التي خرجت عنده ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه
قطعتين واعلم النبي عليه السلام فقال له تلك العزى وقال عليه
السلام ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع على صلاتي فامكنني الله
منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد
حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب
لي ملكا الاية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع **فصل** ومن دلائل
نبوته النبي عليه السلام وعلامات رسالته ما ترادفت به الاخبار
عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتاب من صفته النبي عليه السلام
وصفة امته النبي عليه السلام واسمه النبي عليه السلام وعلاماته
وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد في ذلك من اشعار الموحدين
المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة وكعب بن لوي وسفيان
بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم
وما عرف به من امره عليه السلام زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن
نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب
تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك في التورية والانجيل مما قد
جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقاة من اسلم منهم مثل ابن سلام و
بني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم رضي الله عنهم
ممن اسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشة وصاحب بصرى
وضغاطر واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى
الحبشة واساقف نجران وغيرهم رضي الله عنهم ممن اسلم من علماء
نصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى
ورئيساها ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن
اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء
اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والاخبار
في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع اليهود والنصارى بما ذكر
الله في كتبهم من صفته عليه السلام وصفة اصحابه رض واحتج
عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك
وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم الى المباهلة على
الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته وابداء ما الزمهم
من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله النبي عليه السلام
لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب

الدّيار ونبذ القتال وقد قال رسول الله عليه السّلام لهم قل فأتوا بالتوريه
فاتلوها ان كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب و
شق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل بن جذل الكندى
وابن خلصة الدّوسى وسعد بن بنت كريز و فاطمة بنت النعمان ومن لا
ينعدّ كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته
وسمع من هواتف الجنّ ومن ذبايح النّصب واجواف الصّور وما وجد
من اسم النّبى عليه السّلام والشهادة له بالرّسالة مكتوبا فى الحجارة والقبور
بالخطّ القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم و
مذكور **فصل** ومن ذلك ما ظهر من الايات عند مولده النّبى عليه السّلام
وما حكته امّه النّبى عليه السّلام ومن حضره من العجايب وكونه رافعا
رأسه عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السّماء وما رأته من النّور الّذى
خرج معه عند ولادته وما رأته اذ ذاك ام عثمان بن ابى العاصى من
تدلّ النّجوم وظهور النّور عند ولادته حتى ما تنظر الا لنوره وقول
الشفاء ام عبد الرّحمن بن عوف لما سقط عليه السّلام على يدى واستهلّ
سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى
نظرت الى قصور الرّوم وما تعرّفت به حليمة وزوجها ظئراه النّبى
عليه السّلام من بركته النّبى عليه السّلام ودرور لبنها له ولبن شارفها
وخصب غنمها وسرعة شبابه النّبى عليه السّلام وحسن نشئاته
وما جرى من العجايب ليلة مولده النّبى عليه السّلام من ارتجاج ايوان
كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان
لها الف عام لم تخمد وانّه كان اذا اكل مع عمه ابى طالب واله وهو النّبى
عليه السّلام صغير شبعوا ورووا فاذا غاب عنهم فاكلوا فى غيبته
النّبى عليه السّلام لم يشبعوا وكان سائر ولد ابى طالب يصبحون
شعثا ويصبح هو عليه صقيلا دهينا كحيلا قالت ام ايمن حاضنته
ما رأيته عليه السّلام شكى جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك
حراسة السّماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق
السّمع وما نشاء عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية
وما خصّه الله به من ذلك وحماه حتى فى ستره فى الخبر المشهور عند
بناء الكعبة اذ اخذ النّبى عليه السّلام ازاره ليجعله على عاتقه
ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى ردّ ازاره عليه
فقال له عمه ما بالك قال رسول الله عليه السّلام انى نهيت عن
التعرى ومن ذلك اظلال الله له عليه السّلام بالغمام فى سفره وفى
رواية انّ خديجة رضى الله عنها ونساءها رأينه لمّا قدم وملكان

يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه فى
سفره وقد روى ان حليمة رأت غمامة تظلّه وهو النّبى عليه السّلام
عندها وروى ذلك عن اخيه من الرّضاعة ومن ذلك انه نزل صلى الله
عليه وسلم فى بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب
ما حولها واينعت هى واشرفت وتدلّت عليه السّلام اغصانها بمحضر
من راه وميل فى الشجرة اليه النّبى عليه السّلام فى الخبر الاخر حتى اظلّته
وما ذكر من انه كان لا ظلّ لشخصه فى شمس ولا قمر لانه كان نورا صلى
الله عليه وسلم وانّ الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك
تحبيب الخلوة اليه حتى اوحى اليه ثمّ اعلامه بموته ودنوّ اجله و
انّ قبره النّبى عليه السّلام فى المدينة وفى بيته وانّ بين بيته ومنبره
روضة من رياض الجنّة وتخيير الله له النّبى عليه السّلام عند موته
وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة
على جسده على ما رويناه فى بعضها واستيذان ملك الموت عليه السّلام
ولم يستأذن على غيره قبله النّبى عليه السّلام وندائهم الّذى سمعوه
ان لا ينزعوا القميص عنه عند غسله وما روى من تعزية الخضر والملائكة
اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه من كراماته وبركته فى حياته
وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرّك غير واحد بذرّيّته **فصل** قال
القاضى ابو الفضل قد اتينا فى هذا الباب على نكت من معجزاته النّبى
عليه السّلام واضحة وجمل من علامات نبوّته مقنعة فى واحد منها
الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرناه واقتصرنا من الاحاديث
الطوال على عين الغرض وفصّ المقصود ومن كثير الاحاديث وغريبها على
ما صحّ واشتهر الا يسيرا من غريبه ممّا ذكره مشاهير الائمة وحذفنا
الاسناد فى جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصّى ان
يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدّة ومعجزات نبينا صلى الله
عليه وسلم اظهر من سائر معجزات الرّسل بوجهين احدهما كثرتها وانه
لم يؤت نبى معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبّه
النّاس على ذلك فان اردته فتأمّل فصول هذا الباب ومعجزات من
تقدّم من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله واما كونها كثيرة فهذا
القران وكلّه معجز واقلّ ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين
سورة انّا اعطيناك الكوثر او اية فى قدرها وذهب بعضهم الى ان
كلّ اية منه كيف كانت معجزة وزاد اخرون ان كل جملة منتظمة منه
معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى
فأتوا بسورة من مثله فهو اقلّ ما تحدّاهم به مع ما ينصر هذا من نظر

وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا فى القران من الكلمات نحو من سبعة
وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك
الكوثر عشر كلمات فتجزى القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر
ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز فى نفسه ثم اعجازه كما
تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار فى كل جزء من هذا
العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز
اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون فى السورة الواحدة من هذه
التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف
العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التى ذكرناها توجب التضعيف
هذا فى حق القران ولا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوى الحصر براهينه
ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه السلام فى هذه
الابواب وعما دل على امره عليه السلام مما اشرنا الى جمله تبلغ نحوا من
هذا الوجه الثانى وضوح معجزاته عليه السلام فان معجزات الرسل
كانت بقدر همم اهل ازمانهم وبحسب الفن الذى سما فيه قرنه فلما كان
زمن موسى غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون
قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن فى قدرتهم وابطل
سحرهم وكذلك زمن عيسى اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم
امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الميت وابراء
الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء
ثم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها
اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل عليه القران الخارق
لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة
عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذى لم يهتدوا
فى المنظوم الى طريقه ولا علموا فى اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار
عن الكوائن والحوادث والاسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت
ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو
فابطل الكهانة التى تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من
اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون
السالفة وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز
من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التى بسطناها وبينا المعجز
فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التى
ذكرناها فى معجزات القران ثابتة الى يوم القيامة بينة الحجة لكل امة
تأتى لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه الى

ماخبربه

ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر
فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان
وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة فى اليقين والنفس اشد
طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا
وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها
ومعجزة نبينا عليه السلام لا تبيد ولا تنقطع واياته النبى عليه
السلام تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه السلام بقوله فيما
حدثنا القاضى الشهيد ابو على حدثنا القاضى ابو الوليد حدثنا
ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربرى
حدثنا البخارى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا الليث
عن سعيد عن ابيه عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال ما من الانبياء نبى الا اعطى من الايات ما مثله امن عليه البشر
وانما كان الذى اوتيت وحيا اوحاه الله الى فارجو انى اكثرهم
تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر و
الصحيح ان شاء الله وذهب غير واحد من العلماء فى تأويل هذا
الحديث وظهور معجزة نبينا عليه السلام الى معنى اخر من ظهورها
بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه ولا التشبيه
فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا
فى التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه
هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقران كلام ليس للحيلة ولا
للسحر فى التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره
من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا
بضرب من الحيل والتمويه والتأويل الاول اخلص وارضى و
فى هذا التأويل الثانى ما يغمض الجفن عليه ويغضى ووجه ثالث
على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت فى مقدور البشر
فصرفوا عنها او على احد مذهبى اهل السنة من ان الاتيان بمثله
من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله
تعالى لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين و
عليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما فى مقدورهم او ما هو من
جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال
وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ و
التعجيز والتهديد والوعيد ابين اية للعجز عن الاتيان بمثله و
النكول عن معارضته وانهم منعوا عن شىء هو من جنس مقدورهم

والى هذا ذهب الامام ابو المعالى الجوينى وغيره قال وهذا عندنا ابلغ
فى خرق العادة بالافعال البديعة فى انفسها كقلب العصا حية ونحوها
فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص صاحب
ذلك بمزية معرفة فى ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح
النظر واما التحدى للخلايق مئين من السنين بكلام من جنس كلامهم
ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعى على المعارضة ثم
عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبى ايتى ان يمنع الله
القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فكان
ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من ابهر اية واظهر دلالة
وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور اية عليه
السلام على سائر ايات الانبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة
افهام العرب وذكاء البابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه
بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبنى
اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة
الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامرى
ذلك فى العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه وما
قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الايات الظاهرة البينة
للابصار بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى و
استبدلوا الذى هو ادنى بالذى هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها
يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من
امن بالله وحده من قبل الرسول عليه السلام بدليل عقله وصفاء
لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادرا
كهم لاول وهلة معجزته فامنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا
الدنيا كلها فى صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا اباءهم وابناء
هم فى نصرته واتى فى معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه
زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى
الله عليه وسلم وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك
وظهورها وبالله استعين القسم الثانى فيما يجب على الانام من
حقوقه عليه السلام قال القاضى ابو الفضل وهذا قسم لخصنا فيه
الكلام فى اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها فى و
جوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره
وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره الباب الاول

فى فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته اذا تقرر بما قدمناه
ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به
قال الله تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا وقال
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال
فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الاية فالايمان بالنبى محمد عليه
السلام واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال
الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا حدثنا ابو محمد الخشنى الفقيه بقراءتى عليه حدثنا الامام ابو على
الطبرى حدثنا عبد الغافر الفارسى حدثنا ابن عمرويه حدثنا ابن
سفيان حدثنا ابو الحسين حدثنا امية بن بسطام حدثنا يزيد بن
زريع حدثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن
ابيه عن ابى هريرة عن رسول الله عليه السلام قال امرت ان اقاتل
الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به فاذا
فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على
الله قال القاضى ابو الفضل والايمان به عليه السلام هو تصديق
نبوته ورسالة الله له وتصديقه فى جميع ما جاء به وما قاله
ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله
فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان
تم الايمان به والتصديق له كما ورد فى هذا الحديث نفسه من
رواية عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا فى حديث
جبرئيل اذ قال اخبرنى عن الاسلام فقال النبى عليه السلام
ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام
ثم سأله عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام
به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما
الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا
هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون اى كاذبون فى قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم
لا يعتقدونه فلما لم يصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا
بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم
فى الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين فى الدرك

الاسفل من النار وبقى عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان فى احكام
الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما
اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا
امروا بالبحث عنها بل نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها
وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه وللفرق بين والعقد ما جعل
فى حديث جبرئيل الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت
حالتان اخريان بين هذين احداهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل
اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من
تمام الايمان القول والشهادة به وراٰه بعضهم مؤمنا مستوجبا
للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال
ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما فى قلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص
ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح فى هذا الوجه الثانية ان
يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق
بها جملة ولا استشهد فى عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل
هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها
غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة
انشاء عقد والتزام ايمان وهى مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق
مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضى الى متسع من
الكلام فى الاسلام والايمان وابوابهما وفى الزيادة فيهما والنقصان
وهل التجزى ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما
زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته
من قوة يقين وتصميم اعتقاده ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور
قلب وفى بسط هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرنا غنية فيما
قصدنا ان شاء الله **فصل** واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان
به وتصديقه فى ما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال
الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال
وان تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع
الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية وقال وما
ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته
وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد
على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه

قال

قال المفسرون والائمة طاعة الرسول فى التزام سنته والتسليم لما جاء
به وقالوا وما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه
وقالوا من يطع الرسول فى سنته يطع الله فى فرايضه وسئل سهل بن
عبد الله عن شرايع الاسلام فقال وما اتاكم الرسول فخذوه وقال
السمرقندى يقال اطيعوا الله فى فرايضه والرسول فى سنته وقيل
اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله ما
بالشهادة له بالربوبية والنبى بالشهادة له بالنبوة **حدثنا** ابو محمد
بن عتاب بقراتى عليه **حدثنا** حاتم بن محمد **حدثنا** ابو الحسن على بن
محمد بن خلف **حدثنا** محمد بن احمد **حدثنا** محمد بن يوسف **حدثنا**
البخارى **حدثنا** عبدان اخبرنا عبد الله اخبرنا يونس عن الزهرى
اخبرنى ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعنى فقد اطاع الله ومن
عصانى فقد عصى الله ومن اطاع اميرى فقد اطاعنى ومن عصا
اميرى فقد عصانى فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته
فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله تعالى عن
الكفار فى دركات جهنم يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم
التمنى وقال عليه السلام اذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه واذا امرتكم
بامر فاتوا منه ما استطعتم وفى حديث ابى هريرة عنه عليه السلام
كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعنى
دخل الجنة ومن عصانى فقد وفى الحديث الاخر الصحيح عنه عليه
السلام مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم
انى رأيت الجيش بعينى وانى انا النذير العريان فالنجاء فاطاعه طائفة
من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم
فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك
مثل من اطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به
من الحق وفى الحديث الاخر فى مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها
مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعى دخل الدار واكل من المادبة
ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فالدار
الجنة والداعى محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا
فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس **فصل** واما وجوب اتباعه
وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال الله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فامنوا

بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الى قوله تسليماً
اى ينقادون بحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال لقد
كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر
الاية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به
والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد
من المفسرين بمعناه وقيل وهو عتاب المتخلفين عنه وقال سهل في
قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم
تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله ارسله بالهدى
ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط
مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه
وآثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم
بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروى عن الحسن
ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله الاية وروى ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف
وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حباً لله فانزل
الله الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا
طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما
ورضاه بما امر ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته و
يقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل تعصي
الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع لو كان حبك صادقا
لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ويقال محبة العبد لله تعظيمه له
وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل له ويكون بمعنى
مدحه وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة
والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا
بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال حدثنا
ابو الاصبغ عيسى بن سهل وحدثنا ابو الحسن يونس بن مغيث
الفقيه بقراءتي عليه قالا حدثنا حاتم بن محمد قال حدثنا ابو حفص
الجهني حدثنا ابو بكر الاجري حدثنا ابراهيم بن موسى الجوزي حدثنا
داود بن رشيد حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد
بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي عن العرباض
بن سارية في حديثه في موعظة النبي عليه السلام انه قال
فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها

بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه
عليه السلام لا الفين احدكم متكئاً على اريكته يأتيه الامر من امري
مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه
وفي حديث عايشة صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص
فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله
ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم
بالله واشدهم له خشية وروى عنه عليه السلام انه قال القرآن
صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه
وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا
والاخرة امرت امتي ان يأخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي
فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول
فخذوه الاية وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب
عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر
الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبي
صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة
او سنة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال عليه
السلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام
ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة
شهيد وقال عليه السلام ان بني اسرائل افترقوا على اثنين وسبعين ملة
وان امتي تفترق على ثلث وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم
يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس قال عليه
السلام من احيى سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي في الجنة وعن عمرو
بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من
احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها
من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله
ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس
شيئاً **فصل** واما ما ورد عن السلف والائمة من اتباع سنته والاقتداء
بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي
تليد الفقيه سماعاً عليه قال حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن
نصر حدثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن ميسرة قالا حدثنا محمد بن

وضاح حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من
ال خالد بن اسيد انه سأل عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد
صلاة الخوف وصلاة الحضر في القران ولا نجد صلاة السفر فقال ابن
عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدًا ولا نعلم شيئًا فانما نفعل كما رأيناه
يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم و
ولاة الامر بعده سننًا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة
الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في
رأي من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن
خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم و
ساءت مصيرًا وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من
عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا
الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب بتعلم السنة والفرايض
واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم بالقران فخذوهم بالسنن فان
اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين
فقال اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي
حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن
ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس
وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد
في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان
من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه
ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من
خشية ربه فيعذبه الله ابدًا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة
ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة
قد يبس ورقها فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحاتت عنها ورقها
الا حط الله عنه خطاياه كما تحاتت عن الشجرة ورقها فان اقتصادًا في
سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون
عملكم ان كان اجتهادًا واقتصادًا ان يكون على منهاج الانبياء وسننهم
وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل
يأخذهم بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه
عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم
الله وعن عطاء في قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
الى كتاب الله وسنة رسول الله وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم الا اتباعها وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع
ولا تضر ولولا اني رأيت رسول الله عليه السلام يقبلك ما قبلتك ثم قبله
وروي عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان
الجنيدي من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى
على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء
بالنبي عليه السلام في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص
النية في جميع الاعمال وزيد في نسخة وقد كان على خلق عظيم وروي
عن عايشة انها قالت خلقه القران وجاء في تفسير قوله والعمل الصالح
يرفعه انه الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وحكي عن احمد بن حنبل
قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرأيت تلك
الليلة قائلا لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة و
جعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبرئيل فصل ومخالفة امره
وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب
قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم
عذاب اليم وقال الله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الاية حدثنا ابو محمد عبد الله
بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا حدثنا ابو القاسم
حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو الحسن بن مسرور
الدباغ حدثنا احمد بن ابي سليمان حدثنا سحنون بن سعيد حدثنا
ابو القاسم حدثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في
صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال
فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول
فسحقا فسحقا فسحقا وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو
رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي عليه السلام قال لا الفين
احدكم متكئا على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت
عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث
المقدام الا وان ما حرم رسول الله عليه السلام مثل ما حرم الله وقال
عليه السلام وجئ بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان
يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم وكتاب غير كتابهم فنزلت

او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية وقال عليه السلام
هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق رض لست تاركا شيئا كان رسول
الله عليه السلام يعمل به الا عملت به انى اخشى ان تركت شيئا من امره
ان ازيغ الباب الثانى فى لزوم محبته قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية
فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها و
عظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع تعالى من كان ماله واهله
وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا حتى
ياتى الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده
الله حدثنا ابو على الغسانى الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قرأته على غير
واحد قال حدثنا سراج بن عبد الله القاضى حدثنا ابو محمد الاصيلى
حدثنا المروزى حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن
اسمعيل حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن عبد العزيز بن
صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احد
كم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابى
هريرة نحوه وعن انس عنه عليه السلام ثلاث من كن فيه وجد حلاوة
الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرأ لا يحبه
الا لله وان يكره ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار وعن عمر بن
الخطاب انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لانت احب الى من كل شىء
الا نفسى التى بين جنبى فقال النبى صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذى انزل عليك الكتاب لانت
احب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى عليه السلام الان يا عمر
قال سهل من لم ير ولاية الرسول عليه السلام عليه فى جميع الاحوال
ويرى نفسه فى ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته لان النبى
عليه السلام قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث
فصل فى ثواب محبته صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو محمد بن عتاب
بقرائتى عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن على بن
خلف حدثنا ابو زيد المروزى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن
اسمعيل حدثنا عبدان حدثنا ابى حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن
سالم بن ابى الجعد عن انس ان رجلا اتى النبى عليه السلام فقال متى
الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير
صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكنى احب الله ورسوله قال انت
مع من احببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى النبى عليه السلام

فاتيته فقلت يا رسول الله ناولنى يدك ابايعك فناولنى يده فقلت يا رسول
الله انى احبك قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن النبى صلى الله
عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس وعن ابى ذر بمعناه و
عن على ان النبى عليه السلام اخذ بيد حسن وحسين فقال من احبنى
واحب هذين واباهما وامهما كان معى فى درجتى يوم القيامة وروى
ان رجلا اتى النبى عليه السلام فقال يا رسول الله لانت احب الى من
اهلى ومالى وانى لاذكرك فما اصبر حتى اجئ فانظر اليك وانى ذكرت موتى
وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا
اريك فانزل الله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به
فقرأها عليه وفى حديث اخر كان رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم
ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك قال بابى وامى اتمتع من النظر اليك فاذا
كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وفى حديث انس
من احبنى كان معى فى الجنة فصل فى ما روى عن السلف والائمة من
محبتهم للنبى عليه السلام وشوقهم له حدثنا القاضى الشهيد حدثنا
العذرى حدثنا الرازى حدثنا الجلودى حدثنا ابن سفيان حدثنا
مسلم حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه
عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد امتى لى
حبا ناس يكونون بعدى يود احدهم لو رانى باهله وماله ومثله عن ابى
ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبى عليه السلام لانت احب الى من
نفسى وما تقدم عن الصحابة فى مثله وعن عمرو بن العاص ما كان احد
احب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن
معدان قالت ما كان خالد ياوى الى فراشه الا وهو يذكر من شوقه الى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين
والانصار يسميهم ويقول هم اصلى وفصلى واليهم يحن قلبى طال
شوقى اليهم فعجل رب قبضى اليك حتى يغلبه النوم وروى عن ابى
بكر رض انه قال للنبى عليه السلام والذى بعثك بالحق لاسلام
ابى طالب كان اقر لعينى من اسلامه يعنى اباه ابا قحافة وذلك ان
اسلام ابى طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قاله للعباس
ان تسلم احب الى من ان يسلم الخطاب لان ذاك احب الى رسول الله
عليه السلام وعن ابن اسحق ان امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها
وزوجها يوم احد مع رسول الله عليه السلام فقالت ما فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارنيه

حتى انظر اليه فلمّا رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل على بن ابى
طالب كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله
احب الينا من اموالنا واولادنا وابآئنا وامهاتنا ومن الماء البارد على
الظماء وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس فراى مصباحا فى بيت واذا
عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلوة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار
قد كنت قواما بكاء بالاسحار يا ليت شعرى والمنايا اطوار هل تجمعنى وحبيبى
الدار تعنى النبى عليه السلام فجلس عمر يبكى وفى حكاية طول وروى
ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل
عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادت امرأته واحزناه
فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه ويروى ان امرأة قالت لعائشة
اكشفى لى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ما
تت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو
سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيدا تحب ان محمدا الان عندنا
مكانك تضرب عنقه وانك فى اهلك فقال زيد والله ما احب ان
محمدا الان فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة وانى جالس فى اهلى
فقال ابو سفيان ما رأيت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب
محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس كانت المرأة اذا اتت النبى
عليه السلام حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض
عن ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن
الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما
تحب الله ورسوله فصل فى علامة محبته عليه السلام اعلم ان من
احب شيئا اثره واثر موافقته والا لم يكن صادقا فى حبه وكان مدعيا
فالصادق فى حب النبى عليه السلام من تظهر علامات ذلك عليه واولها
الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره
واجتناب نواهيه والتأدب بادابه فى عسره ويسره ومنشطه ومكرهه
وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله
وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته
قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من
هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد فى رضى الله حدثنا
القاضى ابو على الحافظ حدثنا ابو الحسين الصيرفى وابو الفضل بن
خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادى حدثنا ابو على السنجى حدثنا
محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا مسلم بن حاتم حدثنا محمد بن

عبدالله

عبد الله الانصارى عن ابيه عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال
قال انس بن مالك قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى ان
قدرت ان تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بنى
وذلك من سنتى ومن احيى سنتى فقد احبنى ومن احبنى كان معى فى
الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن
خالفها فى بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها و
دليله قوله عليه السلام للذى حده فى الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر
ما يؤتى به فقال عليه السلام لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن
علامات محبة النبى عليه السلام كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر
ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفى
حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا
تلقى الاحبة محمدا وصحبه وتقدم قول بلال ومثله قول عمار قبل
قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة
ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار
مع سماع اسمه قال اسحق التجيبى كان اصحاب النبى صلى الله عليه
وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك
كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم
من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبى صلى الله عليه
وسلم ومن هو بسببه من ال بيته وصحابته من المهاجرين والانصار
وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب
من يحب وقد قال عليه السلام فى الحسن والحسين اللهم انى احبهما
فاحبهما وفى رواية فى الحسن فاحب من يحبه وقال من احبهما
فقد احبنى ومن احبنى فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضنى
ومن ابغضنى فقد ابغض الله وقال الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم
غرضا فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن
اذاهم فقد اذانى فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه
وقال فى فاطمة انها بضعة منى يغضبنى ما اغضبها وقال لعايشة
فى اسامة بن زيد احبيه فانى احبه وقال اية الايمان حب الانصار
واية النفاق بغضهم وفى حديث ابن عمر من احب العرب فبحبى احبهم
ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شئ
يحبه وهذه سيرة السلف حتى فى المباحات وشهوات النفس وقد قال
انس حين رأى النبى صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالى
القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن على وعبد

الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما
كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال
السبتية ويصبغ بالصفرة اذ رأى النبي عليه السلام يفعل نحو ذلك
ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة
من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته
قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من
حاد الله ورسوله وهاؤلاء اصحابه عليهم السلام قد قتلوا احباء
هم وقاتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله
بن ابي لو شئت لاتيتك برأسه يعني اباه ومنها ان يحب القران
الذي اتى به عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت
عايشة كان خلقه القران وحبه للقران تلاوته والعمل به وتفهمه
ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة
حب الله حب القران وعلامة حب الله وحب القران حب النبي
عليه السلام وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة
وعلامة حب السنة حب الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا
وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها الا زادا وبلغة الى الاخرة وقال
بن مسعود لا يسئل احد عن نفسه الا القران فان كان يحب القران فهو
يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم
شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم
كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد
مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام
لابي سعيد الخدري ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من
اعلى الوادي او الجبل الى اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال
رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر
ما تقول قال والله احبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد
للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه فصل في معنى المحبة
للنبي عليه السلام وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله
ومحبة النبي عليه السلام وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع
بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال فقال سفيان
المحبة اتباع الرسول عليه السلام كانها التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني الاية وقال بعضهم محبة الرسول صلى الله
عليه وسلم اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة
مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال اخر ايثار

المحبوب

المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة
القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقال اخر المحبة ميل القلب
الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون
حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان ويكون موافقته
له اما الاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة
والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها
لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة
شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والماثور عنهم السير
الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال
هاؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في اخرين
ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس او
يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه فقد
جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرة هذه
الاسباب كلها في حقه عليه السلام فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه
المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق
والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة
واما احسانه وانعامه على امته فكذلك قد مر منه في اوصاف الله
تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم
واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه ويتلوا عليهم اياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان
اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين واي افضال اعم
منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية
ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى
ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء
الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب
للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة وجبلة بما ذكرناه
آنفا لافاضته الاحسان وعمومه الافضال الاجمال فاذا كان الانسان
يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او
مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم
ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع
ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر من قوام طريقته او قاض بعيد
الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب

الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي رضي الله تعالى عنه في صفته
عليه السلام من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا
عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه **فصل** في و
جوب مناصحته عليه السلام قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا الله ورسوله اذا كانوا مخلصين
مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقرائي عليه حدثنا
حسين بن محمد حدثنا يوسف بن عبد الله حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا
ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن يونس حدثنا زهير
حدثنا سهيل بن ابي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وائمة المسلمين و
عامتهم قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة لله ورسوله ولائمة المسلمين
وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها
عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة
تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته
من شمعه وقال ابو بكر بن اسحق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به الصلاح
والملائمة ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال
ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية
ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه و
البعد من مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان
به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه
والتفقه فيه والذب عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة
لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه
قاله ابو سليمان وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا
وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه
الكريمة وادابه الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحق التجيبي نصيحة رسول
الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته
ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله
واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد
النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الاجري و
غيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي
حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه

والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال وينصرون الله ورسوله الاية
واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة
المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة ال بيته
واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير
منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه
والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة و
علامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري ان
عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار
رأي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال
صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي فاعجبتني كثرتهم
فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعنته
ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم
في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن
وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين و
ترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح
لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم
بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر
عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم **الباب الثالث** في
تعظيم امره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال يا ايها
الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله و يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الايات وقال تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره و
الزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه
تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه و
وقرئ تعززوه بزايين من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول
وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار
ثعلب وقال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا
له وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان
يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه
به الى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم
وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال

الماوردی اتقوه یعنی فی التقدم وقال السلمی اتقوا الله فی اهمال حقه و
تضییع حرمته انه سمیع لقولکم علیم بفعلکم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق
صوته والجهر له بالقول کما یجهر بعضهم لبعض ویرفع صوته وقیل کما ینادی
بعضهم بعضاً باسمه قال ابو محمد مکی ای لا تسابقوه بالکلام وتغلظوا له
بالخطاب ولا ینادوه باسمه نداء بعضکم لبعض ولکن عظموه ووقروه ونادوه
باشرف ما یحب ان ینادی به یا رسول الله یا نبی الله وهذا کقوله تعالی
فی الایة الاخری لا تجعلوا دعاء الرسول بینکم کدعاء بعضکم بعضا علی
احد التاویلین قال غیره لا تخاطبوه الا مستفهمین ثم خوف فهم الله تعالی
بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذالک وحذرهم منه قیل نزلت الایة فی وفد
بنی تمیم وقیل فی غیرهم اتوا النبی علیه السلام فنادوه یا محمد یا محمد اخرج
الینا فذمهم الله تعالی بالجهل ووصفهم بان اکثرهم لا یعقلون وقیل
نزلت الایة الاولی فی محاورة کانت بین ابی بکر وعمر بین یدی النبی صلی
الله تعالی علیه وسلم واختلاف جری بینهما حتی ارتفعت اصواتهما
وقیل نزلت فی ثابت بن قیس ابن شماس خطیب النبی علیه السلام فی
مفاخرة بنی تمیم وکان فی اذنیه صمم فکان یرفع صوته فلما نزلت هذه
الایة اقام فی منزله وخشی ان یکون حبط عمله ثم اتی النبی صلی الله
تعالی علیه وسلم فقال یا نبی الله لقد خشیت ان اکون هلکت نهانا الله
ان نجهر بالقول وانا امرء جهیر الصوت فقال النبی علیه السلام یا ثابت
اما ترضی ان تعیش حمیداً وتقتل شهیداً وتدخل الجنة فقتل یوم الیمامة
وروی ان ابا بکر لما نزلت هذه الایة قال والله یا رسول الله لا اکلمک
بعدها الا کاخی السرار وان عمر کان اذا حدثه حدثه کاخی السرار ما
کان یسمع رسول الله صلی الله علیه وسلم بعد هذه الایة حتی یستفهمه
فانزل الله تعالی فیهم ان الذین یغضون اصواتهم عند رسول الله
اولئک الذین امتحن الله قلوبهم للتقوی لهم مغفرة واجر عظیم وقیل
نزلت ان الذین ینادونک من وراء الحجرات فی غیر بنی تمیم نادوه باسمه
وروی صفوان بن عسال بینا النبی علیه السلام فی سفر اذ ناداه
اعرابی بصوت له جهوری ایا محمد ایا محمد فقلنا له اغضض من صوتک
فانک قد نهیت عن رفع الصوت وقال الله تعالی یا ایها الذین
امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرین هی لغة کانت فی الانصار نهوا
عن قولها تعظیماً للنبی صلی الله علیه وسلم وتبجیلاً له لان معناها
ارعنا نرعک فنهوا عن قولها اذ مقتضاها کانهم لا یرعونه الا برعایته
لهم بل حقه ان یرعی علی کل حال وقیل بل کانت الیهود تعرض بها للنبی
علیه السلام بالرعونة فنهی المسلمون عن قولها قطعاً للذریعة ومنعاً

للتشبه



٨٢

للتشبه بهم فی قولها لمشارکة اللفظة وقیل غیر هذا **فصل** فی عادة الصحابة
فی تعظیمه علیه السلام وتوقیره واجلاله **حدثنا** القاضی ابو علی الصدفی
وابو بحر الاسدی بسماعی علیهما فی اخرین قالوا **حدثنا** احمد بن عمر **حدثنا**
احمد بن الحسن **حدثنا** محمد بن عیسی **حدثنا** ابراهیم بن سفیان **حدثنا** مسلم
حدثنا محمد بن مثنی وابو معن الرقاشی واسحق بن منصور قالوا **حدثنا**
الضحاک بن مخلد اخبرنا حیوة بن شریح حدثنی یزید بن ابی حبیب عن ابن
شماسة المهری قال حضرنا عمرو بن العاص فذکر حدیثا طویلا فیه عن
عمرو قال وما کان احد احب الی من رسول الله علیه السلام واجل فی عینی
منه وما کنت اطیق ان املأ عینی منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما
اطقت لانی لم اکن املأ عینی منه وروی الترمذی عن انس ان رسول
الله علیه السلام کان یخرج علی الصحابة من المهاجرین والانصار وهم
جلوس فیهم ابو بکر وعمر فلا یرفع احد منهم الیه بصره الا ابو بکر وعمر
فانهما کانا ینظران الیه وینظر الیهما ویتبسمان الیه ویتبسم الیهما وروی
اسامة بن شریک اتیت النبی صلی الله تعالی علیه وسلم واصحابه حوله
کانما علی رؤسهم الطیر وفی حدیث صفته اذا تکلم اطرق جلساؤه کانما
علی رؤسهم الطیر وقال عروة بن مسعود حین وجهته قریش عام القضیة
الی رسول الله صلی الله علیه وسلم ورأی من تعظیم اصحابه له ما رأی
وانه لا یتوضأ الا ابتدروا وضوءه وکادوا یقتتلون علیه ولا یبصق
بصاقا ولا یتنخم نخامة الا تلقوها باکفهم فدلکوا بها وجوههم واجسادهم
ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا
تکلم خفضوا اصواتهم عنده وما یحدون الیه النظر تعظیما له فلما
رجع الی قریش قال یا معشر قریش انی جئت کسری فی ملکه وقیصر فی
ملکه والنجاشی فی ملکه وانی والله ما رأیت ملکا فی قوم قط مثل محمد فی
اصحابه وفی روایة ان رأیت ملکا قط یعظمه اصحابه ما یعظم محمداً اصحابه
وقد رأیت قوما لا یسلمونه ابدا وعن انس لقد رأیت رسول الله علیه
السلام والحلاق یحلقه واطاف به اصحابه فما یریدون ان تقع شعرة الا
فی ید رجل ومن هذا لما اذنت قریش لعثمان فی الطواف بالبیت حین وجهه
النبی صلی الله علیه وسلم الیهم فی القضیة ابی وقال ما کنت لافعل حتی
یطوف به رسول الله صلی الله علیه وسلم وفی حدیث طلحة ان اصحاب
رسول الله صلی الله علیه وسلم قالوا لاعرابی جاهل سله عمن قضی
نحبه وکانوا یهابونه ویوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ طلع طلحة
فقال رسول الله علیه السلام هذا ممن قضی نحبه وفی حدیث قیلة فلما
رأیت رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت

من الفرق وذلك هيبة له وتعظيماً وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي عليه
السلام يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان
اسئال رسول الله صلى الله عليه السلام عن الامر فأوخر سنين من
هيبته **فصل** واعلم ان حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته
وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام
وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته
وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن
متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته و
يأخذ في هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه و
يتأدب بما ادبنا الله به **قال القاضي** ابو الفضل وهذه كانت سيرة
سلفنا الصالح وائمتنا الماضين رضي الله عنهم **حدثنا** القاضي ابو
عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم
وغير واحد فيما اجازونيه قالوا اخبرنا ابو العباس احمد بن عمر بن
دلهاث قال **حدثنا** ابو الحسن علي بن فهر **حدثنا** ابو بكر محمد بن احمد
بن الفرج **حدثنا** ابو الحسن عبد الله بن المنتاب **حدثنا** يعقوب
بن اسحق بن ابي اسرائل **حدثنا** ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين
مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير
المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوماً
فقال تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح قوماً
فقال ان الذين يغضون اصواتهم الاية وذم قوماً فقال ان الذين ينادونك
الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا با
عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك
ادم عليه السلام الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك
الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية وقال مالك وقد سئل
عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج
حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي عليه السلام
بكى حتى ارحمه فلما رأيت منه ما رأيت واجلاله للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على
جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما انكرتم على ما
ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله
عن حديث ابداً الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان

كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي عليه السلام اصفر وما رأيته
يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على طهارة ولقد
اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما مصلياً واما صامتا
واما يقرأ القران ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين
يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى
الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه
في فمه هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولقد كنت اتي عامر بن
عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي عليه السلام بكى حتى لا يبقى
في عينيه دموع ولقد رأيت الزهري وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا
ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته ولقد
كنت اتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي
عليه السلام بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروى
عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر
على مالك الناس قيل له لو جعلت مستملياً يسمعهم فقال قال الله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته
حيا وميتا سواء وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث
النبي عليه السلام خشع وكان عبد الرحمن مهدي اذا قرء حديث
رسول الله عليه السلام امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي ويتأول انه يجب له من الانصات عند قرأة الحديث
ما يجب له عند سماع قوله عليه السلام **فصل** في سيرة السلف في تعظيم
رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه **حدثنا**
الحسين بن محمد الحافظ **حدثنا** ابو الفضل بن خيرون **حدثنا** ابو بكر
البرقاني وغيره **حدثنا** ابو الحسن الدارقطني **حدثنا** علي بن مبشر
حدثنا احمد بن سنان القطان **حدثنا** يزيد بن هرون **حدثنا** المسعودي
عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة
فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما
فجرى على لسانه قال رسول الله عليه السلام ثم علاه كرب حتى
رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما
دون ذا او ما هو قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية
وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن عبد الله
بن قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم
وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان
اخذ حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا قائم وقال

مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال انى كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وروى عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله تعالى عليه السلام قال ابن ابى اويس فقيل لمالك فى ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان يحدث فى الطريق او هو قائم او مستعجل وقال احب ان افهم حديث رسول الله عليه السلام قال ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان يحدث الحديث على غير وضوء ونحوه عن قتادة وكان الاعمش اذا احب ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرأ حديث رسول الله تعالى عليه السلام الا على وضوء قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله تعالى عليه السلام فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت يا ابا عبد الله رأيت منك اليوم عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله تعالى عليه السلام قال ابن المهدى مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسألته عن حديث فانتهرنى وقال لى كنت فى عينى اجل من ان تسئل حديث رسول الله تعالى عليه السلام ونحن نمشى وسأله جرير بن عبد الحميد القاضى عن حديث وهو قائم فامر بحبسه فقيل له انه قاض فقال القاضى احق من ادب

وذكر

وذكر ان هشام بن الغازى سأل مالكا حديثا وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق له فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادنى سياطا ويزيدنى حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان الاعمش اذا احب ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم

فصل ومن توقيره عليه السلام وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما حض عليه عليه السلام وسلكه السلف الصالح رضى الله عنهم قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبته من اصله حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغانى حدثتنى ام القاسم بنت الشيخ ابى بكر الخفاف حدثنى ابى حدثنا حاتم هو ابن عقيل حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل حدثنا يحيى هو الحمانى حدثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله تعالى عليه السلام انشدكم الله واهل بيتى ثلاثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل على وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وقال عليه السلام انى تارك فيكم ما ان اخذتم به لم تضلوا كتاب الله وعترتى اهل بيتى فانظروا كيف تخلفونى فيهما وقال عليه السلام معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هى معرفة مكانهم من النبى عليه السلام واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابى سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وذلك فى بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلى خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابى وقاص لما نزلت اية المباهلة دعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلى وقال النبى عليه السلام فى على من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن اذى عمى فقد اذانى وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اغد على يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء اهل بيتى فاسترهم من النار كسترى

ايام فامنت اسكفة الباب وحوايط البيت امين امين وكان ياخذ اسامة
بن زيد والحسن ويقول اللهم انى احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضى الله
عنه ارقبوا محمداً فى اهل بيته وقال ايضاً والذى نفسى بيده لقرابة رسول
الله عليه السلام احب الى ان اصل من قرابتى وقال عليه السلام احب
الله من احب حسناً وحسيناً وقال من احبنى واحب هذين واشار الى حسن
وحسين واباهما وامهما كان معى فى درجتى يوم القيامة وقال عليه السلام
من اهان قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشاً ولا تقدموها وقال عليه
السلام لام سلمة لا تؤذينى فى عايشة وعن عقبة بن الحارث رأيت ابا
بكر رضى الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابى شبيه بالنبى
صلى الله عليه وسلم ليس شبيها بعلى وعلى يضحك وروى عن عبد
الله بن حسن بن حسين قال اتيت عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال لى
اذا كانت لك حاجة فارسل الى او اكتب الى فانى استحيى من الله ان يراك
على بابى وعن الشعبى صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له
بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم
رسول الله فقال هاكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال
هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا ورأى ابن عمر محمد بن اسامة بن
زيد فقال ليت هذا عبدى فقيل له هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن
عمر رأسه ونقر بيده الارض وقال لو راه رسول الله عليه السلام
لاحبه وقال الاوزاعى دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى
لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يدها بين
يديه ويداه فى ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس
بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب
لابنه عبد الله فى ثلاثة الاف ولاسامة بن زيد فى ثلاثة الاف
وخمس مائة قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقنى الى مشهد
فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله عليه السلام من
ابيك واسامة احب اليه منك فاثرت حب رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم على حبى وبلغ معوية ان كابس بن ربيعة
يشبه برسول الله عليه السلام فلما دخل عليه من باب الدار قام
عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه
صورة رسول الله تعالى عليه السلام وروى ان مالكا رحمه الله
لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل
عليه الناس فافاق فقال اشهدكم انى جعلت ضاربى فى حل فسئل

بعد

بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبى عليه السلام فاستحيى منه
ان يدخل بعض اله النار بسببى وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال
له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمى الا وقد جعلته فى
حل لقرابته من رسول الله عليه السلام وقال ابو بكر بن عباس لو اتانى
ابو بكر وعمر وعلى لبدأت بحاجة على قبلهما لقرابته من رسول الله تعالى
عليه السلام ولان اخر من السماء الى الارض احب الى من ان اقدمه
عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبى عليه
السلام فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا رأيتم اية فاسجدوا واى اية اعظم
من ذهاب ازواج النبى عليه السلام وكان ابو بكر وعمر يزوران ام
ايمن مولاة النبى عليه السلام ويقولان كان رسول الله تعالى عليه
السلام يزورها ولما وردت حليمة السعدية على النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفى وفدت على ابى بكر
وعمر فصنعا بها مثل ذلك فصل ومن توقيره وبره عليه السلام توقير
اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم
والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب
عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة
فى احد منهم وان يلتمس لهم ما فى نقل عنهم من مثل ذلك فى مكان بينهم
من الفتن احسن التاويلات ويخرج اصوب المخارج اذهم اهل لذلك ولا
يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليهم امر بل يذكر حسناتهم وفضائلهم
وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه السلام اذا ذكر اصحابى
فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار
الى اخر السورة وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار الاية وقال لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا
القاضى ابو على حدثنا ابو الحسين وابو الفضل حدثنا ابو يعلى حدثنا
ابو على السنجى حدثنا محمد بن محبوب حدثنا الترمذى حدثنا الحسين
بن الصباح حدثنا سفيان بن عيينة ابو عيسى عن الزائدة عن عبد
الملك بن عمير عن ربعى بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدى ابى بكر وعمر وقال
اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل اصحابى كمثل الملح فى الطعام لا
يصلح الطعام الا به وقال الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضاً

بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه و
قال لا تسبوا اصحابى فلو انفق احدكم مثل احد ذهبًا ما بلغ مدّ احدهم و
لا نصيفه وقال سب من اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابى فامسكوا
وقال فى حديث جابر ان الله اختار اصحابى على جميع العالمين سوى
النبيين والمرسلين واختار لى منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليًّا
فجعلهم خير اصحابى وفى اصحابى كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبنى
ومن ابغض عمر فقد ابغضنى قال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة
وسبهم فليس له فى المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاؤا من بعد
هم الاية وقال من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم
الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق و
حب اصحاب محمد عليه السلام قال ايوب السختيانى من احب ابا بكر فقد
اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء
بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء
على اصحاب محمد عليه السلام فقد برى من النفاق ومن انتقص احدًا
منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد
له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعًا ويكون قلبه لهم سليمًا وفى حديث
خالد بن سعيد ان النبى عليه السلام قال ايها الناس انى راض عن ابى
بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس انى راض عن عمر وعن عثمان وعن على
وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم
ذلك ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظونى
فى اصحابى واصهارى واختانى لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها
مظلمة لا توهب فى القيامة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن
عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على
وحى الله واتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بجنازة رجل فلم
يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال عليه السلام
فى الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظونى
فى اصحابى واصهارى فانه من حفظنى فيهم حفظه الله فى الدنيا والاخرة
ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان يأخذه
وعنه عليه السلام من حفظنى فى اصحابى كنت له حافظا يوم القيامة
وقال من حفظنى فى اصحابى ورد على الحوض ومن لم يحفظنى فى اصحابى

لم يرد على الحوض ولم يرنى الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم مؤدب الخلق الذى هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج
فى جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امره الله
وامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم
وروى عن كعب ليس لاحد من اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا له شفاعة
يوم القيامة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيامة قال
سهل بن عبد الله التسترى لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم
يعزز اوامره **فصل** ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده
وامكنته من مكة ومن المدينة ومعاهده وما لمسه عليه السلام او عرف
به وروى عن صفية بنت نجدة قالت كان لابى محذورة قصة فى مقدم
رأسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن
بالذى احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده
وكانت فى قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه السلام فسقطت
قلنسوته فى بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبى عليه
السلام كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته
من شعره عليه السلام لئلا اسلب بركتها وتقع فى ايدى المشركين وروى
ابن عمر واضعا يده على مقعد النبى عليه السلام من المنبر ثم وضعها على
وجهه ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحيى
من الله ان اطأ تربة فيها رسول الله عليه السلام بحافر دابة وروى
انه وهب الشافعى كراعًا كثيرا كان عنده فقال له الشافعى امسك منها دابة
فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمى عن احمد بن فضلويه
الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس بيدى الا على
طهارة منذ بلغنى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ القوس
بيده وقد افتى فيمن قال تربة المدينة ردية بضرب ثلثين درة وامر
بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها
النبى عليه السلام يزعم انها غير طيبة وفى الصحيح انه قال عليه
السلام فى المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
وحكى ان جهجاها الغفارى اخذ قضيب النبى عليه السلام من يد
عثمان رضى الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس
فاخذته الاكلة فى ركبته وقطعها ومات قبل الحول وقال عليه
السلام من حلف على منبرى كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدث
ان ابا الفضل الجوهرى لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل

وشى باكيا منشدا ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولا
لبا نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة لمن بان عنه ان نلم به ركبا وحكى عن
بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول عليه السلام انشاء
يقول متمثلا رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الاوهام واذا المطى
بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام قربننا من خير من وطى الثرى
فلها علينا حرمة وذمام وحكى عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له
فى ذلك فقال العبد الابق يأتى الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشى
على رأسى ما مشيت على قدمى قال القاضى وجدير لمواطن عمرت بالوحى
والتنزيل وتردد بها جبرئيل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح
وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد
البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس ايات
ومساجد صلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين
والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين و
متبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن
طويت فيها الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها
وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدراتها وانشد يا دار خير المرسلين
ومن به هدى الانام وخص بالايات عندى لاجلك لوعة وصبابة و
تشوق متوقد الجمرات وعلى عهد ان ملأت محاجرى من تلكم الجدران
والعرصات لاعفرن مصون شيبى بينها من كثرة التقبيل والرشفات لولا
العوادى والاعادى زرتها ابدا ولو سحبا على الوجنات لكن ساهدى من
حفيل تحيتى لقطين تلك الدار والحجرات ازكى من المسك المفتق نفحة
تغشاه بالاصال والبكرات وتخصه بزواكى الصلوات ونوامى التسليم
والبركات **الباب الرابع** فى حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك
وفضيلته قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الاية
قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبى وقيل ان
الله يترحم على النبى وملائكته يدعون له قال المبرد واصل
الصلاة الترحم فهى من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء
للرحمة من الله وقد ورد فى الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس
ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر
القشيرى الصلوة من الله تعالى لمن دون النبى رحمة وللنبى صلى
الله تعالى عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية
صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء
قال القاضى ابو الفضل وقد فرق النبى عليه السلام فى حديث تعليم

الصلاة

الصلاة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم
الذى امر الله تعالى به عباده فقال القاضى ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية
على النبى عليه السلام فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم
امروا ان يسلموا على النبى عند حضورهم قبره وعند ذكره وفى معنى السلام
عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدرا
كاللذاذ واللذاذة الثانى اى السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل
به ويكون هنا السلام اسم الله الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له و
الانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا
يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما **فصل** اعلم ان الصلوة
على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله
تعالى بالصلوة عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه
وحكى ابو جعفر الطبرى ان محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع
ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذى يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض
مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن
الاسلام وشعار اهله قال القاضى ابو الحسن بن القصار المشهور عن
اصحابنا ان ذلك واجب فى الجملة على الانسان وفرض عليه ان يأتى بها مرة
من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضى ابو بكر بن بكير افترض الله
على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت
معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضى ابو محمد بن
نصر الصلاة على النبى عليه السلام واجبة فى الجملة قال القاضى ابو عبد
الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة
على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرض فى الجملة بعقد الايمان لا تتعين
فى الصلاة وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال
اصحاب الشافعى الفرض منها الذى امر الله به ورسوله عليه السلام هو
فى الصلوة وقالوا واما فى غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما فى
الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر الطبرى والطحاوى وغيرهما اجماع
جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على ان الصلوة على النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فى التشهد غير واجبة وشذ الشافعى فى
ذلك فقال من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد
التشهد الاخير والسلام فصلوته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم
تجزه ولا سلف له فى هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ فى انكار
هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه
الخلاف فيها منهم الطبرى والقشيرى وغير واحد وقال ابو بكر بن

المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلوة الا صلى فيها على رسول الله عليه السلام
فان ترك ذلك تارك فصلوته مجزئة في مذهب مالك واهل المدينة و
سفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جل
اهل العلم وحكى عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة وان
تاركها في التشهد مسيئ وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة
واوجب اسحق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد بن
ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلاه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرايض الصلاة وقاله محمد عبد الحكم
وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها فريضة
في الصلاة كقول الشافعي وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب
فيها ثلثة اقوال في الصلاة الوجوب والسنة والندب وقد خالف الخطابي
وغيره من اصحاب الشافعي الشافعي في هذه المسئلة قال الخطابي وليست
بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها
قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل
الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا
تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي عليه
السلام ليس فيه الصلاة على النبي صلى تعالى عليه وسلم وكذلك كل من
روى التشهد عن النبي عليه السلام كابي هريرة وابن عباس وجابر
وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن
الزبير لم يذكروا فيه صلاة على النبي عليه السلام وقد قال ابن عباس
وجابر كان النبي عليه السلام يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القران
ونحوه عن ابي سعيد وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما
يعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر عمر ابن الخطاب وفي الحديث
لا صلوة لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة
في عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث ابي جعفر
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل
فيها علي وعلى اهل بيتي لم يقبل منه قال الدارقطني الصواب انه قول
ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي
عليه السلام ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم **فصل** في المواطن
التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل
الدعاء حدثنا القاضي ابو علي رحمة الله بقراتي عليه قال حدثنا الامام
ابو القاسم البلخي قال حدثنا الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي عن ابي سعيد

الهيثم بن

الهيثم بن كليب عن ابي عيسى الحافظ قال حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عبد
الله بن يزيد المقرئ حدثنا حيوة بن شريح حدثني ابو هانئ الخولاني ان عمرو بن
مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي عليه السلام فقال النبي
عليه السلام عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد
الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من غير
هذا السند بتحميد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة
معلق بين السماء والارض ولا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي
عليه السلام وعن علي عن النبي عليه السلام بمعناه وقال وعلى ال محمد
وروي ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي عليه السلام و
عن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسال الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء
عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي عليه السلام ثم يسال فانه احرى ان
ينجح وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلوني
كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان
احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني
في اول الدعاء واوسطه واخره وقال ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة
واسباب واوقات فان صادف اركانه قوي وان وافق اجنحته طار في
السماء وان وافق مواقيته فان وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور
القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه
من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة
على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين
علي لا يرد وفي حديث اخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت
الصلاة علي صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش
فقال في اخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي عليه السلام
فتقول اللهم اني اسئلك ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك
افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلاة
عليه عند ذكره او سماع اسمه او كتابه او عند الاذان وقد قال عليه
السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر
النبي عليه السلام عند الذبح وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب
وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال اصبغ
عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل
فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد
لم تكن تسمية له مع الله وقال له اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل

الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيه استننانا وروى النسائي
عن اوس بن اوس عن النبي عليه السلام الامر بالاكثار من الصلوة عليه
يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة والسلام دخول المسجد قال اسحق بن
شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك عليه وعلى اله عليه تسليما
ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل
مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله
تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد
فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن
عباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد
احد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد
اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله و
ملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلاة
واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله عليه
السلام ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يفعله اذا دخل
المسجد ومثله ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد
ذكرنا هذا الحديث اخر القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن
الصلاة عليه ايضا الصلاة على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها
من السنة ومن مواطن الصلوة التي مضى عليها عمل الامة ولم
تنكرها الصلوة على النبي واله في الرسائل وما تكتب بعد البسملة ولم
يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل
الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال عليه
السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي
في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي عليه السلام تشهد الصلوة
حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ الخطيب رحمة الله وغيره قال
حدثتني كريمة بنت احمد قالت حدثنا ابو الهيثم حدثنا محمد بن
يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا ابو نعيم حدثنا الاعمش
عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء

والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد روى
مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم
واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن
مسلمة اراد ما جاء عن عايشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان حين
سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة وبني ادم والجن قال
مالك في المجموعة واحب للماموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم
فصل في كيفية الصلوة عليه والتسليم حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن
جعفر الفقيه بقرائتي عليه حدثنا القاضي ابو الاصبغ حدثنا ابو عبد
الله بن عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا
عبيد الله حدثنا يحيى حدثنا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم
عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي
انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على
محمد وازواجه وذريته كما باركت على ال ابراهيم انك حميد مجيد
وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري قال قولوا اللهم صل على
محمد وعلى اله كما صليت على ال ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على
ال ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية
كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابراهيم وبارك
على محمد وال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن
عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى ال محمد وفي رواية
ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه و
حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف
النحوي بقرائتي عليه قالا حدثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال
ابو بكر المطوعي قال حدثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم
الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور
عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه
الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب قال عدهن في يدي رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبرائيل وقال هكذا
انزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد و
على ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد

اللهم وترحم على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم
انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى ال محمد كما تحننت على
ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى ال
محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة
عن النبي عليه السلام من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا
اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي ازواجه امهات المومنين و
ذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية
زيد بن خارجة الانصاري سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كيف نصلي عليك فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم
بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد و
عن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف
صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك
الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات
الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا
لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس
الاء الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن
والاثم بموضحات الاعلام ونايرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو
امينك المومون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين و
بعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه
مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له غير مكدرات من فوز ثوابك
المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء الناس بناءه
واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول
الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم
وعنه ايضا في الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله
وملائكته يصلون على النبي الاية لبيك اللهم ربي وسعديك
صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يارب العالمين على محمد بن
عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب
العالمين الشاهد البشير الداعي لك باذنك السراج المنير وعليه السلام
وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك
على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه

الاولون

الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم
انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وال
ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب
بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى اله
واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته اصهاره وانصاره
واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن
طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى
وارفع درجته العليا واته سؤله في الاخرة والاولى كما اتيت ابراهيم
وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط
محمدا افضل ما سألك لنفسه واعط محمدا افضل ما سألك له احد من
خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسؤل له الى يوم القيمة وعن ابن
مسعود انه كان يقول اذا صليتم على النبي عليه السلام فاحسنوا
الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم
اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين
وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ال ابراهيم انك حميد
مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ال ابراهيم
انك حميد مجيد وما يؤثر في تطويل الصلاة وتكثير الثناء عن اهل
البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد
من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين في تشهد علي السلام على نبي الله السلام
على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن
عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم
ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي
ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا الحديث عن
علي الدعاء للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالغفران وفي حديث
الصلاة عليه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره من الاحاديث
المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا
يدعى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة
والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالمغفرة والرحمة وقد ذكر
محمد بن ابو زيد في الصلوة على النبي عليه السلام اللهم ارحم محمدا

وال محمد كما ترحمت على ابراهيم وال ابراهيم ولم يأت هذا فى حديث صحيح
وحجته قوله فى السلام السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته

فصل فى فضيلة الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم التسليم
عليه والدعاء له حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه حدثنا
القاضى يونس بن مغيث حدثنا ابو بكر بن معاوية حدثنا النسائى
اخبرنا سويد بن نصر اخبرنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال اخبرنى
كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله
بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا
سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا على فانه من صلى على مرة
صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى
الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال لى الوسيلة حلت عليه
الشفاعة وروى انس بن مالك ان النبى عليه السلام قال من صلى على
صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له
عشر درجات وفى رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه عليه
السلام ان جبرئيل نادانى فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه
عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه
عليه السلام لقيت جبرئيل فقال انى ابشرك ان الله يقول من سلم
عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية
ابى هريرة ومالك بن اوس ابن الحدثان وعبيد الله بن ابى طلحة وعن
زيد بن الحباب سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من
قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة
وجبت له شفاعتى وعن ابن مسعود اولى الناس بى يوم القيمة اكثر
هم على صلاة وعن ابى هريرة عنه عليه السلام من صلى على فى
كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقى اسمى فى ذلك الكتاب وعن
عامر بن ربيعة سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من
صلى على صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى على فليقلل من ذلك
عبد او ليكثر وعن ابى بن كعب كان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت
الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابى بن كعب يا رسول
الله انى اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتى قال ما شئت
قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت
وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير
قال يا رسول الله فاجعل صلاتى كلها لك قال اذا تكفى همك ويغفر

ذنبك

ذنبك وعن ابى طلحة دخلت على النبى عليه السلام فرأيت من بشره وطلاقته ما
لم اره قط فسألته فقال وما يمنعنى وقد خرج جبرئيل آنفا فاتانى ببشارة
من ربى ان الله تعالى بعثنى اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلى عليك
الا صلى الله وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة
التامة والصلاة القائمة ات محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا
الذى وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن ابى وقاص من
قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا
غفر له وروى ابن وهب ان النبى عليه السلام قال من سلم على عشرا
فكانما اعتق رقبة وفى بعض الاثار ليردن على اقوام ما اعرفهم الا
بكثرة صلاتهم على وفى اخر ان انجاكم يوم القيامة من اهوالها ومواطنها و
اكثركم على صلاة وعن ابى بكر رض الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من
عتق الرقاب **فصل** فى ذم من لم يصل على النبى عليه السلام واثمه
حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله حدثنا ابو الفضل بن خيرون
وابو الحسين الصيرفى قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا السنجى حدثنا محمد
بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا احمد بن ابراهيم الدورقى حدثنا
ربعى بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابى سعيد
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رغم
انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم انف رجل دخل رمضان
ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه
الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفى حديث اخر ان النبى
عليه السلام صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال
آمين فسأله عليه السلام معاذ عن ذلك فقال ان جبرئيل صلى الله
عليه اتانى فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات
فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فى من ادرك
رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم
يبرهما فمات مثله وعن على بن ابى طالب عنه عليه السلام انه قال
البخيل الذى ذكرت عنده فلم يصل على وعن جعفر بن محمد عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده فلم
يصل على اخطئ به طريق الجنة وعن على بن ابى طالب ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم

يصلّ عليّ وعن ابي هريرة قال ابو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم ايّما قوم
جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله يصلوا على النبي عليه السلام
كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي
هريرة من نسي الصلوة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه
السلام من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه عليه
السلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي عليه
السلام الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على
النبي عليه السلام الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون
من الثواب حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى
الرجل على النبي عليه السلام مرة في المجلس اجزاء عنه ما كان في
ذلك المجلس فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة من
صلى عليه او سلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي حدثنا
الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا
ابن داسة حدثنا ابو داود حدثنا ابن عوف حدثنا المقري حدثنا
حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من
احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو
بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا
بلغته وعن ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض
يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا
من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي
رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ
منها وعن الحسن عنه عليه السلام حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم
تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد يسلم عليه ويصلي
عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي عليه السلام
عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على
النبي فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تتخذوا
بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان
صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلاة
يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي وعن سليمان ابن سحيم رأيت
النبي عليه السلام في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين

يأتونك

يأتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن
شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اكثروا من
الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان
الارض لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك
حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا فصل
في اختلاف في الصلاة على غير النبي وسائر الانبياء عليهم السلام قال
القاضي وفقه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير
النبي عليه السلام وروي عن ابن عباس انه لا يجوز الصلوة على غير النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وروي عنه لا ينبغي الصلوة على احد الا النبيين
وقال سفيان يكره ان يصلي الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي
مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلي على احد من الانبياء سوى محمد عليه
السلام وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى
بن اسحق اكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به
قال يحيى بن يحيى لست اخذ بقوله ولا بأس بالصلوة على الانبياء كلهم
وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي الصلاة
عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى اله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران
الفاسي روي عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبي عليه السلام
قال وبه نقول ولم يكن تستعمل فيما مضى وقد روي عن عبد الرزاق
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على انبياء
الله ورسوله فان الله بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس
لينة والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق
حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم
وملائكته الاية وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل
عليهم الاية وقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي
عليه السلام اللهم صل على ال ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم
قال اللهم صل على ال فلان وفي حديث الصلوة اللهم صل على محمد و
على ازواجه وذريته وفي اخر وعلى ال محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل
ال بيته وازواجه وذريته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل
ال الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة
وفي رواية انس سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ال محمد قال
كل تقي ويجئ على مذهب الحسن ان المراد بال محمد محمد نفسه فانه كان
يقول في صلوته على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك على ال احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتي

بالتنفل لان الفرض الذى امر الله به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا مثل قوله
عليه السلام لقد اوتى مزمارا من مزامير ال داود يريد من مزامير داود وفى
حديث ابى حميد الساعدى فى الصلاة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته
وفى حديث ابن عمر انه كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى
ابى بكر وعمر ذكره مالك فى الموطأ من رواية يحيى الاندلسى والصحيح من
رواية غيره ويدعو لابى بكر وعمر رضى الله عنهما وروى ابن وهب عن
انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على
فلان صلوات قوم ابرار الذى يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال
القاضى والذى ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفيان
رحمهما الله وروى عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين
انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شىء يختص به الانبياء توقيرا
لهم وتعزيزا كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم
ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبى عليه السلام وسائر
الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله به بقوله
صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران
والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان وقال والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم وايضا فهو امر
لم يكن معروفا فى الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة
والمتشيعة فى بعض الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم
بالنبى عليه السلام فى ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهى عنه
فتجب مخالفتهم فيما التزموه ذلك وذكر الصلاة على الال والازواج
مع النبى عليه السلام بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص قالوا
وصلاة النبى عليه السلام على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة
ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له
مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض اختيار الامام ابى المظفر الاسفرائنى
من شيوخنا والحافظ ابى عمر بن عبد البر فصل فى حكم زيارة قبره
عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة
قبره عليه السلام سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب
فيها روى عن ابن عمر قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من زار قبرى
وجبت له شفاعتى حدثنا القاضى ابو على قال حدثنا ابو الفضل بن
خيرون حدثنا الحسين بن جعفر حدثنا ابو الحسن بن عمر الدارقطنى
حدثنا القاضى المحاملى حدثنا محمد بن عبد الرزاق حدثنا موسى بن

هلال

هلال عن عبد الله ابن عمر عن نافع عن ابن عمر فذكره وعن انس بن مالك قال
قال رسول الله عليه السلام من زارنى فى المدينة محتسبا كان فى جوارى
وكنت له شفيعا يوم القيامة وفى حديث اخر من زارنى بعد موتى فكانما
زارنى فى حياتى وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم وقد اختلف فى معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه
السلام لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارات
القبور فزوروها وقوله من زار قبرى فقد اطلق اسم الزيارة وقيل
لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشىء اذ ليس كل
زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد فى حديث اهل الجنة زيارتهم
لربهم ولم يمنع هذا اللفظ فى حقه وقال ابو عمران انما كره مالك ان يقال
طواف الزيارة وزرنا قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاستعمال
الناس ذلك بينهم لبعض وكره تسوية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
مع الناس بهذا اللفظ واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطى الى
قبره عليه السلام يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتوكيد
والاولى عندى ان منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبى عليه
السلام وانه لو قال زرنا النبى لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم
لا تجعل قبرى وثنا يعبد بعدى اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم
مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا
للذريعة وحسما للباب والله اعلم قال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما لم
يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلوة فى مسجد رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره
ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذى كان يستند
اليه وينزل جبرئيل بالوحى فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة
وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابى فديك سمعت
بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملائكته يصلون على النبى
ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى
الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابى سعيد
المهرى قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لى اليك
حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبى عليه السلام فاقرئه منى
السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رأيت
انس بن مالك اتى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوقف فرفع يديه

حتى ظننته انه افتتح الصلوة فسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم
انصرف قال مالك فى رواية ابن وهب اذا سلم على النبى صلى الله ودعا
يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده و
قال فى المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
يدعو ولكن يسلم ويمضى قال ابن ابى مليكة من احب ان يقوم وجاه النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فليجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر على
رأسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة واكثر يجيء
الى القبر فيقول السلام على النبى السلام على ابى بكر السلام على ابى ثم
ينصرف ورءى واضعا يده على مقعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
من المنبر ثم وضعها على وجهه وعن ابن قسيط والعتبى كان اصحاب
النبى عليه السلام اذا خلا المسجد جسّوا برمانة المنبر التى تلى القبر
بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون وفى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى
الليثى انه كان يقف على قبر النبى عليه السلام فيصلى على النبى وعلى ابى
بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبى ويدعو لابى بكر وعمر قال مالك فى
رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبى ورحمة الله و
بركاته قال فى المبسوط ويسلم على ابى بكر وعمر قال القاضى ابو الوليد
الباجى وعندى انه يدعو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بلفظ الصلاة
ولابى بكر وعمر كما فى حديث ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول
اذا دخل مسجد الرسول بسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام السلام
علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى
ابواب رحمتك وجنتك واحفظنى من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى
الروضة وهى ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك
بالقبر تحمد الله فيها وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت
ركعتاك فى غير الروضة اجزأتاك وفى الروضة افضل وقد قال عليه
السلام ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على ترعة
من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلى عليه وتثنى
بما يحضرك وتسلم على ابى بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلاة فى
مسجد النبى عليه السلام بالليل والنهار ولا تدع ان تأتى مسجد قباء
قبور الشهداء قال مالك فى كتاب محمد ويسلم على النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا دخل وخرج يعنى فى المدينة وفى ما بين ذلك قال محمد
واذا خرج جعل اخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا
وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل

على النبى

على النبى عليه السلام وقل اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك واذا
خرجت فصل على النبى عليه السلام وقل اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى
ابواب فضلك وفى رواية اخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا
خرج اللهم انى اسألك من فضلك وفى اخرى اللهم احفظنى من الشيطان
وعن محمد ابن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته
على محمد السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا و
بسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك
وعن فاطمة ايضا كان النبى عليه السلام اذا دخل المسجد قال صلى الله
على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفى رواية حمد الله و
سمى وصلى على النبى عليه السلام وذكر مثله وفى رواية بسم الله والسلام
على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لى ابواب رحمتك ويسر لى ابواب
رزقك وعن ابى هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فليقل اللهم افتح لى وقال مالك فى المبسوط وليس
يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما
ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا بأس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان
يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيصلى عليه ويدعو له ولابى
بكر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه
يفعلون ذلك فى اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا فى الجمعة او فى الايام المرة
والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغنى هذا
عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح اخر هذه الامة الا
ما اصلح اولها ولم يبلغنى عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون
ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القاسم رايت اهل
المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيى
قال الباجى ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك
واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال
عليه السلام اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على
قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبرى عيدا ومن
كتاب احمد بن سعيد الهندى فى من وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه
ولا يقف عنده طويلا وفى العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام فى مسجد
النبى عليه السلام واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم حيث العمود المخلق واما فى الفريضة فالتقدم الى الصفوف
والتنفل فيه للغرباء احب الى من التنفل فى البيوت **فصل** فى ما يلزم

من دخل مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه
وفضله وفضل الصلاة فيه وفى مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل
سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول
يوم احق ان تقوم فيه روى ان النبى عليه السلام سئل اى مسجد هو قال
مسجدى هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن
انس وغيرهم وعن ابن عباس انه مسجد قباء حدثنا هشام ابن احمد
الفقيه بقرائى عليه قال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر
النمرى حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن داسة حدثنا
ابو داود حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن الزهرى عن سعيد بن المسيب
عن ابى هريرة عن النبى عليه السلام قال لا تشد الرجال الا الى ثلاثة
مساجد مسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الاثار
فى الصلاة والسلام على النبى عليه السلام عند دخول المسجدى وعن
عبد الله بن عمرو بن العاصى ان النبى عليه السلام كان اذا دخل المسجد
قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان
الرجيم وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه صوتا
فى المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال لو كنت
من هاتين القريتين ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة
لا ينبغى لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشئ من الاذى وان
ينزه عما يكره قال القاضى حكى ذلك كله القاضى اسمعيل فى مبسوطه
فى باب فضل مسجد النبى عليه السلام والعلماء كلهم متفقون ان
حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضى اسمعيل وقال محمد بن مسلمة
ويكره فى مسجد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الجهر على المصلين
فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت
قد كره رفع الصوت بالتلبية فى مساجد الجماعات الا المسجد الحرام و
مسجدنا وقال ابو هريرة عنه عليه السلام صلاة فى مسجدى هذا خير من
الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضى اختلف الناس فى معنى
هذا الاستثناء على اختلافهم فى المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك
فى رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان
معنى الحديث ان الصلاة فى مسجد الرسول افضل من الصلاة فى سائر
المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة فى مسجد النبى عليه السلام
افضل من الصلاة فيه بدون الالف واحتجوا بما روى عن عمر بن الخطاب
صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه فتاتى فضيلة مسجد الرسول
عليه بتسع مائة وعلى غيره بالف وهذا مبنى على تفضيل المدينة على مكة

على

على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدينة وذهب اهل
مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب
من اصحاب مالك وحكاه الساجى عن الشافعى وحملوا الاستثناء فى الحديث
المتقدم على ظاهره وان الصلاة فى المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث
عبد الله بن الزبير عن النبى عليه السلام بمثل حديث ابى هريرة وفيه
وصلاة فى المسجد الحرام افضل من الصلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة
وروى قتادة مثله فيأتى فضل الصلاة فى مسجد الحرام على هذا على الصلاة
فى سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض
قال القاضى ابو الوليد الباجى الذى يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة
لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوى الى ان
هذا التفضيل انما هو فى صلاة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان
ذلك فى النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من
رمضان وقد ذكر عبد الرزاق فى تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها
حديثا نحوه وقال عليه السلام ما بين بيتى ومنبرى روضة من
رياض الجنة ومثله عن ابى هريرة وابى سعيد وزاد ومنبرى على حوضى
وفى حديث اخر منبرى على ترعة من ترع الجنة قال الطبرى فيه
معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روى
ما بينه بين حجرتى ومنبرى والثانى ان البيت هنا القبر وهو قول
زيد بن اسلم فى هذا الحديث كما روى بين قبرى ومنبرى قال الطبرى
واذا كان قبره فى بيته اتفقت معانى الروايات ولم يكن بينهما خلاف
لان قبره فى حجرته وهو بيته وقوله ومنبرى على حوضى قيل يحتمل انه
منبره بعينه الذى كان فى الدنيا وهو اظهر والثانى ان يكون له هناك
منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة
يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجى وقوله روضة من
رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء و
الصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف
والثانى ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون فى الجنة بعينها قاله
الداودى وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم قال فى المدينة لا يصبر على لاوائها وشدتها احد الا
كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة وقال فى من يتحمل عن المدينة و
المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفى خبثها
وينصع طيبها وقال لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها
الله خيرا منه وروى عنه عليه السلام من مات فى احد الحرمين حاجا

او معتمرا بعثه الله يوم القيامة لاحساب عليه ولا عذاب وفي طريق
اخر بعث من الامنين يوم القيامه وعن ابن عمر من استطاع ان يموت
بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال تعالى ان اول بيت
وضع للناس للذي ببكة الى قوله امنا قال بعض المفسرين امنا من
النار وقيل كان يامن من الطلب من احدث حدثا والتجا اليه في الجاهلية
وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم
وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا
رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن
فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه
ومن حج ثانية داين ربه فينادي غدا ملك من عند الله من كان له على
الله دين فليقم ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر
رسول الله عليه السلام الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك
واعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام ما من احد يدعو الله
عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه
عليه السلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه و
ما تاخر وحشر يوم القيمة من الامنين قرأت على القاضي الحافظ ابي
علي رحمه الله حدثك ابو العباس العذري قال حدثنا ابو اسامة محمد بن
احمد بن محمد الهروي حدثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن
الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت سفيان
بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت بن عباس يقول سمعت رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا
استجيب له قال ابن عباس وانا دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا استجيب لي وقال عمرو بن
دينار وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من
ابن عباس الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي قال الحميدي وانا فما
دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي
وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما
دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس
الا استجيب لي قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن
رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجوا ان يستجاب لي من امر الاخرة

قال العذري

قال العذري وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة
الا استجيب لي قال ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي
بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل
ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل
الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته القسم الثالث
فيما يجب للنبي عليه السلام وما يستحيل او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من
الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل افان مات او قتل الاية وقال ما المسيح بن مريم الا رسول
قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال تعالى وما
ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق
وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وسائر الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم
والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي
لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم اذ لا تطيقون مقاومة الملك
ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله
ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه
على مقاومته كالانبياء والرسل فالانبياء والرسل وسائط بين الله وبين
خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم ما لم يعلموه
من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم و
اجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على
البشر من الاعراض والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم
وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملاء الاعلى متسمة
بصفات الملائكة سليمة من التغير والافات لا يلحقها غالبا عجز البشرية
ولا ضعف الانسانية اذ كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما
اطاقوا الاخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه
غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة
وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر وارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول
الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح
والبواطن مع الملائكة كما قال عليه السلام لو كنت متخذا من امتي خليلا لا
تخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما
قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني اظل يطعمني ربي و
يسقيني فبواطنهم منزهة عن الافات مطهرة من النقايص والاعتلالات

وهذه جملة لن يكتفى بمضمونها كل همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما
نأتى به بعد هذا فى البابين بعون الله وهو حسبى ونعم الوكيل **الباب**
الاول فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة نبينا وسائر الانبيا
صلوات الله عليهم قال القاضى ابو الفضل رضا اعلم ان الطوارئ من
التغيرات والآفات على احاد البشر لا يخلو ان تطرأ على جسمه وعلى حواسه
بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام او تطرآء بقصد واختيار وكله
فى الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع عقد
بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الافات و
التغيرات بالاختيار وبغير الاختيار فى هذه الوجوه كلها والنبى صلى الله
تعالى عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة
البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه
عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التى تقع على الاختيار وعلى غير
الاختيار كما سنبينه ان شاء الله فى ما نأتى به بعد من التفاصيل **فصل**
فى حكم عقد قلب النبى عليه السلام من وقت نبوته اعلم منحنا الله و
اياك توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته
والايمان به وبما اوحى اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين
والانتفاء عن الجهل بشئ من ذلك او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما
يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين
الواضحة ان يكون فى عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابراهيم
عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبى اذ لم يشك ابراهيم فى اخبار الله تعالى
له باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحياء
فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثانى بكيفيته ومشاهدته الوجه
الثانى ان ابراهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابته
دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله تعالى اولم تؤمن اى تصدق
بمنزلتك منى وخلتك واصطفائك الوجه الثالث انه سأل زيادة يقين
وقوة طمانينة وان لم يكن فى الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية
قد تتفاضل فى قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز
فى النظريات فاراد الانتقال من النظر او الخبر الى المشاهدة والترقى من
علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن
عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا فى حاله
الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيى ويميت طلب ذلك
من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على
طريق الادب المراد اقدرنى على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبى عن

هذه الامنية الوجه السادس انه ارى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد
قربة وقول نبينا عليه السلام نحن احق بالشك من ابراهيم نفى لان يكون ابراهيم
شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابراهيم اى نحن موقنون بالبعث
واحياء الله الموتى فلو شك ابراهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب
او ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق
ان حملت قصة ابراهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله
فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الايتين
فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن
عباس او غيره من اثبات شك للنبى عليه السلام فى ما اوحى اليه وانه من
البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان النبى
عليه السلام قال ما اشك ولا اسأل وعامة المفسرين على هذا واختلفوا فى
معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت فى شك الاية قالوا وفى
السورة نفسها ما دل على هذا التأويل قوله قل يا ايها الناس ان كنتم فى
شك من دينى الاية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم كما قال الله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له
والمراد غيره ومثله فلا تك فى مرية مما يعبد هاؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن
العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله وهو عليه السلام
كان المكذب فى ما يدعوا اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل ان
المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية وقوله الرحمن فسأل به خبيرا
المأمور ههنا غير النبى عليه السلام ليسأل النبى والنبى عليه السلام
هو الخبير المسئول لا المستخبر السائل وقال ان هذا الشك الذى امر غير النبى
بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فى ما قصه من اخبار الامم لا فى ما دعا
اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسأل من ارسلنا من
قبلك من رسلنا الاية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم قاله القتبى وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض
وتم الكلام ثم ابتدأ اجعلنا من دون الرحمن الى آخر الاية على طريق الانكار
اى ما جعلنا حكاه مكى وقيل امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يسئل
الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال
فروى انه قال لا اسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا
هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدى والضحاك
وقتادة والمراد بهذا والذى قبله اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى
لم يأذن فى عبادة غيره لاحد ردا على مشركى العرب وغيرهم فى قولهم

انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اى فى علمهم
بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فى ما ذكر
فى اول الاية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اى قل لمن امترى يا محمد
فى ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الاية افغير الله ابتغى
حكما الاية وان النبى عليه السلام يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير
كقوله ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الاهين وقد علم الله انه لم يقل
وقيل معناه ما كنت فى شك فسئل تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك
وقيل ان كنت تشك فى ما شرفناك و فضلناك به فسئلهم عن صفتك
فى الكتب ونشر فضائلك وحكى عن ابى عبيدة ان المراد ان كنت فى شك
من غيرك مما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيأس الرسل و
ظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى فى ذلك ما قالته عايشة
معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا
ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين و
قيل ان الضمير فى ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل وهو
قول ابن عباس والنخعى وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قراء
مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق
بمنصب العلماء فكيف بالانبياء وكذلك ما ورد فى حديث السيرة ومبتدأ
الوحى من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشك فى ما اتاه
الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشى ان لا تحمل قوته مقاومة الملك
واعباء الوحى لينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد فى الصحيح انه
قاله بعد لقائه الملك او يكون ذلك قبل لقياه الملك واعلام الله تعالى
له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجايب وسلم عليه الحجر والشجر و
بداية المنامات والتباشير كما روى فى بعض طرق هذا الحديث ان ذلك
كان اولا فى المنام ثم ارى فى اليقظة مثل ذلك تأنيسا له عليه السلام
لئلا يفجاءه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حاله بنية البشرية
وفى الصحيح عن عايشة اول ما بدى به رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء و
قالت الى ان جاءه الحق وهو فى غار حراء الحديث وعن ابن عباس مكث
النبى عليه السلام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء
سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق
عن بعضهم ان النبى عليه السلام قال وذكر جواره بغار حراء قال فجانى
وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقراء وذكر نحو حديث عايشة فى غطه

له واقرانه اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف عنى وهبيت من نومى
كانما صورت فى قلبى ولم يكن ابغض الى من شاعر او مجنون ثم قلت لا
تحدث عنى قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسى
منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادى من السماء
يا محمد انت رسول الله وانا جبرئيل فرفعت رأسى فاذا جبرئيل على
صورة رجل وذكر الحديث فقد بين فى هذا ان قوله لما قال وقصده لما
قصد انما كان قبل لقاء جبرئيل عليهما السلام وقبل اعلام الله له بالنبوة
واظهاره اصطفاءه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرجيل انه عليه
السلام قال لخديجة انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء وقد خشيت والله
ان يكون هذا لامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لخديجة انى لاسمع صوتا وارى ضوءا واخشى ان
يكون بى جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله فى بعض هذه الاحاديث
ان الابعد منه شاعر او مجنون والفاظ يفهم منها معانى الشك
فى تصحيح ما رآه وانه كان كله فى ابتداء امره وقبل لقائه الملك له واعلام
الله رسوله فكيف بعض هذه الفاظ لا يصح طرقها واما بعد اعلام الله
تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فى ما
القى اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله عليه السلام
كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القران
اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك
قال اما الان فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبرئيل بكشف
رأسها الحديث انما ذلك فى حق خديجة ليتحقق صحة نبوة رسول الله
عليه السلام وان الذى يأتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت
ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وليختبر هو حالة بذلك بل
قد ورد فى حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن
ابيه عن عايشة ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك وفى
حديث اسمعيل بن ابى حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرنى بصاحبك اذا جاءك قال
نعم فلما جاء جبرئيل اخبرها فقالت له اجلس الى شقى وذكر الحديث الى
آخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر
وآمنت به فهذا يدل انها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة
لايمانها لا للنبى عليه السلام وقول معمر فى فترة الوحى فحزن النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من
رؤس شواهق الجبال لا يقدح فى هذا الاصل لقول معمر عنه بلغنا ولم

يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه
فعل ذلك لما اخرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع
نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ويصحح معنى هذا التاويل
حديث رواه شريك عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان
المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم واتفق رايهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه
وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبرئيل فقال يا ايها المزمل يا ايها
المدثر او خاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان تكون عقوبة من
ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به
ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به
من العذاب وقول الله في يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن
نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا نضيق عليه مسلكه في
خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه بالعقوبة وقيل
نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نواخذه
بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على
الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة من صفات ربه و
كذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول
ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له و
معاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستحييا من
قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض
الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله به على لسان نبي اخر
فقال له يونس غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا
وقد روي عن ابن عباس ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان
نبذه الحوت واستدل من الاية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم و
انبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه ويستدل ايضا بقوله ولا
يكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من
الصالحين فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله
عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي
طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون
هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل اصل
الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين

السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شيء يغشي القلب ولا
يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس
وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين
في اليوم اذ ليس تقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا
عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه و
فترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله
تعالى عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل
ومقاومة الولي والعدو والمصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة
وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان
صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة و
اتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه و
اقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه راى عليه السلام حال فترته
عنها وشغله بسواها غضا على حاله وحفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله
من ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا به مال كثير
من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا
للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق
البلاغ على ما سياتي وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة
ممن قال بتنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز
عليه في حال سهوا وفترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من
امر امته عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا
وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فانزل
الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه السلام عندها اظهارا للعبودية
والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للامة يحملهم
على الاستغفار قال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن وقد
يحتمل ان يكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر
حينئذ شكرا لله تعالى وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة
افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض
طرق هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر
من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه
السلام ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح
عليه السلام فلا تسالني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من
الجاهلين انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في اية نبينا عليه السلام
لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي اية نوح

لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات
الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم
ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال انى اعظك وليس في آية
منها دليل على كونهم على تلك الصفة التى نهاهم عن الكون عليها فكيف و
آية نوح قبلها فلا تسألنى ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها
اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد يجوز اباحة السؤال فيه ابتداء
فنهاه الله ان يسأله عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب
لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه من ليس
من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه مكى كذلك امر نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم في الاية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا
يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك
وقيل معنى الخطاب لامة محمد اى فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد
مكى وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء
منه بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا
يجوز عليهم شئ من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا عليه السلام
على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الاية
وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية وقوله
اذاً لاذقناك ضعف الحيوة الاية وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله
وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشاء
الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالاته وقوله اتق
الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك انه عليه
السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان
يشرك به ولا يتقول على الله ما لا يجب او يفترى عليه او يضل او يختم
على قلبه او يطيع الكافرين لكن يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ
للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب
نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما قال لموسى
وهرون لا تخافا لتشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله
ويذهب عنهم خوف العدو والمضعف للنفس واما قوله ولو
تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقوله اذاً لاذقناك ضعف الحياة فمعناه
ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله و
كذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا
الذين كفروا الاية وقوله ان يشاء الله يختم على قلبك ولئن اشركت
ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبى

صلى الله

صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين
فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاؤه ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد
الذين يدعون ربهم الاية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين
فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب
انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شئ
من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه
النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق
انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثانى
من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احداً
نبئ واصطفى ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب
النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله و
انا اقول قريشاً قد رمت نبينا بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياء
هم بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة
ولم نجد في شئ من ذلك تعييراً لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه
بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك
مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم
عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم
آلهتهم وما كان يعبد اباؤهم من قبل ففى اطباقهم على الاعراض عنه
دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم
يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما وليهم عن قبلتهم التى كانوا عليها
كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضى القشيرى على تنزيههم عن هذا
بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الاية وبقوله واذ
اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله
في الميثاق وبعيد ان يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين
بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من
الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك
وقد اتاه جبريل وشق قلبه صغيراً واستخرج منه علقة وقال هذا
حظ الشيطان منك ثم غسله وملاءه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار
المبدأ ولا يشتبه عليك بقول ابراهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا
ربى فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال
وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه
انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام
الوارد مورد الانكار والمراد افهذا ربى قال الزجاج قوله هذا ربى اى

على قولكم كما قال اين شركائى اى عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك
واشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما
تعبدون ثم قال افرايتم ماكنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم
عدو لى الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اى من الشرك
وقوله واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لئن لم
يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيده بمعونته
اكن مثلكم فى ضلالتكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو
معصوم فى الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا
لرسولهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد
افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا تشكل عليك
لفظة العود وانها تقتضى انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم
فقد تاتى هذه اللفظة فى كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة
كما جاء فى حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل كذلك ومثله قول
الشاعر فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله
ووجدك ضالا فهدى ليس من الضلال الذى هو الكفر قيل ضالا عن
النبوة فهداك اليها قاله الطبرى وقيل ووجدك بين اهل الضلال
فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدى و
غير واحد وقيل ضالا عن شريعتك لا تعرفها فهداك اليها والضلال
ها هنا التحير ولهذا كان عليه السلام يخلو بغار حراء فى طلب ما يتوجه به
الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام قال معناه القشيرى
وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم
قاله على بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له عليه السلام ضلالة معصية
وقيل فهدى اى بين امرك بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة و
المدينة فهداك الى المدينة وقيل المعنى ووجدك فهدى بك ضالا وعن
جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتى لك فى الازل اى لا تعرفها فمننت
عليك بمعرفتى وقرا الحسن بن على ووجدك ضال فهدى اى اهتدى بك
وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اى محبا لمعرفتى والضال المحب كما قال
انك لفى ضلالك القديم اى محبتك القديمة ولم يريدوا ها هنا فى الدين
اذ قالوا ذلك فى نبى الله لكفروا ومثله عند هذا قوله انا لنراها فى
ضلال مبين اى محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا فى بيان ما
انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الاية وقيل وجدك
لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا
قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك فى قصة موسى عليه

السلام

السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اى من المخطئين الفاعلين شيئا بغير
قصد قاله ابن عرفة وقال الازهرى معناه من الناسين وقد قيل ذلك فى قوله
ووجدك ضالا فهدى اى ناسيا كما قال تعالى ان تضل احداهما فان قلت
فما معنى قوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندى
قال معناه ما كنت تدرى قبل الوحى ان تقرأ القران ولا كيف تدعو الخلق
الى الايمان وقال بكر القاضى نحوه قال ولا الايمان الذى هو الفرائض و
الاحكام قال كان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التى لم يكن يدريها
قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهو من احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله
وان كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم
عن اياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد الهروى ان معناه لمن الغافلين عن
قصة يوسف عليه السلام اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذى
يرويه عثمان بن ابى شيبة بسنده عن جابر ان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما
يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه و
عهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل
جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطنى يقال ان
عثمان وهم فى اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده
فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبى عليه السلام خلافه عند اهل العلم
من قوله بغضت الى الاصنام وقوله فى الحديث الاخر الذى روته ام
ايمن حين كلمه عمه واله فى حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد
كراهيته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من
صنم تمثل لى رجل ابيض طويل يصيح بى وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا
وقوله فى قصة بحيرا حين استحلف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باللات
والعزى اذ لقيه بالشام فى سفرته مع عمه ابى طالب وهو صبى ورأى فيه
علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم
لا تسألنى بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله
الا ما اخبرتنى عما اسئلك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف
من سيرته عليه السلام وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته يخالف
المشركين فى وقوفهم بمزدلفة فى الحج فكان يقف هو بعرفة لانه
كان موقف ابراهيم عليه السلام فصل قال القاضى ابو الفضل
قد بان بما قدمناه عقود الانبياء فى التوحيد والايمان والوحى
وعصمتهم فى ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود
قلوبهم فجماعها انها مملوءة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت

من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا مالا شئ فوقه ومن طالع الاخبار
واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه فى حق نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم فى الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب
ما ينبه على ما ورآءه الا ان احوالهم فى هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق
منها بامر الدنيا فلا يشترط فى حق الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبيا
ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هى عليه ولا وصم عليهم فيه اذ
هممهم متعلقة بالاخرة وانبآئها وامر الشريعة وقوانينها وامور
الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين هذا فى الباب
الثانى ان شاء الله تعالى ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيأ من امر الدنيا
فان ذلك يؤدى الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا
الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر فى مصالح دينهم
ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء
وسيرهم فى هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان
كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبى الا العلم به ولا يجوز
عليه جهله جملة لانه لا يخلوا ان يكون حصل عنده ذلك عن وحى من
الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل
له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شئ
على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه فى ذلك على قول المحققين وعلى
مقتضى حديث ام سلمة انى انما اقضى بينكم برأيى فيما ينزل على فيه شئ
خرجه الثقات وكقصة اسرى بدر والاذن للمتخلفين على رأى بعضهم
فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق
الذى لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه ممن اجاز عليه الخطاء فى
الاجتهاد على القول بتصويب المجتهدين الذى هو الحق والصواب
عندنا ولا على القول الاخر بان الحق فى طرف واحد لعصمة النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم من الخطاء فى الاجتهاد فى الشرعيات ولان القول
فى تخطئة المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبى واجتهاده
انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شئ ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه
صلى الله تعالى عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل
الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر
علم جملتها عنده اما بوحى من الله او اذن له ان يشرع فى ذلك ويحكم
بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحى فى كثير منها ولكنه لم يمت حتى
استفرغ علم جميعها عنده عليه السلام وتقررت معارفها لديه على

التحقيق

التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل
بشئ من تفاصيل الشرع الذى امر بالدعوة اليه اذ لا تصح دعوته الى ما لا
يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والارض وخلق الله تعالى
وتعيين اسمآئه الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة واشراط الساعة
واحوال السعدآء والاشقياء وعلم ما كان ويكون مما لم يعلمه الا بوحى
فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه لا يأخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب
بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك
وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله انى لا اعلم الا ما
علمنى ربى ولقوله ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من
قرة اعين وقول موسى لخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا و
قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اسئلك باسمآئك الحسنى ما علمت منها وما
لم اعلم وقوله اسئلك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او استأثرت به
فى علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذى علم عليم قال زيد
بن اسلم وغيره حتى ينتهى العلم الى الله وهذا مما لا خفاء به اذ معلوماته
تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبى فى التوحيد والشرع
والمعارف والامور الدينية فصل واعلم ان الامة مجمعة على عصمة
النبى من الشيطان وكفايته منه لا فى جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره
بالوساوس وقد اخبرنا القاضى الحافظ ابو على رحمه الله قال حدثنا
ابو الفضل ابن خيرون العدل حدثنا ابو بكر البرقانى وغيره حدثنا ابو
الحسن الدارقطنى حدثنا اسمعيل الصفار حدثنا عباس الترقفى حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن منصور عن سالم بن ابى الجعد عن
مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من
الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياى ولكن الله تعالى
اعاننى عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يأمرنى الا بخير وعن
عايشة بمعناه روى فاسلم بضم الميم فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه
الرواية ورجحها وروى فاسلم يعنى القرين انه انتقل عن حال كفره
الى الاسلام فصار لا يأمر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه
بعضهم فاستسلم قال القاضى ابو الفضل فاذا كان هذا حكم شيطانه
وقرينه المسلط على بنى ادم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته
ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت الاثار بتصدى الشياطين
له فى غير موطن رغبة فى اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال شغل
عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له فى صلوته

فاخزه النبى عليه السلام واسره ففى الصحاح قال ابو هريرة عنه عليه السلام
ان الشيطان عرض لى قال عبد الرزاق فى صورة هر فشد على يقطع على
الصلوة فامكننى الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية
حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخى سليمان رب اغفر لى وهب لى
ملكا الاية فرده الله خاسئا وفى حديث ابى الدرداء عنه عليه
السلام ان عدو الله ابليس جاءنى بشهاب من نار ليجعله فى وجهى
والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الصلوة وذكر تعوذه بالله
منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب
به ولدان اهل المدينة وكذلك فى حديثه فى الاسراء وطلب عفريت
له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره فى الموطأ ولما لم
يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش
فى الائتمار بقتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتصوره فى صورة
الشيخ النجدى ومرة اخرى فى غزوة يوم بدر فى صورة سراقة بن
مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية ومرة
ينذر بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه
ضره وشره وقد قال عليه السلام ان عيسى عليه السلام كفى من
لمسه فجاء ليطعن بيده فى خاصرته حين ولد فطعن فى الحجاب و
قال عليه السلام حين لد فى مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك
ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه على فان
قيل فما معنى قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله الاية فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض
عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اى يستخفنك غضب يحملك
على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما
قال من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى وقيل ينزغنك
يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى انه
متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه
به وخواطر ادانى وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ
منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من
التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل فى هذه الاية غير
هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان فى صورة الملك ويلبس
عليه لا فى اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد فى ذلك دليل المعجزة
بل لا يشك النبى ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله حقيقة اما
بعلم ضرورى يخلقه الله له او ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة ربك

صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته الاية فاعلم ان
للناس فى معنى هذه الاية اقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث
واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمنى هاهنا التلاوة
والقاء الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالى حتى
يدخل عليه الوهم والنسيان فى ما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين
من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم
اياته وسياتى الكلام على هذه الاية بعد باشبع من هذا ان شاء الله تعالى
وقد حكى السمرقندى انكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان
وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد
هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذى ولد له وقال ابو محمد مكى فى قصة
ايوب وقوله انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان
يتاول ان الشيطان هو الذى امرضه والقى الضر فى بدنه ولا يكون
ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكى وقيل ان الذى
اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله عن
يوشع وما انسانيه الا الشيطان وقوله عن يوسف فانساه الشيطان
ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام حين نام على الصلاة يوم الوادى ان
هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام فى وكزته هذا من عمل
الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد فى جميع هذا على مورد مستمر كلام
العرب فى وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال
تعالى طلعها كانه رؤس الشياطين وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه
اذ لم يثبت له فى ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى واذ قال
موسى لفتاه والمروى انه انما نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موته
وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القران وقصة يوسف قد ذكر انها
كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون فى قوله فانساه الشيطان قولين
احدهما ان الذى انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبى السجن وربه
الملك اى انساه ان يذكر للملك شان يوسف عليه السلام وايضا فان
مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس
ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما من امورهما
ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام ان هذا واد به شيطان فليس
فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد
بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه

كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان فى ذلك الوادى انما كان على
بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيهاً على
سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيهاً على سبب الرحيل عن الوادى
وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض
به فى هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله **فصل** واما اقواله عليه السلام
فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما
كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شئ منها بخلاف ما
هو به لا قصدا او عمدا ولا سهوا او غلطا اما تعمد الخلف فى ذلك فمنتف
بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة
اجماعاً واما وقوعه على جهة الغلط فى ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابى
اسحق الاسفرائنى ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع
بانتفاء ذلك وعصمة النبى لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضى ابو
بكر الباقلانى ومن وافقه لاختلاف بينهم فى مقتضى دليل المعجزة لا
نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع
المسلمين انه لا يجوز عليه خلف فى القول فى ابلاغ الشريعة والاعلام
بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على
غير عمد ولا فى حالتى الرضاء والسخط والصحة والمرض وفى حديث
عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله ااكتب كلما اسمع منك قال نعم قلت
فى الرضا والغضب قال نعم فانى لا اقول فى ذلك كله الا حقا ولنزد ما
اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه
وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة
مقام قول الله له صدقت ما تذكره عنى وهو يقول انى رسول الله اليكم
لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحى يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه فى هذا
الباب خبر بخلاف مخبره على اى وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو
لما تميز لنا من غيره ولاختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه
جملة واحدة من غير خصوص وتنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
عن ذلك كله واجب برهانا واجماعاً كما قاله ابو اسحق **فصل** وقد
توجهت هاهنا لبعض الطاعنين سوآلات منها ما روى من ان النبى
عليه السلام لما قرأ سورة والنجم وقال افرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلا وان شفاعتها لترتجى ويروى
ترتضى وفى رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلا وفى

اخرى والغرانقة العلا تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه
المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم وما وقع فى بعض الروايات
ان الشيطان القاها على لسانه وان النبى عليه السلام كان تمنى ان لو
نزل عليه شئ يقارب بينه وبين قومه وفى رواية اخرى ان لا ينزل
عليه شئ ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبرئيل جاءه فعرض عليه
السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبى الاية وقوله وان كادوا ليفتنونك الاية فاعلم
اكرمك الله ان لنا فى الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين احدهما
فى توهين اصله والثانى على تسليمه اما المأخذ الاول فيكفيك ان هذا
حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل
وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون
من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضى بكر بن العلاء المالكى حيث
قال لقد بلى الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون
مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف
كلماته فقائل يقول انه فى الصلاة واخر يقول قالها فى نادى قومه حين
انزلت عليه السورة واخر يقول قالها وقد اصابته سنة واخر يقول
بل حدث نفسه فسها واخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك واخر
يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبى عليه السلام قراها فلما بلغ النبى ذلك
قال والله ما هكذا نزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت
هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها
الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث
شعبة عن ابى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما احسب الشك
فى الحديث ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة
قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبى عليه السلام
باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية ابن
خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبى عن
صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من
طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع
الشك فيه كما ذكرناه الذى لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث
الكلبى فما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما
اشار اليه البزار رحمه الله والذى منه فى الصحيح ان النبى عليه السلام

قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس
هذا توهينه من طريق النقل فاما من وجهة المعنى فقد قامت الحجة و
اجمعت الامة عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه
الرذيلة اما من تمنيه او ينزل عليه مثل هذا من مدح اله غير الله وهو
كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القران حتى يجعل فيه ما
ليس منه ويعتقد النبى عليه السلام ان من القران ما ليس منه حتى
ينبهه جبرئيل عليهما السلام وذلك كله ممتنع فى حقه عليه السلام
او يقول ذلك النبى من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم
من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته عليه السلام من
جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه عليه
يلقيه الملك مما يلقى الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل او ان
يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو
تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقال اذا لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا و
ذلك ان هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام
ممتزج المدح بالذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى
عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع
فى باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه قد علم من
عادة المنافقين ومعاندى المشركين وضعفة القلوب والجهلة من
المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبى عليه السلام لاقل
فتنة وتعييرهم المسلمين والشمات بهم الفينة بعد الفينة وارتداد
من فى قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد فى
هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك
لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم
الحجة كما فعلوا مكابرة فى قصة الاسراء حتى كانت فى ذلك فى
بعض الضعفاء ردة وكذلك ما روى فى قصة القضية ولا فتنة اعظم
من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادى حينئذ اشد من هذه الحادثة
لو امكنت فما روى عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة
فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك فى ادخال بعض شياطين
الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلى المحدثين ليلبس به على
ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها
نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان الايتان تردان الخبر

الذى


جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات

١٠٦

الذى رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفترى وانه لولا ان
ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفترى
وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون فى اخبارهم الواهية
انه زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم وانه قال عليه السلام افتريت
على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهى تضعف الحديث لو صح
فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله فى الاية الاخرى ولولا فضل الله عليك
ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك
من شئ وقد روى عن ابن عباس كل ما فى القران كاد فهو ما لا يكون قال
الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب واكاد اخفيها
ولم يفعل قال القشيرى القاضى ولقد طالبه قريش وثقيف اذ مر بالهتهم
ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل
قال ابن الانبارى ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت فى معنى الاية
تفاسير اخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله يرد سفسافها فلم يبق
فى الاية الا ان الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار
وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله تعالى
عليه وسلم وهو مفهوم الاية واما المأخذ الثانى فهو مبنى على تسليم الحديث
لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد اجاب عن
ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى قتادة و
مقاتل ان النبى عليه السلام اصابته سنة عند قرائته هذه السورة فجرى
هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبى مثله فى
حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولى الشيطان عليه فى نوم
ولا يقظة لعصمته فى هذا الباب من جميع العمد والسهو وفى قول الكلبى ان
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على
لسانه وفى رواية ابن شهاب عن ابى بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما
اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه
السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير
والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم هذا ربى على احد التاويلات كقوله بل فعله
كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته
وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو
وهو احد ما ذكره القاضى ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روى انه كان
فى الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذى يظهر ويرجح فى
تاويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبى صلى الله تعالى

عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القران ترتيلا ويفصل الاى تفصيلا
فى قرأته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات
ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبى
عليه السلام واشاعوها ولم يقدح ذلك المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك
على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبى عليه السلام فى ذم الاوثان و
عيبها ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة فى مغازيه نحو هذا وقال
ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك فى اسماع المشركين وقلوبهم
ويكون ما روى من حزن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لهذه الاشاعة
والشبهة وسبب هذه القصة وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبى الاية فعنى وتمنى قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا
مانبى اى تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان اى يذهبه ويزيل
اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبى عليه السلام من
السهو اذا قرأ فيتنبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبى فى الاية
انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اى حدث نفسه وفى رواية ابى بكر بن
عبد الرحمن نحوه وهذا السهو فى القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعانى
وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القران بل السهو عن اسقاط اية
منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين
على ما سنذكره فى حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر فى
تأويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلا فان سلمنا
القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرانا والمراد بالغرانقة العلا وان
شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبى الغرانقة
انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة
بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم فى هذه السورة بقوله الكم
الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من
الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم
ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه فى قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله
ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد
الشيطان بهما سبيلا للالباس كما نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته و
كان فى انزال الله تعالى لذلك حكمة وفى نسخه حكمة ليضل به من يشاء
ويهدى من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقى الشيطان
فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق
بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له

قلوبهم

قلوبهم الاية وقيل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما قرأ هذه السورة
وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتى
بشئ من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا فى تلاوة النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله
لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا
من قبلك الاية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القران
واحكم اياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى من قوله انا نحن
نزلنا الذكر الاية ومن ذلك ما روى من قصة يونس عليه السلام انه
وعد قومه العذاب فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم
كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان ليس فى خبر من الاخبار
الواردة فى هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلكهم وانما فيه
انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه
لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم
رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما
امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى الاية وروى فى الاخبار انهم راوا دلائل
العذاب ومخائله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب
كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روى من ان عبد الله بن
ابى سرح كان يكتب لرسول الله عليه السلام ثم ارتد مشركا وصار الى
قريش فقال لهم انى كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملى على عزيز حكيم
فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفى حديث اخر فيقول له النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول
اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت
وفى الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
بعدما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدرى محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا
الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا
سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع فى قلب مؤمن ريبا اذ هى حكاية
عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى
هو ومثله على الله ورسله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل
بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر
على الله ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة
انه شاهد ما قاله وافتراه على نبى وانما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون

بايات الله واولئك هم الكاذبون ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا
توهيم للنبي عليه السلام فيما اوحى اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه
والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القران وانه من عند الله اذ ليس
فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل
على الرسول قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل
عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به و
جودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق
الى قافيته او مبتداء الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة
الكلام كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة وكذلك قوله عليه السلام ان
صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الاى وجهان و
قراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاملى احدهما
وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما
نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الاى مثل قوله ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد
قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات
جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف
مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها وننشرها ويقض الحق ويقص الحق
وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم غلطا
ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي عليه السلام
الى الناس من غير القران فيصف الله ويسميه في ذلك كيف شاء **فصل**
هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار
التي لا مستندها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في
امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي عليه
السلام عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا
ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده
ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم
عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق
جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وفي اي شيء و
قعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات
عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي
الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله عليه

السلام لهم

السلام لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت
من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو
الله وايضا فان اخباره واثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها
ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه السلام لغلط في قول قاله او اعترافه
بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام و
رجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير
ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب كقوله والله لا احلف على يمين
فارى خيرا منها فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم
تختصمون الي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين
كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله مع اشباهها وايضا
فان الكذب متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه
كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا
ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة
الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار
منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة
الواحدة منه فيما يستشنع ويستبشع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لا
حقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها من الصغائر فهل تجري
على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله و
كثيره سهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما
جاء به النبي عليه السلام وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه
مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول
في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من سامح في
تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم
الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم احوال دنياهم لان ذلك يزري
ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر احوال اهل
عصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم وسؤا
لهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا مما عرف
واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منه قبل وبعد
وقد ذكرنا من الاثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك
صحة ما اشرنا اليه **فصل فان قلت** فما معنى قوله عليه السلام في
حديث السهو الذي **حدثنا** به الفقيه ابو اسحق ابراهيم بن جعفر قال
حدثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال **حدثنا** حاتم بن محمد **حدثنا**
ابو عبد الله بن الفخار **حدثنا** ابو عيسى **حدثنا** عبيد الله **حدثنا** يحيى

عن مالك عن داود بن الحصين عن ابى سفيان مولى ابن ابى احمد انه قال
سمعت اباهريرة يقول صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة
العصر فسلم فى ركعتين فقام ذواليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة
ام نسيت فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كل ذلك لم يكن
فى الرواية الاخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفى
الحالتين وانها لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال ذواليدين قد كان
بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء فى ذلك
اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف
وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول
البلاغ وهو الذى زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه
واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان فى افعاله جملة ويرى انه فى مثل
هذا عامدا لصورة النسيان ليسن فهو صادق فى خبره لانه لم ينس ولا قصرت
ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل فى هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله
وهو قول مرغوب عنه تذكره فى موضعه واما على احالة السهو عليه فى
الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة
منها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار
القصر وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر صلى الله تعالى عليه
وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس فى ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه
وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا وجه ثان ان قوله ولم انس راجع
الى السلام اى انى سلمت قصدا وسهوت عن العدد اى لم اسه فى نفس
السلام وهذا محتمل وفيه بعد وجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم
وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اى لم يجتمع القصر والنسيان بل
كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله
ما قصرت الصلاة وما نسيت هذا ما رأيت فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه
محتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضى ابو الفضل
رحمه الله والذى اقول ويظهر لى انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله
لم انس انكار للفظ الذى نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئسما
لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسى وبقوله فى بعض روايات
الحديث الاخر لست انسى ولكن انسى فلما قال له السائل اقصرت الصلاة
ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان
جرى شىء من ذلك فقد نسى حتى سأل غيره فتحقق انه نسى واجرى
عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق
وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسى وجه اخر استثرته من كلام

بعض

بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو
ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وافة
والسهو انما هو شغل بال فكان النبى عليه السلام يسهو فى صلاته ولا
يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما فى الصلاة شغلا بها لا غفلة
عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن فى قوله ما قصرت ولا نسيت خلف
فى قول واما قصة كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة فى الحديث انها
كذباته الثلاث المنصوصة فى القران منها اثنتان قوله انى سقيم وبل
فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختى فاعلم اكرمك الله
ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا فى القصد ولا فى غيره وهى داخلة
فى باب المعاريض التى فيها مندوحة عن الكذب اما قوله انى سقيم فقال
الحسن وغيره معناه سأسقم اى ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه
من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر على الموت وقيل
بل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى
تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه
كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف
ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التى كانوا يشتغلون بها وانه اثناء
نظره فى ذلك وقبل استقامة حجته عليهم فى حال سقم ومرض حال مع
انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف فى استدلاله عليهم
وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله باستدلاله
وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما قصه الله تعالى وقد
قدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه علق خبره
بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت
لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختى فقد بين فى
الحديث وقال فانك اختى فى الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما
المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد سماها
كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلث كذبات وقال فى حديث الشفاعة
ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان
حقا فى الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها
اشفق ابراهيم عليه السلام بمؤاخذته بها واما الحديث كان النبى عليه
السلام اذا اراد غزوة ورى بغيرها وليس فيه خلف فى القول انما هو
ستر لمقصده لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال
عن موضع اخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا
والغزوة كذا او وجهتى الى موضع كذا خلاف مقصده وهذا لم يكن والاول

ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى عليه السّلام وقد
سئل اىّ النّاس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ يرد العلم
اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر
قد انبأ الله انّه ليس كذلك فاعلم انّه وقع لى هذا الحديث من بعض طرقه
الصّحيحة عن ابن عبّاس رضى الله عنه هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان
جوابه على علمه فهو خبر حقّ وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى
الطّريق الاخر فحمله على ظنّه ومعتقده كما لو صرّح به لانّ حاله فى النّبوّة
والاصطفاء يقتضى ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده و
حسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه و
ظايف النّبوّة من علوم التّوحيد وامور الشّريعة وسياسة الامّة و
يكون الخضر اعلم منه بامور اخر ممّا لا يعلمه احد الّا باعلام الله
تعالى من علوم غيبه كالقصص المذكورة فى خبرهما فكان موسى اعلم
على الجملة بما تقدّم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدلّ عليه قوله
تعالى وعلّمناه من لدنّا علمًا وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار
هذا القول عليه لانّه لم يردّ العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا
الّا ما علّمتنا اولانّه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلّا
يقتدى به فيه من لم يبلغ كماله فى تزكية نفسه وعلوّ درجته من
امّته فيهلك لما يتضمّنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من
الكبر والعجب والتّعاطى والدّعوى وان تنزّه عن هذه الرّذائل الانبياء
فغيرهم بمدرجة سيلها ودرك نيلها الّا من عصمه الله فالتّحفّظ منها
اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السّلام تحفّظا من مثل هذا
ممّا قد اعلم به انا سيّد ولد ادم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القائلين
بنبوّة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولىّ اعلم من
النّبىّ وامّا الانبياء فيتفاضلون فى المعارف ولقوله وما فعلته عن
امرى فدلّ على انّه بوحى ومن قال انّه ليس بنبىّ قال يحتمل ان
يكون فعله بامر نبىّ اخر وهذا يضعف لانّه ما علمنا انّه كان فى زمن
موسى نبىّ غيره الّا اخاه هارون وما نقل احد عن اهل الاخبار فى ذلك
شيئًا يعوّل عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانّما هو على
الخصوص وفى قضايا معيّنة لم نحتج الى اثبات نبوّة خضر ولهذا قال
بعض الشّيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر
اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال آخر انّما الجئ موسى الى الخضر
للتّاديب لا للتّعليم فصل وامّا ما يتعلّق بالجوارح من الاعمال ولا
يخرج من جملتها القول باللّسان فيما عدا الخبر الّذى وقع فيه الكلام

والاعتقاد

والاعتقاد بالقلب فيما عدا التّوحيد وما قدّمناه من معارفه المختصّة به فاجمع
المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات وسند الجمهور
فى ذلك الاجماع الّذى ذكرناه وهو مذهب القاضى ابو بكر ومنعها غيره
بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافّة واختاره الاستاذ ابو اسحق
وكذلك لا خلاف انّهم معصومون من كتمان الرّسالة والتّقصير فى التّبليغ
لانّ كلّ ذلك تقتضى العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافّة
والجمهور القائلين بانّهم معصومون باختيارهم وكسبهم الّا حسينا النّجّار
فانّه قال لا طاقة لهم على المعاصى وامّا الصّغائر فجوّزها جماعة من
السّلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابى جعفر الطّبرى وغيره من
الفقهاء والمحدّثين والمتكلّمين وسنورد بعد هذا ما احتجّوا به وذهبت
طائفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يأت
فى الشّرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة اخرى من المحقّقين
من الفقهاء والمتكلّمين الى عصمتهم من الصّغاير كعصمتهم من الكباير قالوا
لاختلاف النّاس فى الصّغاير وتعيينها من الكباير واشكال ذلك وقول ابن
عبّاس وغيره انّ كلّ ما عصى الله فهو كبيرة وانّه انّما سمّى منها الصّغير
بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة البارى فى اىّ امر كان يجب كونه
كبيرة قال القاضى ابو محمّد عبد الوهّاب لا يمكن ان يقال انّ فى معاصى الله
صغيرة الّا على معنى انّها تغتفر باجتناب الكباير ولا يكون لها حكم مع ذلك
بخلاف الكباير اذا لم يتب منها فلا يحبطها شئ والمشيّة فى العفو عنها الى الله
وهو قول القاضى ابو بكر وجماعة ائمّة الاشعريّة وكثير من ائمّة الفقهاء
وقال بعض ائمّتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انّهم معصومون عن
تكرار الصّغاير وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكباير ولا فى صغيرة ادّت الى ازالة
الحشمة واسقطت المروّة واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا ممّا يعصم
عنه الانبياء اجماعًا لانّ مثل هذا يحطّ منصب المتّسم به ويزرى بصاحبه
وينفّر القلوب عنه والانبياء منزّهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من
قبيل المباح فادّى الى مثله لخروجه بما ادّى اليه عن اسم المباح الى الحظر
وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدًا وقد استدلّ
بعض الائمّة على عصمتهم من الصّغاير بالمصير الى امتثال افعالهم و
اتّباع اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك
والشّافعىّ وابى حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان
اختلفوا فى حكم ذلك وحكى ابن خويز منداذ وابو الفرج عن مالك
التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهرىّ وابن القصّار واكثر اصحابنا
وقول اكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخرى وابن خيران من

الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت طائفة الى الاباحة
وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة
ومن قال بالاباحة فى افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغاير
لم يمكن الاقتداء بهم فى افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده
به من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء
بامتثال امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول
اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغاير
ومن نفاها عن نبينا عليه السلام مجمعون على انه لا يقر على منكر من
قول او فعل وانه متى رأى شيئا فسكت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله فى حق غيره ثم يجوز وقوعه منه فى
نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذا
الحظر او الندب على الاقتداء بفعله ينافى الزجر والنهى عن فعل المكروه
وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم كيف توجهت وفى كل فن كالاقتداء باقواله فقد
نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجا
جهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس
واحتج غير واحد منهم فى غير شىء مما بابه العبادة بقوله رأيت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله وقال هلا خبرتها
انى اقبل وانا صائم وقالت عائشة محتجة كنت افعله انا ورسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وغضب عليه السلام على الذى اخبر بمثل
هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال انى لاخشاكم لله و
اعلمكم بحدوده والاثار فى هذا اعظم من ان يحيط عليها لكنه يعلم
من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليهم
المخالفة فى شىء منها لما اتسق هذا النقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك و
لما انكر عليه السلام على الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات
فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هى مأذون فيها وايديهم كايدى
غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وما شرحت
له صدورهم من انوار المعرفة وما اصطفوا به من تعلق الهم بالله والدار
الاخرة لا يأخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على
سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل
التحق طاعة وصار قربة كما بيننا منه اول الكتاب طرفا فى خصال نبينا
عليه السلام فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر انبيائه
عليهم السلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة

ورسم

ورسم المعصية **فصل** وقد اختلف فى عصمتهم من المعاصى قبل النبوة
فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شاء الله تنزيههم من كل عيب
وعصمتهم من كل يوجب الريب فكيف والمسألة تصورها كالممتنع فان
المعاصى والنواهى انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس فى حال
نبينا عليه السلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع من قبله ام لا
فقال جماعة لم يكن متبعا لشىء وهذا قول الجمهور فالمعاصى على هذا القول
غير موجودة ولا معتبرة فى حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق
بالاوامر والنواهى وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة
عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضى ابو بكر الى ان
طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان
ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره فى العادة اذ كان من مهم امره واولى
ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه
ولم يؤثر شىء من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا
قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين
والتقبيح وهى طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضى
ابى بكر اولى واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف فى امره عليه السلام و
ترك قطع الحكم عليه بشىء فى ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان
عندنا فى احدهما طريق النقل وهو مذهب ابى المعالى وقالت فرقة ثالثة
انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف
بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلف هذه
المعينة فى من كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى
صلوات الله عليهم اجمعين فهذه جملة المذاهب فى هذه المسئلة والاظهر
فيها ما ذهب اليه القاضى ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان
شىء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم فى ان عيسى اخر
الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل
الصحيح انه لم تكن لنبى دعوة عامة الا لنبينا عليهما السلام ولا حجة ايضا
للاخر فى قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وللاخرين فى قوله
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فتحمل هذه الاية على اتباعهم فى
التوحيد كقوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده وقد
سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف
بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى
جماعة منهم فى هذه الاية شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان
المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل

يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول فى سائر الانبياء غير نبينا ويخالفون
بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله فى كل رسول بلا مرية واما من
مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله
ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته فى كل نبى فصل
هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية
ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان
فى الوظايف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة
عليه فاحوال الانبياء فى ترك المؤاخذة وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم
سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام
وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص
بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو فى القول فى هذا
الباب وقد ذكرناه الاتفاق على امتناع ذلك فى حق النبى عليه السلام وعصمته
من جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال فى هذا الباب لا يجوز
طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء
وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن واعتذروا
عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق
وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة فى الافعال البلاغية
والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث
السهو فى الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة
على الصدق فى القول ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو فى الافعال
فغير مناقض لها ولا قادح فى النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب
من سمات البشر كما قال عليه السلام انما انا بشر كما تنسون فاذا نسيت
فذكرونى نعم بل حالة النسيان والسهو هنا فى حقه عليه السلام سبب
افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام لانى لانسى وانسى لاسن
بل قد روى لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له فى التبليغ
وتمام عليه فى النعمة بعيدة عن سمات النقص واغراض الطعن فان القائلين
بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون
عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم
على قول الاخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله
عليه السلام وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع
فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها
ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق و
سياسات الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل

التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه السلام انه ليغان على قلبى
فاستغفر الله وليس فى هذا شىء يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت
طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات فى حقه عليه السلام
جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم
فى هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله فصل فى الكلام على
الاحاديث المذكور فيها السهو منه عليه السلام قد قدمنا فى الفصول قبل
هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه السلام وما يمتنع واحلناه فى الاخبار
جملة وفى الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه فى الافعال الدينية
على الوجه الذى رتبناه واشرنا الى ما ورد فى ذلك ونحن نبسط القول
فيه الصحيح من الاحاديث الواردة فى سهوه عليه السلام فى الصلاة ثلاثة
احاديث اولها حديث ذى اليدين فى السلام من اثنتين الثانى حديث ابن
بحينة فى القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو فى الفعل
الذى قررناه وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ فى الفعل اجلى منه
بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به
ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو
فى الفعل فى حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح فى التصديق
وقد قال عليه السلام انما بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى وقال
رحم الله فلانا لقد اذكرنى كذا وكذا اية كنت اسقطهن ويروى انسيتهن وقال
عليه السلام انى لانسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوى وقد روى
انى لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس
بشك وان معناه التقسيم اى انسى انا او ينسينى الله قال القاضى ابو الوليد
الباجى يحتمل ما قالاه ان يريد انى انسى فى اليقظة وانسى فى النوم او انسى
على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشىء والسهو او انسى مع اقبالى عليه
وتفرغى له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه
ونفى الاخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب
المعانى والكلام على الحديث الى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان
يسهو فى الصلاة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وافة قال والنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه السلام
يسهو فى صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما فى الصلاة شغلا بها
لا غفلة عنها واحتج بقوله فى الرواية الاخرى انى لا انسى وذهبت
طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام كان عمدا و
قصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل

لانه كيف يكون متعمدًا ساهيًا فى حال ولا حجة لهم فى قولهم انه امر بتعمد
صورة النسيان ليسن لقوله انى لا انسى او انسى وقد اثبت احد الوصفين
ونفى منافضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون
وقد مال الى هذا كثير من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفراينى
ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين فى قوله
انى لا انسى ولكن انسّى اذ ليس فيه نفى حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفى
لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا ولكنه
نُسّى او نفى الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه لكنه شغل بها
عنها ونسى بعضها ببعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها
وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذى
ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه
احتج من ذهب الى جواز تأخير الصلاة فى الخوف اذا لم يتمكن من ادائها
الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف
كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول فى نومه عليه السلام عن
الصلاة يوم الوادى وقد قال ان عينى تنامان ولا ينام قلبى **فاعلم** ان
للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه و
عينيه فى غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف
عادته ويصحح هذا التأويل قوله عليه السلام فى الحديث نفسه ان الله قبض
ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت على نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما
يكون منه لامر يريده الله تعالى من اثبات حكم وتأسيس سنة واظهار
شرع وكما قال فى الحديث الاخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن
بعدكم **الثانى** ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه
لما روى انه كان محروسًا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه
ثم يصلى ولا يتوضأ وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه
من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد
النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث اخر فكيف وفى اخر الحديث
نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضأ
وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه فى النوم وليس فى قصة الوادى
الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال
عليه السلام ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا فى حين غير
هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح
فقيل فى الجواب انه كان من شانه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة
اول الفجر لا تصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة

فوكل

فوكل بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن
مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن القول نسيت وقد قال
عليه السلام انى انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى وقال لقد اذكرنى
كذا وكذا اية كنت انسيتها **فاعلم** اكرمك الله انه لا تعارض فى هذه الالفاظ
اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القران اى ان
الغفلة فى هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما
كان من سهو او غفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسى وقد قيل ان
هذا منه صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل
الى خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام
لما اسقط من هذه الايات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله
الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه و
محوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبى عليه
السلام ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير
نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا فى الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل
دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه **فصل** فى الرد على
من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به فى ذلك **اعلم** ان المجوزين
الصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من
المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القران والحديث ان التزموا
ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به
مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون فى معناه وتقابلت
الاحتمالات فى مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه
من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديمًا
وقامت الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما
صح وها نحن نأخذ فى النظر فيها ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى
لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله و
وضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب
عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الاية وما قص من قصص
غيره من الانبياء كقوله وعصى ادم ربه فغوى وقوله عنه ربنا
ظلمنا انفسنا الاية وقوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء الاية
وقوله عن يونس سبحانك انى كنت من الظالمين وما ذكر من قصته
وقصة داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعًا

وأناب الى قوله مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته
مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل
الشيطان وقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما
قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ونحوه من ادعيته عليه
السلام وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله انه
ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله
واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا
تغفر لي الاية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مغرقون وقال عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
وقوله عن موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه
هذه الظواهر فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة
وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه
مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه
احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته عليه السلام وقيل المراد ما
كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري
وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تأخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي
والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي عليه السلام هاهنا هي
مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما امر ان يقول
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الاية وبمآل المؤمنين
في الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الاية انك مغفور
لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة هاهنا تبرئة من
العيوب واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل
ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول
قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت
ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة
حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية
حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى
شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك ما حملت
بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون
المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي عليه السلام بامور

فعلها

فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق
منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت
ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور
الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا
الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيه
من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله عليه معصية بل لم يعده اهل العلم
معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك
بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه وحي
فكيف وقد قال الله له فأذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم
يطلع عليه من سرهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل
وليس عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال النبي عليه السلام عفا الله لكم عن
صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري
قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال و
معنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها تكرمة
قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي
ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون
له اسرى الايتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء فكانه قال ما
كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنايم ولم تحل لنبي
فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الاية قيل المعنى بالخطاب
لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها
وليس المراد بهذا النبي عليه السلام ولا المشركون يوم بدر واشتغل
الناس بالسلب وجمع الغنايم القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم
العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون في معنى
الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي
لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم
بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنايم
ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقران
وكنتم ممن احلت لهم الغنايم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا
انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب
والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما
غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد
روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك فى الاسارى ان
شاؤا القتل وان شاؤا الفدآء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا
الفدآء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلنا وانهم لم يفعلوا الا ما اذن
لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من
الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب
اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبرى
وقوله عليه السلام فى هذه القصة لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه
الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراى من اخذ بمأخذه فى
اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت
عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله
لم يقدر عليهم فى ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودى
والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبى عليه السلام
حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد
نزهه الله عن ذلك وقال القاضى بكر بن العلآء اخبر الله نبيه فى
هذه الاية ان تأويله وافق ما كتبه له من احلال الغنايم والفدآء وقد
كان هذا فادوا فى سرية عبد الله بن جحش التى قتل فيها ابن الحضرمى
بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل
بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبى عليه السلام فى
شان الاسرى كان على تأويل وبصيرة على ما تقدم قبل مثله فلم
ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها
والله اعلم اظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه فى اللوح
المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عقاب او انكار او تذنيب هذا
معنى كلامه واما قوله عبس وتولى الايات فليس فيه اثبات ذنب
له عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى
وان الصواب والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين لاختيرت الاقبال
على الاعمى وفعل النبى عليه السلام لما فعل وتصديه لذلك الكافر
كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية
ومخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين و
توهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك
الا يتزكى وقيل اراد بعبس وتولى الكافر الذى كان مع النبى عليه
السلام قاله ابو تمام واما قصة آدم عليه السلام وقوله تعالى
فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية

بقوله

بقوله وعصى ادم ربه فغوى اى جهل وقيل اخطأ فان الله تعالى قد اخبر
بعذره بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى ولم نجد له عزما قال ابن
زيد نسى عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا
عدو لك ولزوجك الاية قيل نسى ذلك بما اظهرهما وقال ابن عباس
انما سمى الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسى وقيل لم يقصد المخالفة
استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين و
توهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روى عذر ادم بمثل هذا فى
بعض الاثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع
وقد قيل نسى ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اى قصدا
للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان
عند اكله سكرانا وهذا فيه ضعف لان الله وصف خمر الجنة انها لا
تسكر فاذا كان ناسيا لم يكن معصية وكذلك ان كان ملتبسا عليه
غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسى والساهى عن حكم التكليف وقال
الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انما يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل
ذلك قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى فذكر ان الاجتباء والهدى كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها
متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التى نهى عنها لانه تأول نهى الله عن
شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ
لا من المخالفة وقيل تأول ان الله ينهه عنها نهى تحريم فان قيل فعلى كل
حال فقد قال الله تعالى وعصى ادم ربه وقال فتاب عليه وقوله عليه
السلام فى حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وانى نهيت عن اكل الشجرة فعصيت
فسيأتى الجواب عنه وعن اشباهه مجملا اخر الفصل ان شاء الله تعالى
واما قصة يونس عليه السلام فقد مضى الكلام على بعضها انفا وليس
فى قصة يونس نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا
عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب
وقيل بل لما وعدهم الله ثم عفى الله عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب
ابدا وقيل كانوا يقتلون من كذب فخاب ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء
الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على
معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله ابق الى الفلك المشحون قال
المفسرون تباعد واما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشىء
فى غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون
لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب
على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ قال الواسطى فى

معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافاً واستحقاقاً ومثل
هذا قول ادم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب فى وضعها غير الموضع
الذى انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه
السلام فلا يجب ان يلتفت الى ماسطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب
الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شى من ذلك
ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه
الى قوله وحسن مآب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اى اختبرناه واواب
قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى وقال ابن عباس وابن مسعود ما
زاد داود على ان قال للرجل انزل لى عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله
على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهو الذى ينبغى ان
يقول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان
يستشهد وحكى السمرقندى ان ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين
لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه والى نفى ما اضيف فى الاخبار الى داود من
ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودى
ليس فى قصة داود واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم
وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه رجلان فى نعاج غنم على ظاهر
الاية واما قصة يوسف واخوته فليس على يوسف منها تعقب واما
اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط و
عدهم فى القران عند ذكر الانبياء قال المفسرون يريد من نبى من ابناء الاسباط
وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم
يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غداً يرتع ويلعب
وان ثبت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول الله تعالى فيه ولقد
همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء
والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله عليه السلام
عن ربه اذا هم عبدى بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة ولا معصية
فى همه اذا واما مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا
وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها
وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله يوسف
من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسى الاية اى ما ابرئها من هذا الهم
او يكون ذلك منه على التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكى قبل
وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابى عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام
فيه تقديم وتأخير اى ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها وقد
قال الله تبارك وتعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال

كذلك

كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت
لك قال معاذ الله انه ربى احسن مثواى الاية قيل فى ربى الله وقيل الملك
وقيل همه بها اى بزجرها ووعظها وقيل هم بها اى غمها امتناعه عنها
وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل
نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه
الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه واما
خبر موسى قتيله الذى وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قيل كان
من القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة فى هذا كله انه قبل نبوة
موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية
فى ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسى فاغفر لى قال ابن
جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغى لنبى ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش
لم يقتله عن عمد مريداً للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل
ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى فى قصته وفتناك
فتوناً اى ابتليناك ابتلاء قيل فى هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل
القائه فى التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصاً قاله
ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة فى النار اذا خلصتها واصل الفتنة
معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انها استعمل فى عرف الشرع فى اختبار ادى
الى ما يكره وكذلك ما روى فى الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه
ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدى وفعل ما لا
يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جايز الفعل لان موسى دافع عن نفسه
من اتاه لاتلافها وقد تصور له فى صورة آدمى ولا يمكن انه علم حينئذ انه
ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة
التى تصور له فيها الملك امتحاناً من الله فلما جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله
اليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها
عندى وهو تأويل شيخنا الامام ابى عبد الله المازرى وقد تأوله قديماً
ابن عايشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام
مستعمل فى هذا الباب فى اللغة معروف واما قصة سليمان وما حكى فيها
اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه
ما حكى عن النبى عليه السلام انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع
وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد فى سبيل الله فقال له صاحبه قل
ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل قال
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله
لجاهدوا فى سبيل الله قال اصحاب المعانى والشق هو الجسد الذى القى على

كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه
ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه
من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان
احب لقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل اوخذ بذنب فارقه
بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من خرافاتهم عما فعله من تشبه
الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين
لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله **وان سئل** لم لم يقل في
القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة احدها ما روي في الحديث الصحيح
انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه
وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان
غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون
ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه
على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة
يختص بها كاختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون
ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه واحياء الموتى لعيسى
واختصاص محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا واما قصة
نوح عليه السلام فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ
لقوله تعالى انا منجوك واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي
عنه من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين
وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا
ونهاه عن مخاطبته فيهم فاخذ بهذا التأويل وعتب عليه واشفق هو من
اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يأذن له في السؤال فيه وكان نوح فيما حكاه
النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح
بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله واقدامه بالسؤال في من لم يؤذن له
فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية
النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس
في هذا الحديث ان هذا الذي اتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا
بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله لا ترى ان هذا النبي
كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار
الاذى عليه وليس فيما اوحى الله تعالى اليه ما يوجب عليه معصية بل
ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته فكان
انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يأت في

كل هذا

كل هذا امرا نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك ولا بالتوبة
والاستغفار منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه السلام ما من احد
الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال عليه السلام فالجواب عنه كما
تقدم من ذنوب الانبياء التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة **فصل**
فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من
اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى
وما تكرر في القران والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم
واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب
ويستغفر من لا شيء **فاعلم** وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء في
الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة
بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة
بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا
بها ثم اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المؤاخذة بها و
اتوها على وجه التأويل او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة
خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص
بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب
مأخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء اي آخره واذناب الناس
رذالهم فكان هذه ادنى افعالهم واسوأ ما يجري من احوالهم لتطهيرهم
وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر
الظاهر والخفي والخشية لله عز وجل واعظامه في السر والعلانية و
غيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون بالاضافة اليه هذه
الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين
اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك
والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو او تأويل فهي مخالفة
وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل
وقيل اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه
السلام قد اوخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانساه
الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل انه انسي يوسف
ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار
لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فقال
يا رب انسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء بمثاقيل
الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في

اضعاف ما التوابه من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق
ما قلناه اذا كان الانبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو
والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا اسوء حالا من غيرهم
فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة
غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة له
سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال
لداود فغفرنا له ذلك الاية وقال بعد قول موسى تبت اليك انى
اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له
الريح الى وحسن مآب قال بعض المتكلمين زلات الانبياء في الظاهر زلات
وفي الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضا فلينبه غير
هم من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا
الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على
المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن
سواهم ولهذا قال صالح المرى ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم
يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من
نبينا عليه السلام وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران
الصغاير باجتناب الكباير ولا خلاف بعصمة الانبياء من الكبائر فما جوزتم
من وقوع الصغاير عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها اذا عند
كم وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به
فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال السهو والتأويل وقد قيل ان كثرة استغفار
النبي عليه السلام وتوبته وغيره من الانبياء على وجه ملازمة الخضوع
والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله تعالى على نعمه كما قال عليه
السلام وقد امن من المؤاخذة بما تقدم وتأخر افلا اكون عبدا شكورا
وقال انى اخشاكم الله واعلمكم بما اتقى قال الحارث بن اسد خوف
الملائكة والانبياء خوف اعظام وتعبد لله لانهم امنون وقيل فعلوا
ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم امهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما
اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى
اخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال الله
تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الرسل والانبياء
الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله
عز وجل والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه عليه
السلام بعد ان غفر له ما تقدم وتأخر من ذنبه لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والانصار الاية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان

توابا **فصل** قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه
السلام عن الجهل بالله تعالى وصفاته او كونه على حالة تنافى العلم بشيء من
ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قرره
من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن
الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وارسله قصدا او غير قصد واستحالة
ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا
وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو
والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل
حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاه باليمين و
تشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها
وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي عليه السلام او يجوز او يستحيل عليه
ولا يعرف صور احكامه لا يأمن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه و
لا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط
في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز
عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين
الذين راياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية
ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف
في قلوبكما شيئا فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوائد ما تكلمنا عليه هذه الفصول
ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة من
فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفائدة التي
ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه وتبتنى عليها مسائل
من الفقه لا تتعدد ويتخلص بها من تشغيب مختلفى الفقهاء في عدة منها
وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وافعاله وهو باب
عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه
وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر
وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به
وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي في من اضاف الى النبي عليه
السلام شيئا من هذه الامور ووصفه بها فان لم يعرف ما يجوز وما يمتنع
عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن
اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم
مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي صلى الله وسبيل هذا ما قد
اختلف ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة **فصل**

فى القول فى عصمة الملائكة اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق
ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء فى العصمة مما ذكرنا
عصمتهم منه وانهم فى حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم
واختلفوا فى غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصى
واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله
وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون و
بقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وبقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون و
نحوه من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم
والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها
ان شاء الله تعالى بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله عز وجل والصواب
عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبهم و
منزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة
بالفقيه الى الكلام فى عصمتهم وانا اقول ان للكلام فى ذلك ما للكلام
فى عصمة الانبياء من الفوائد التى ذكرناها سوى فائدة الكلام فى الاقوال
والافعال فهى ساقطة هاهنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة
هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقله المفسرين وما روى
عن على وابن عباس فى خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار
لم يرو منها شىء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذى منه فى القران اختلف المفسرون فى معناه
وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب
اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الايات من افترائهم بذلك على سليمان و
تكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر فى ذلك
ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى فاختلف اولا فى هاروت
وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة
ملكين او ملكين وهل ما فى قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافية او
موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه
وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قال الله تعالى انما نحن فتنة
فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اى يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا
يفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا بكذا فانه سحر فلا
تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فى ما امرا به ليس بمعصية
وهى لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابى عمران انه ذكر عنده
هاروت وماروت انهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ

بعضهم

بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته
وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذى قد ذكر غيره انهما ماذون لهما فى تعليمه
بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء فكيف لا تنزههما
عن كبائر المعاصى والكفر المذكورة فى تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد
ان ما نافية وهو قول ابن عباس رضى الله عنه قال مكى وتقدير الكلام
وما كفر سليمان يريد بالسحر الذى افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم
فى ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكى هما جبرئيل وميكائيل ادعى
على اليهود عليهما المجئ به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله فى ذلك ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان
تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرأ وما انزل
على الملكين بكسر اللام ويكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن
بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان وتكون ما نفيا
على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بنى اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندى
والقراءة بكسر اللام شاذة فحمل الاية على تقدير ابى محمد مكى حسن ينزه
الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله
عز وجل بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما
يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن
خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله
فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون عنه ذلك وانه
ابو الجن كما ادم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن
حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة فى الارض حين افسدوا والاستثناء
من غير الجنس شايع فى كلام العرب سايغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم
الا اتباع الظن ومما رووه فى الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا
وامروا ان يسجدوا لادم فابوا فحرقوا ثم اخرون كذلك حتى سجد له من
ذكر الله الا ابليس فى اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا تشتغل
بها الباب الثانى فى ما يخصهم فى الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من
العوارض البشرية قد قدمنا انه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء والرسل
عليهم السلام من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه
من الافات والتغييرات والالام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز
على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه صلى الله عليه وسلم لان الشىء
انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه اكمل من نوعه وقد كتب الله
تعالى على اهل هذه الدار فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون
وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض صلى الله تعالى عليه وسلم

واشتكى واصابه الحرّ والقرّ وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر
ونااله الاعياء والتعب ومسّه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه و
شجه الكفار وكسروا رباعيته وسقى السمّ وسحر وتداوى واحتجم وتنشر
وتعوذ ثمّ قضى نحبه فتوفى صلى الله تعالى عليه وسلم ولحق بالرفيق
الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التى لا
محيص عنها واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا
فى النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك فى بعض الاوقات
ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبيّنا من الناس فلئن لم يكف نبيّنا ربّه يد ابن
قمئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطائف فلقد
اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف غورث
وحجر ابى جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه
ما هو اعظم من سمّ اليهودية وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافى وذلك
من تمام حكمته ليظهر شرفهم فى هذه المقامات ويبيّن امرهم ويتم كلمته فيهم
وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا
يضلوا بما يظهر من العجايب على ايديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون
فى محنهم تسلية لامتهم ووفور لاجورهم عند ربّهم تماما على الذى
احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارى والتغييرات المذكورة
انّما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بنى ادم
لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة
بالملاء الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحى منهم قال وقد قال عليه
السلام انّ عينى تنامان ولا ينام قلبى وقال انّى لست كهيئتكم انّى ابيت
يطعمنى ربّى ويسقينى وقال لست انسى ولكن انسّى ليستنّ بى فاخبر عليه
السلام انّ سرّه وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وانّ الآفات
التى تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شئ باطنه
بخلاف غيره من البشر فى حكم الباطل لانّ غيره اذا نام استغرق النوم
جسمه وقلبه وهو صلى الله عليه وسلم فى نومه حاضر القلب كما هو
يقظته حتى قد جاء فى بعض الاثار انه كان محروسا من الحدث فى
نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف
لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو صلى الله تعالى
عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله لست
كهيئتكم انّى ابيت يطعمنى ربّى ويسقينى وكذلك اقول انه فى هذه الاحوال
كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا
فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعترى غيره من البشر

مما نأخذ

مما نأخذ بعد فى بيانه **فصل** فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه
السلام سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابى بقرائتى عليه قال حدثنا حاتم ابن
محمد ثنا ابو الحسن على بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا
البخارى ثنا عبيد بن اسمعيل قال ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن
ابيه عن عايشة رضى الله تعالى عنها قالت سحر رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشئ وما فعله وفى رواية اخرى
حتى كان يخيل اليه انه كان يأتى النساء ولا يأتيهن الحديث واذا كان
هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبى عليه السلام فى ذلك
وكيف جاز عليه وهو معصوم **فاعلم** وفقنا الله واياك ان هذا الحديث
صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها
وتلبيسها على امثالها الى التشكيك فى الشرع وقد نزه الله تعالى الشرع
والنبى عليه السلام عما يدخل فى امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض
وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح فى
نبوته واما ما ورد انه كان يخيل اليه انه فعل الشئ ولا يفعله فليس
فى هذا ما يدخل عليه داخلة فى شئ من تبليغه او شريعته او يقدح فى
صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز
طروه عليه فى امر دنياه التى لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو
فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا
حقيقة له ثم ينجلى عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الاخر من قوله
حتى يخيل اليه انه يأتى اهله ولا يأتيهن وقد قال سفيان وهذا اشد السحر
ولم يأت فى خبر منها انه نقل عنه فى ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه
فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل انّ المراد بالحديث
انه كان يتخيل الشئ انه فعله وما فعله لكنه تخييل لا تعتقد صحته
فتكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه
لائمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه
بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لى فى الحديث تأويل
اجلى وابعد من مطاعن ذوى الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو
انّ عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن
الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بنى زريق رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فجعلوه فى بئر حتى كاد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروى نحوه
الواقدى عن عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الحكم وذكر عن عطاء
الخراسانى عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله عليه السلام عن عايشة

سنة فبيناهو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والاخر عند رجليه
الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن
عايشة خاصة سنة حتى انكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس
مرض رسول الله عليه السلام وحبس عن النساء والطعام والشراب
فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات
ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله
وانه انما اثر فى بصره وحبسه عن وطئ نسائه وطعامه واضعف جسمه
وامرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه يأتى اهله ولا يأتيهن اى
يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنى منهن
اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعترى من اخذ واعترض
بل ذادوا عليه فى قوله انه ما نقل عنه شئ على خلاف معتقده ولعله
لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول
عايشة فى الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشئ وما فعله من
باب ما اختل من بصره كما ذكر فى الحديث فيظن انه رأى شخصا من بعض
از واجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه فى بصره
وضعف نظره لا لشئ طرأ عليه فى ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة
السحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا **فصل**
هذه حاله فى جسمه عليه السلام فاما احواله فى امور الدنيا فنحن نسبرها
على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد
فى امور الدنيا الشئ على وجه ويظهر منه خلافه او يكون منه على شك او
ظن بخلاف امور الشرع كما **حدثنا** ابو بحر سفيان بن العاص وغير واحد
سماعا وقراءة قالوا **حدثنا** ابو العباس احمد بن عمر قال **حدثنا** ابو العباس
الرازى **ثنا** احمد بن عمرويه **حدثنا** ابن سفيان **حدثنا** مسلم **ثنا** عبد
الله بن الرومى وعباس العنبرى واحمد المعقرى قالوا **ثنا** النضر بن محمد
قال حدثنى عكرمة **ثنا** ابو النجاشى قال **ثنا** رافع بن خديج قال قدم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال
ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت
فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشئ من دينكم فخذوا به
واذا امرتكم بشئ من رأى فانما انا بشر وفى رواية انس انتم اعلم بامر
دنياكم وفى حديث اخر انما ظننت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن وفى حديث
ابن عباس فى قصة الخرص فقال رسول الله عليه السلام انما انا بشر
حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسى فانما انا بشر اخطئ
واصيب وهذا على ما قررناه فى ما قاله من قبل نفسه فى امور الدنيا وظنه

من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده فى شرع شرعه وسنة سنها
وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلام لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب ابن
المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الرأى والحرب
والمكيدة قال لا بل هو الرأى والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل
انهض حتى نأتى ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب
فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالرأى وفعل ما قاله وقد قال له الله
تعالى وشاورهم فى الامر واراد صلى الله تعالى عليه وسلم مصالحة بعض
عدوه على ثلث ثمر المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه برأيهم رجع
عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التى لا مدخل فيها لعلم ديانة و
لا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرنا اذ ليس فى هذا كله نقيصة
ولا محطة وانما هى امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل
نفسه بها والنبى صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية
ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية
ولكن هذا انما يكون فى بعض الامور ويجوز فى النادر وفى ما سبيله التدقيق
فى حراسة الدنيا واستثمارها لا فى الكثير المؤذن بالبله والغفلة و
قد تواتر بالنقل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا
ودقايق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز فى البشر مما قد نبهنا عليه
فى باب معجزاته من هذا الكتاب **فصل** واما يعتقده فى امور احكام
البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح
من المفسد فبهذه السبيل لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما انا بشر
وانكم تختصمون الى ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضى
له على نحو مما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشئ فلا يأخذ منه شيئا
فانما اقطع له قطعة من النار **حدثنا** الفقيه ابو الوليد رحمه الله **ثنا**
الحسين بن محمد الحافظ **ثنا** ابو عمر **ثنا** ابو محمد **ثنا** ابو بكر **ثنا** ابو داود
ثنا محمد بن كثير اخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب
بنت ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث
وفى رواية الزهرى عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض
فاحسب انه صادق فاقضى له ويجرى احكامه صلى الله تعالى عليه
وسلم على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين
الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى
حكمة الله فى ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده و
مخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة
الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعهم

والاقتداء به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص
بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك و
لا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما نطلع عليه
وهو في تلك القضية لحكمه هو اذاً في ذلك بالمكنون من اعلام الله تعالى
له بما اطلعه عليه من سرايرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى الله احكامه
على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به
في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم و
يقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ
وتأويل المتأول وكان حكمه عليه السلام على الظاهر اجلى في البيان و
اوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي
بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون
شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب
فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء
ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا من نبوته ولا يفصم عروة من عصمته
فصل واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله وعن احوال
غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال
وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى او غضب وانه معصوم
منه صلى الله تعالى عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله
الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز
ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن
وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته
لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيداً في تحبيبهم
ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التي سألته
عن زوجها اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل
ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض وقد قال صلى الله تعالى عليه
وسلم اني لامزح ولا اقول الا حقاً هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه
غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح
منه ايضاً ولا يجوز عليه ان يأمر احداً بشيء او ينهى احداً عن شيء و
هو يبطن خلافه وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما كان لنبي
ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان يكون له خيانة قلب فان قلت
فما معنى قوله تعالى اذاً في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه
وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية فاعلم اكرمك الله ولا
تسترب في تنزيه النبي عليه السلام عن هذا الظاهر وان تأمر زيداً

بامساكها

بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا
ما حكاه اهل التفسير عن علي ابن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه صلى الله
تعالى عليه وسلم ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال
له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله
تعالى به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج
وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فايد عن الزهري قال نزل جبرئيل
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت
جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله
بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا
ان الله تعالى لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه
صلى الله تعالى عليه وسلم مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه لم
يكن عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل
مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من
قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة
من وقوعها من قلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عندما اعجبته و
محبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به صلى الله تعالى
عليه وسلم من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا ولكان
هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الانبياء عليهم
السلام فكيف سيد الانبياء صلى الله تعالى عليه وسلم قال القشيري
وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي عليه السلام وبفضله
وكيف يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان
النساء يحتجبن منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو زوجها لزيد وانما
جعل الله عز وجل طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال تعالى ما كان محمد
ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفائدة في
امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله تعالى اعلم
نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم انها زوجته فنهاه النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه
الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فامره الله
بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعاً

للشهوة ورداً للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه رآها فجاة واستحسنها
ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاة
معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيداً بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات
التى فى القصة والتعويل والاولى ماذكرناه عن على بن حسين وحكاه
السمرقندى وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضى القشيرى وعليه
عول ابوبكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير
قال والنبى عليه السلام منزه عن استعمال النفاق فى ذلك واظهار غير
ما فى نفسه وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ماكان على النبى من
حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك بالنبى عليه السلام فقد اخطاء
قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحياء اى تستحيى منهم
ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه السلام من الناس كانت
من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج
زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله تعالى
على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عتبه على مراعات رضى
ازواجه فى سورة التحريم لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك قوله له
هاهنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد روى عن الحسن وعائشة
لو كتم رسول الله عليه السلام شيئا لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابداء
ما اخفاه فصل فان قلت فقد تقررت عصمته عليه السلام فى اقواله
فى جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب فى عمد ولا سهو ولا
صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث
فى وصيته عليه السلام الذى حدثنا به القاضى الشهيد ابو على رحمه الله
قال ثنا القاضى ابو الوليد قال ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو
اسحق قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا على بن
عبد الله ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد
الله عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وفى البيت رجال فقال النبى عليه السلام هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا
بعده فقال بعضهم ان رسول الله عليه السلام قد غلبه الوجع
الحديث وفى رواية ائتونى اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدى ابدا فتنازعوا
فقالوا ماله اهجر استفهموه فقال دعونى فان الذى انا فيه خير وفى بعض
طرقه ان النبى عليه السلام يهجر وفى رواية هجر ويروى اهجر ويروى
اهجر وفيه فقال عمر ان النبى عليه السلام قد اشتد به الوجع وعندنا
كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عنى وفى رواية واختلف
اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله عليه
السلام

السلام كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر رضى الله تعالى عنه قال ائمتنا فى
هذا الحديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم غير معصوم من الامراض وما
يكون من عوارضها من شدة وجع وغشى ونحوه مما يطرأ على جسمه
معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن فى معجزته ويؤدى
الى فساد فى شريعته من هذيان او اختلال فى كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر
رواية من روى فى الحديث هجر اذ معناه هذا يقال هجر هجراً اذا هذى واهجر هجراً
اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على
من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه فى صحيح البخارى من رواية جميع الرواة
فى حديث الزهرى المتقدم وفى حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا
ضبطه الاصيلى بخطه فى كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم
فى حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من روى هجر على حذف
الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل قول القائل هجر او اهجر دهشة
من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول عليه السلام وشدة
وجعه وهول المقام الذى اختلف فيه عليه والامر الذى هم بالكتاب
فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا
انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته والله تعالى
يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجرا وهى رواية
ابى اسحق المستملى فى الصحيح فى حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية
قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده عليه السلام ومخاطبة
لهم من بعضهم اى جئتم باختلافكم على رسول الله تعالى عليه السلام
وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش فى المنطق وقد اختلف
العلماء فى معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه السلام ان
يأتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبى عليه السلام يفهم ايجابها من ندبها
من اباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم ما
فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم
ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزمة ولما رأوه من
صواب رأى عمر رضى الله عنه ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر اما
اشفاقا على النبى عليه السلام من تكليفه فى تلك الحال املاء الكتاب
وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبى عليه السلام اشتد
به الوجع وقيل خشى عمر رضى الله عنه ان يكتب عليه السلام اموراً
يعجزون عنها فيحصلون فى الحرج بالمخالفة ورأى ان الارفق بالامة
فى تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون
المصيب والمخطئ مأجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة وان

الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله
وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي عليه
السلام وقد قيل ان عمر رض خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب
في ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة
الوصية وغير ذلك وقيل انه كان من النبي عليه السلام لهم على طريق
المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركهم
وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي عليه السلام كان مجيبا
في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتدا بالامر به بل اقتضاه منه بعض
اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل
في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا الى رسول الله
عليه السلام فان كان الامر فينا علمناه وكراهة علي هذا بقوله والله لا افعل
الحديث واستدل بقوله دعوني فان الذي انا فيه خير اي الذي انا فيه خير
من ارسال الامر وترككم وكتاب الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي
طلب كتابه امر الخلافة بعده وتعيين ذلك فصل فان قيل فما وجه حديثه
ايضا الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا ابو علي الطبري
ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابراهيم بن
سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة ثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد
عن سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله
عليه السلام يقول اللهم انما محمد بشر يغضب البشر واني قد اتخذت
عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن اذيته او سببته او جلدته
فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وفي رواية فايما
احد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما
رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة
ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن
ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك عند
الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولا
ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه عليه السلام
على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده او ادبه
بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا عليه السلام لشفقته
على امته ورافته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله عز وجل بها وحذره
ان تتقبل في من دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه ولعنه وفعله له
رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه السلام يحمله الغضب
ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح

ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل
يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه او سبه
وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه
او العفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف
والحذر من تعدي حدود الله تعالى وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن
دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت
به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع
الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته في
غير حديث انه عليه السلام لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا
فاحشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه فيكون
حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام من موافقة امثالها
اجابة فعاهد ربه عز وجل كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له
زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له
لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي عليه السلام وتقبل
دعائه ما يحمله على الياس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه
جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما اصاب وتمحية
لما اجترم وان يكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في
الحديث الاخر ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو له كفارة فان قلت
فما معنى حديث الزبير وقول النبي عليه السلام له حين تخاصمه مع الانصاري
في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري ان كان
ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله عليه السلام ثم قال اسق
يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر فالجواب ان النبي عليه السلام منزه ان
يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب ولكنه عليه السلام ندب
الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم
يرض بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي عليه السلام للزبير
حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى
حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث فاستوعى رسول الله عليه السلام
حينئذ للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته و
فيها الاقتداء به عليه السلام في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه و
انه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب
والرضى سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي عليه السلام في هذا
انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في
اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعتد حمله الغضب عليه بل وقع

فى الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضربتنى بالقضيب فلا ادرى اعمدًا ام
اردت ضرب الناقة فقال النبى عليه السلام اعيذك يا عكاشة ان
يتعمدك رسول الله عليه السلام وكذلك فى حديثه الاخر مع الاعرابى
حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الاعرابى قد عفوت عنك
وكان النبى عليه السلام قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة
بعد اخرى والنبى عليه السلام ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو
يابى فضربه بعد ثلاث مراة وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند
نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام اشفق اذا كان حق
نفسه من الامر حتى عفا عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت النبى
عليه السلام وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشينى
بقضيب فى يده فى بطنى فاوجعنى قلت القصاص يا رسول الله فكشف لى
عن بطنه انما ضربه عليه السلام لمنكر رآه به ولعله لم يرد ضربه
بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه
على ما قدمناه **فصل** واما افعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها
من توقى المعاصى والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط
فى بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح فى النبوة بل ان هذا فيها على الندور
اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى
العبادات والقرب على ما بيّنا اذ كان عليه السلام لا يأخذ منها لنفسه
الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التى بها يعبد ربه
عز وجل ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس
من ذلك فبين معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او
يسمعه او تألف شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق
بصالح اعماله منتظم فى زاكى وظايف عباداته وقد كان يخالف فى افعاله
الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب فى تصرفه
لما قرب الحمار وفى اسفاره الراحلة ويركب البغلة فى معارك الحرب دليلا
على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك
فى لباسه وساير احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك
يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلافها
وان كان قد يرى غيره خيرًا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله
خيرًا منه وقد يفعل هذا فى الامور الدينية مما له الخيرة فى احد وجهيه
كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين
وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم و
كراهة لان يقول الناس ان محمدًا يقتل اصحابه كما جاء فى الحديث وتركه



بناء الكعبة على قواعد ابراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها
وحذرًا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله
فقال لعايشة فى الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت
على قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرًا منه كانتقاله
من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من
امرى ما استدبرت ما سقت الهدى ويبسط وجهه للكافر والعدو
رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه
الناس لشره ويبذل له الرغايب ليحبب اليه شريعته ودين ربه
عز وجل ويتولى فى منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت فى
ملائه حتى لا يبدو منه شىء من اطرافه وحتى كان على رؤس جلسائه
الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه
ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه
الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبى
ان تكون له خائنة الاعين فان قلت فما معنى قوله لعايشة فى الداخل
عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل الان له القول وضحك معه فلما سألته
عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان
يظهر له خلاف ما يبطن ويقول فى ظهره ما قال فالجواب ان فعله صلى
الله تعالى عليه وسلم كان استيلافا لمثله وتطييبًا لنفسه ليتمكن ايمانه
ويدخل فى الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام
ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة
الدينية وقد كان عليه السلام يستألفهم باموال الله العريضة فكيف
بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطانى وهو ابغض الخلق الى فما زال
يعطينى حتى صار احب الخلق الى وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير
غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه و
لا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعًا متبوعًا ومثل هذا اذا كان
لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جايزًا بل واجبًا فى بعض
الاحيان كعادة المحدثين فى تجريح الرواة والمزكين فى الشهود فان قيل
فما معنى المعضل الوارد فى حديث بريرة من قوله عليه السلام لعايشة
وقد اخبرته ان موالى بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها
عليه السلام اشتريها واشترطى لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبًا فقال
ما بال اقوام يشترطون شروطًا ليست فى كتاب الله كل شرط ليس فى
كتاب الله فهو باطل والنبى عليه السلام قد امرها بالشرط لهم وعليه
باعوا ولولاه والله اعلم لما عوها من عايشة كما لم يبيعوها قبل حتى

شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرّم الغش والخديعة **فاعلم**
اكرمك ان النبي عليه السلام منزّه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه
النبي عليه السلام عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم
الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم
بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال وان اسأتم فلها فعلى
هذا اشتراطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي عليه السلام ووعظه
لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه
السلام اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام
بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي عليه السلام لهم قبل ان الولاء
لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى
هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي عليه السلام لهم وتقريعهم على
ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي لهم
الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق
ثم بعد هذا قام هو صلى الله تعالى عليه وسلم مبينا ذلك موبخا على مخالفة
ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ
جعل السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك
وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا **فاعلم** اكرمك الله ان الاية تدل على
ان فعل يوسف كان عن امر الله عز وجل لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف
ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية فاذا كان ذلك
فلا اعتراض به وان لم يكن بامر الله تعالى كان فيه ما فيه وايضا فان
يوسف عليه السلام كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان
ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له
به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون
فليس من قول يوسف عليه السلام فيلزم عنه جواب لحل شبهة ولعل قائله
ان حسن له التأويل كائنا من كان ظن صورة الحال ذلك وقد قيل قال
ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان
نقول الانبياء ما لم يثبت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم
الاعتذار عن زلات غيرهم **فصل** فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض
وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم السلام وما الوجه
فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب
ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات
الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه **فاعلم** وفقنا
الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا

مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن
عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولنبلونكم حتى
نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم فامتحانه اياهم بضروب
المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات
الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع
منهم وتأكيد لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة
لغيرهم وموعظة لسواهم ليتأسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى
عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم او غفلات سلفت
لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر
واجزل **حدثنا** القاضي ابو علي الحافظ **ثنا** ابو الحسين الصيرفي وابو
الفضل بن خيرون قالا **حدثنا** ابو يعلى البغدادي قال **ثنا** ابو علي السنجي
ثنا محمد بن محبوب **ثنا** ابو عيسى الترمذي **ثنا** قتيبة **ثنا** حماد بن زيد
عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول
الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل يبتلى الرجل على حسب
دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه
خطيئة وكما قال الله تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير
الايات الثلاث وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما يزال البلاء بالمؤمن
في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس رضي الله
عنه عنه عليه السلام اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا
واذا اراد بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي
حديث آخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي
ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله و
يستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة
يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب
بيوسف كان سببه التفاته في صلاته اليه ويوسف نائم محبة له
وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان
وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز
لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب
بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من
الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه
الا من كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي
نص الله عليها وروي عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل
مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه

رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله تعالى ببلائه ومحنة سليمان لما
ذكرناه من نيته فى كون الحق فى جنبة اصهاره او للعمل بالمعصية فى داره
ولا علم عنده وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبى عليه السلام
قالت عايشة ما رأيت الوجع على احد امنه على رسول الله عليه السلام
وعن عبد الله رأيت النبى عليه السلام فى مرضه يوعك وعكا شديدًا
فقلت انك لتوعك وعكا شديدًا قال اجل انى اوعك كما يوعك
رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك
وفى حديث ابى سعيد ان رجلا وضع يده على النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدى عليك من شدة حماك فقال
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء
ان كان النبى ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبى ليبتلى بالفقر وان
كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء وعن انس عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب
قومًا ابتلاهم فمن رضى فله الرضى ومن سخط وقد قال المفسرون
فى قوله تعالى من يعمل سوءً يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا
فتكون له كفارة وروى هذا عن عايشة وابى ومجاهد وقال ابو
هريرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من يرد الله به خيرًا يصب
منه وقال فى رواية عايشة ما من مصيبة تصيب المسلم الا كفر الله
بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال فى رواية ابى سعيد ما يصيب
المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى
الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفى حديث ابن مسعود
ما من مسلم يصيبه اذىً الا حات الله عنه خطاياه كما يحت ورق
الشجر وحكمة اخرى اودعها الله فى الامراض لاجسامهم وتعاقب
الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل
خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات
بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجأة
واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى فى الشدة واللين
والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع
تفيئها الريح هكذا وهاكذا وفى رواية ابى هريرة من حيث اتتها الريح
تكفاءها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفاء بالبلاء ومثل
الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمه الله معناه ان المؤمن
مرزاء مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله
منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع

والانقياد

وانقيادها للرياح وتمائلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح
الله عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحًا كما اعتدلت خامة الزرع
عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع
بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب
عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه
لعادته بما تقدمه من الآلام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه
نفسه على المصايب ورقتها وضعفها بتوالى المرض اوشدته والكافر بخلاف
هذا معافى فى غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا
اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا
رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه
وصحة جسمه اشد الما وعذابًا ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف الارزة
وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله
فى اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه
حاصبًا ومنهم من اخذته الصيحة ففجاء جميعهم بالموت على حال
عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف
موت الفجأة ومنه فى حديث ابراهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة
الاسف اى الغضب يريد موت الفجأة وحكمة ثالثة ان الامراض
نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من
اصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة
الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من
قبل الله تعالى وقبل العباد ويؤدى الحقوق الى اهلها وينظر فيما
يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا عليه السلام
المغفور له ما تقدم وما تاخر قد طلب التنصل فى مرضه ممن كان له
عليه مال او حق فى بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص
منه على ما ورد فى حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين
بعده كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب
لئلا تضل امته بعده اما فى النص على الخلافة او الله اعلم بمراده ثم
رأى الامساك عنه افضل خيرًا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين و
اوليائه المتقين وهذا كله يحرمه غالبًا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا
اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة
واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
يرجعون ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى رجل مات فجاءةً
سبحان الله كانه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجأة

راحة للمؤمن واخذة اسف للكافر والفاجر وذلك لان الموت يأتي المؤمن
وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى
الى راحته من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح
منه ويأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات
منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا
هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه وفراق الدنيا افظع امر
صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من
احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه
القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام في من تنقصه او سبه
عليه الصلوة والسلام قال القاضي ابو الفضل قد تقدم من الكتاب
والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي عليه السلام وما
يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى
اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه
قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والاخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون رسول
الله لهم عذاب اليم وقال الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما
وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا
وقولوا انظرنا واسمعوا الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولوا راعنا
يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون
الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين
عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به و
قيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا
سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي عليه السلام
وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك
اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب
الرعاية بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال
تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان عليه
السلام استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت
هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره
ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن ذريعة الى اذاه
والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا
له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه

بكل وجه فحمل محققوا العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته
لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما
ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله وان ذلك على طريق
تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك
لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله تعالى منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه
برسول الله ونبي الله وقد يدعونه بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض
الاحوال وقد روى انس عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي
باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم
تلعنونهم وروى ان عمر رضي الله عنه كتب الى اهل الكوفة لا يسمى
احد باسم النبي عليه السلام حكاه ابو جعفر الطبري وحكا محمد بن سعد
انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد و
صنع فقال عمر لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب لا ارى محمدا صلى الله تعالى
عليه وسلم يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن
واراد ان يمنع الناس لهذا ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك
وغير اسماءهم وقال لا تسموا باسماء الانبياء ثم امسك والصواب جواز
هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة
منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروي ان النبي عليه السلام اذن في ذلك
لعلي بن ابي طالب وقد اخبر عليه السلام ان ذلك اسم المهدي وكنيته
وقد سمى به النبي عليه السلام محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم و
محمد بن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر احدكم ان يكون في بيته
محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلت الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمنا
الباب الاول في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص من
تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي عليه
السلام او عابه او الحقه بنقص في نفسه او نسبه او دينه او خصلة
من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له او الازراء
عليه او التصغير لشانه او الغض منه او العيب له فهو ساب له والحكم
فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب
على هذا المقصد ولا نمتري فيه صريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه
او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق
الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من
القول وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه
ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع

من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين الى هلم جرا وقال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم ان
من سب النبى عليه السلام يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث
واحمد واسحق وهو مذهب الشافعى قال القاضى ابو الفضل وهو مقتضى
قول ابى بكر الصديق رض ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال
ابو حنيفة واصحابه والثورى واهل الكوفة والاوزاعى فى المسلم
لكنهم قالوا هى ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى
مثله الطبرى عن ابى حنيفة واصحابه فيمن تنقصه عليه السلام او
برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة
وعلى هذا وقع الخلاف فى استتابته وتكفيره وهل قتله حد او كفر
كما سنبينه فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا فى
استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد
الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد على
بن احمد الفارسى الى الخلاف فى تكفير المستخف به والمعروف ما
قدمناه وقال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبى عليه السلام
المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة
القتل ومن شك فى كفره وعذابه فقد كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن
خالد الفقيه فى مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن
النبى عليه السلام صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابى لا اعلم احدا من
المسلمين اختلف فى وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن
مالك فى كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن
مالك فى كتاب ابن حبيب من سب النبى عليه السلام من المسلمين قتل
ولم يستتب قال ابن القاسم فى العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه
يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره
وفى المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبى عليه السلام قتل او
صلب حيا ولم يستتب والامام مخير فى صلبه حيا او قتله ومن رواية
ابى المصعب وابن ابى اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله
عليه السلام او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا
يستتاب وفى كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبى
عليه السلام او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال
اصبغ يقتل فى كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا
تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبى عليه السلام من مسلم
او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبرى مثله عن اشهب عن مالك

وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبى عليه السلام ويروى
زر النبى عليه السلام وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع
العلماء على ان من دعا على نبى من الانبياء عليهم السلام بالويل او بشئ
من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسى فيمن قال
فى النبى عليه السلام الجمال يتيم ابى طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابى
زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبى عليه السلام اذ مر بهم
رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هى صفة هذا
المار فى خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس
يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابى سليمان صاحب سحنون
من قال ان النبى عليه السلام كان اسود يقتل وقال فى رجل قيل له لا
وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا
فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما
اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابى سليمان للذى سأله اشهد
عليه وانا شريكك يريد فى قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع
لان ادعاءه التأويل فى لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه
وافتى ابو عبد الله بن عتاب فى عشار قال لرجل اد ما عليك واشك
الى النبى عليه السلام وقال ان سألت او جهلت فقد جهل وسأل
النبى بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلى
وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان
زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى
فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزارى وكان
شاعرا متفننا فى كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضى ابى
العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب
فى الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا عليه السلام فاحضر له القاضى
يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين و
صلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين انه لما
رفعت خشبته وزالت عنها الايدى استدارت وحولته عن القبلة
فكان اية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ فى دمه فقال يحيى بن عمر
صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه
السلام انه قال لا يلغ الكلب فى دم مسلم وقال القاضى ابو عبد الله بن
المرابط من قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هزم يستتاب

فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه فى خاصته اذ هو على
بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروى مذهب
مالك واصحابه ان من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون
استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبات ان من قصد النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله
واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم
يختلف فى ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا فى حكم قتله على
ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية
الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض
جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه او بالميل الى نسائه فحكم
هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء فى ذلك
ويأتى ما يدل عليه فصل فى الحجة فى ايجاب قتل من سبه او عابه
صلى الله تعالى عليه وسلم فمن القران لعنة الله تعالى لموذيه فى الدنيا
والاخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف فى قتل من سب الله سبحانه
وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال ان
الذين يؤذون الله ورسوله الاية وقال فى قاتل المؤمن مثل ذلك
فمن لعنته فى الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا وقال فى المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزى فى الدنيا
وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم
الله اى لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين وفى اذى
المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم موذى الله
ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد فى
صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا
قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى
الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل و
قال تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم
يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبى
ويقولون هو اذن ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب
اليم وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب
الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم فى رسول
الله عليه السلام واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا الشيخ
ابو عبدالله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابى ذر الهروى اجازة

قال

قال ثنا ابو الحسن الدارقطنى وابو عمر بن حيوية ثنا محمد بن نوح ثنا عبد
العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن على
بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن على بن الحسين عن ابيه عن الحسين
بن على عن ابيه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سب
نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابى فاضربوه وفى الحديث الصحيح امر النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن
الاشرف فانه يؤذى الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون
دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير
الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال البراء وكان يؤذى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم
الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه
السلام فى حديث اخر ان رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفينى
عدوى فقال خالد انا فبعثه النبى عليه السلام فقتله وكذلك لم يقل
جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة
بن ابى معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من
بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس ان
عقبة بن ابى معيط نادى يا معاشر قريش ما لى اقتل من بينكم صبرا فقال
له النبى عليه السلام بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سبه
رجل فقال من يكفينى عدوى فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير
وروى ايضا ان امراة كانت تسبه عليه السلام فقال من يكفينى عدوتى
فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى ان رجلا كذب على النبى عليه
السلام فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه وروى ابن قانع ان رجلا جاء
الى النبى عليه السلام فقال يا رسول الله سمعت ابى يقول فيك قولا
قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبى عليه السلام وبلغ المهاجر بن
ابى امية امير اليمن لابى بكر رضى الله عنه ان امراة هناك فى الردة
غنت بسب النبى عليه السلام فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر
ذلك فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس
يشبه الحدود وعن ابن عباس هجت امراة من خطمة النبى عليه
السلام فقال من لى بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض
فقتلها فاخبر النبى عليه السلام فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن
عباس ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع فى النبى عليه السلام

وشتمته فقتلها واعلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فاهدر دمها
وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق فغضب
على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من الائمة في هذا
الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد
عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه فقال اجلس
فليس ذلك لاحد الا لرسول الله عليه السلام قال القاضي ابو محمد بن
نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على قتل من
اغضب النبي عليه السلام بكل ما اغضبه او اذاه او سبه من ذلك
كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب
عمر رضي الله عنه فكتب عمر اليه انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد
من الناس الا رجلا سب رسول الله عليه السلام فمن سبه فقد حل دمه
وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي عليه السلام وذكر له ان فقهاء
العراق افتوه بجلده فغضب وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد نبيها
من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
جلد قال القاضي ابو الفضل وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من
اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء
بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله
ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون
ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب و
يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقله لمالك على اصله والا فالاجماع
على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار
ان من سبه او تنقصه عليه السلام قد ظهرت علامة مرض قلبه و
برهان سر طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي
رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الاخر انه دليل على
الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله
غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب
ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته
عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال
الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر و
كفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد
حقا لنحن شر من الحمير وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول
القائل سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم

الزنديق

الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا
عنقه ولان لحكم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحرمة مزية على امته و
ساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل لعظيم
قدره وشفوف منزلته على غيره **فصل** فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا
قتل الاخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تاذى النبي
عليه السلام من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل
المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان **فاعلم** وفقنا الله واياك
ان النبي عليه السلام كان اول الاسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم
اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه
انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا
تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله تعالى
عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عليهم ويحتمل
من اذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان
يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله فقال تعالى ولا تزال
تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب
المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه
ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتاليف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه
فلما استقر واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله
بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود
وغيرهم او غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة
مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر
وعقبة وكذلك نذر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى و
غيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين
مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان
يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت و
ينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع
هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر صلى الله
تعالى عليه وسلم على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل
حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع
الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة وانصار
كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا عن هذا السؤال وقال
لعله لم يثبت عنده عليه السلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد

ولم يصل رتبة الشهادة فى هذا الباب من صبى او عبد او امرأة والدماء لا تستباح
الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود فى السلام وانهم لووا به السنتهم ولم
يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عايشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد
بعلمه ولهذا نبه النبى عليه السلام اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم فى
سلامهم وخيانتهم فى ذلك ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين فقال ان اليهود
اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض
اصحابنا البغداديين ان النبى عليه السلام لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم
ولم يأت انه قامت بينة على نفاقهم ولذلك تركهم وايضا فان الامر
كان سرا و باطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة
بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث
من الطيب وقد شاع عن المذكورين فى العرب كون من يتهم بالنفاق
من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو
قتلهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه
بما اسروا فى انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف
المعاند وارتاع من صحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والدخول
فى الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان
للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا الى مالك
ابن انس رحمه الله ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا
يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهانى الله عن قتلهم وهذا بخلاف
اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها
واستواء الناس فى علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم
لقتلهم النبى عليه السلام وقاله القاضى ابو الحسن بن القصار وقال
قتادة فى تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض
والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا
ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الاية قال معناه
اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة فى المبسوط عن زيد بن اسلم
ان قوله تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين نسخها ما كان
قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله
وقوله اعدل لم يفهم النبى عليه السلام منه الطعن عليه والتهمة
له وانما رآها من وجه الغلط فى الرأى وامور الدنيا والاجتهاد فى
مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا ورأى انه من الاذى الذى له العفو
عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال فى اليهود اذ
قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من

الموت

الموت الذى لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسأمون دينكم
والسأم والسآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب و
لهذا ترجم البخارى على هذا الحديث باب اذا عرض الذمى او غيره بسب
النبى عليه السلام قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو
تعريض بالاذى قال القاضى ابو الفضل قد قدمنا ان الاذى والسب
فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم سواء وقال القاضى ابو محمد بن نصر
مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر فى الحديث
هل كان هذا اليهودى من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك موجب
الادلة للامر المحتمل والاولى فى ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد
الاستيلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخارى
على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتاليف ولئلا
ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم صلى
الله تعالى عليه وسلم على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله
عليهم واذن له فى قتل من حينه منهم وانزالهم من صياصيهم وقذف
فى قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم
وخرب بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة
القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم واورثهم
ارضهم وديارهم واموالهم لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى
فان قلت فقد جاء فى الحديث الصحيح عن عايشة انه عليه السلام ما انتقم
لنفسه فى شئ يؤتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم
ان هذا لا يقتضى انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه من حرمات
الله التى انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب او معاملة
من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت
عليه الاعراب من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابى
به ردائه حتى اثر فى عنقه وكرفع صوت الاخر عنده وكجحد الاعرابى
شراءه منه فرسه التى شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه
واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه او يكون هذا مما اذاه به كافر وجاء بعد
ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودى الذى سحره وعن الاعرابى الذى اراد
قتله وعن اليهودية التى سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا وعما بلغه
من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استيلافهم واستيلاف
غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق فصل تقدم الكلام فى قتل
القاصد لسبه والازراء به وغمصه باى وجه كان من ممكن او محال
فهذا وجه بين لا اشكال فيه الوجه الثانى لاحق به فى البيان والجلاء

وهو ان يكون القائل لما قال فى جهته عليه السلام غير قاصد للسب والازرآء
ولا معتقد له ولكنه تكلم فى جهته صلى الله تعالى عليه وسلم بكلمة الكفر
من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او نفى ما يجب له مما
هو فى حقه عليه السلام نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة
فى تبليغ الرسالة او حكم بين الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه
او وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهر به من امور اخبر بها صلى الله
تعالى عليه وسلم وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او يأتى بسفه من
القول او قبيح من الكلام ونوع من السب فى جهته وان ظهر بدليل حاله
انه لم يعتمد ذمه ولم يقصد سبه اما بجهالة حملته على ما قاله او لضجر
او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور فى
كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تنعثم اذ لا يعذر
احد فى الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشئ مما ذكرناه الا
كان عقله فى فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا
افتى الاندلسيون على ابن حاتم فى نفيه الزهد عن رسول الله عليه
السلام الذى قدمناه وقال محمد بن سحنون فى المأسور يسب النبى
عليه السلام فى ايدى العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن
ابى محمد بن ابى زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان فى مثل هذا وافتى ابو
الحسن القابسى فى من شتم النبى عليه السلام فى سكره يقتل لانه يظن
به ان يعتقد هذا ويفعله فى صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر
كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان من شرب
الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون
بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا
يعترض على هذا بحديث حمزة رضى الله عنه وقوله للنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابى قال فعرف النبى عليه السلام انه
ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن فى جناياتها
اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب
الدواء المأمون فصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما
قاله او اتى به او ينفى نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به او انتقل
بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله
ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوى
الخلاف فى استتابته وعلى القول الاخر يسقط القتل عنه توبته لحق
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من
كذب او غيره وان كان مستسرا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط

قتله

قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد
او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم فى
المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبى او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن و
انما هو شئ تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله عليه وسلم وانكره
من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد
يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون
قال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه
قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال اشهب فى يهودى تنبأ
وزعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبى انه يستتاب ان كان
معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب للنبى عليه السلام
فى قوله لا نبى بعدى مفتر على الله تعالى فى دعواه عليه الرسالة و
النبوة وقال محمد بن سحنون من شك فى حرف مما جاء به محمد عليه
السلام عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبى عليه السلام
كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابى سليمان صاحب سحنون
من قال النبى عليه السلام اسود قتل لم يكن عليه السلام باسود
وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحى او انه
كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفى قال حبيب بن ربيع تبديل
صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له
زنديق يقتل دون استتابة فصل الوجه الرابع ان يأتى من الكلام
بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبى عليه السلام او غيره
او يتردد فى المراد به من سلامته من المكروه او شره فهاهنا متردد
النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء
المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة فمنهم
من غلب حرمة النبى عليه السلام وحمى حمى عرضه فجسر على القتل
ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول
وقد اختلف ائمتنا فى رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبى محمد
فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو
كمن شتم النبى عليه السلام او شتم الملائكة الذين يصلون عليه
قال لا اذا كان على وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم
وقال ابو اسحق البرقى واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم
الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب فى شتم النبى
عليه السلام ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم يكن معه قرينة
تدل على شتم النبى عليه السلام او شتم الملائكة صلوات الله عليهم

ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غيرهم
لاجل قول الاخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان
لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق
لعلة صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا
الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب
فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق
عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل
اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون
امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من
المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل
من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد
اليه التأويلات لا بد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن
محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني
اسرائيل ولعن الله بني ادم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما اردت
الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى
في من قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفي من
لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن من جاء به انه ان كان يعذر بالجهل
وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد
بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله عليه السلام وانما لعن
من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسألة المتقدمة
ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن
الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه
يدخل في مثل هذا العدد من ابائه واجداده جماعة من الانبياء و
لعل بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه السلام فينبغي الزجر
عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد
سب من في ابائه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو
هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين
منهم او قال لرجل من ذرية النبي عليه السلام قولا قبيحا في ابائه
او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسألتين تقتضي تخصيص بعض ابائه واخراج
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ممن سبه منهم وقد كان اختلف
شيوخنا في من قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له
الاخر الانبياء يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق ابن جعفر يرى

قتله لبشاعة

قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن
القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى
فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو
محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه
اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت
شيخنا القاضي ابا عبد الله بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا
اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر
الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به
الى السجن تقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد
ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه **فصل** الوجه
الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر
بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله عليه السلام الجائزة عليه
في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبيه
به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التأسي و
طريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل
وعدم التوقير لنبيه عليه السلام او قصد الهزل والتندير بقوله
كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم او ان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا
اسلم من السنة الناس ولم يسلم منه انبياء الله ورسله او قد صبرت
كما صبر اولوا العزم من الرسل او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله من
عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي انا في امة تداركها
الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين
في الكلام كقول المعري كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما
من فقير على ان اخر البيت شديد وداخل في باب الازراء والتحقير
بالنبي عليه السلام وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله لولا
انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله في الفضل
الا انه لم يأته برسالة جبريل فصدر البيت الثاني من هذا الفصل
لتشبيه غير النبي في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين احدهما
ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه
اشد ونحو منه قول الاخر واذا ما رفعت راياته صفقت بين
جناحي جبرئيل وقول الاخر من اهل العصر فر من الخلد واستجار
بنا فصبر الله قلب رضوان وكقول حسان المصيصي من شعراء
الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي بكر بن

زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان وانت محمد الى امثال هذا
وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل كثير
من الناس فى ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة
علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم وتحسبونه
هينا وهو عند الله عظيم سيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه
تسريحا ابن هانى الاندلسى وابن سليمان المعرى بل قد خرج كثير من
كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه و
غرضنا الآن الكلام فى هذا الفصل الذى سقنا امثلته فان هذه كلها
وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبياء نقصا ولست
اعنى عجزى بيتى المعرى ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا
عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى
شبه من شبه فى كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل
لتطييب مجلسه او اغلاء فى وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره
وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت
عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره
بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله
او ندوره وقرينة كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون
ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابى نواس قوله فان يك
باقى سحر فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخناء
انت المستهزئ بعصا موسى وامر باخراجه عن عسكره من ليلته وذكر
القتبى ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله فى محمد الامين
وتشبيهه اياه بالنبى عليه السلام تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها
خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد انكروا ايضا عليه قوله كيف لا يدنيك
من امل من رسول الله من نضره لان حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة
منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم فى امثال هذا ما بسطناه فى طريق
الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس واصحابه
ففى النوادر من رواية ابن ابى مريم عنه فى رجل عير رجلا بالفقر فقال
تعيرنى بالفقر وقد رعى النبى عليه السلام فقال مالك قد عرض بذكر
النبى عليه السلام فى غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغى لاهل
الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطأت الانبياء قبلنا وقال عمر بن
عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان
ابو النبى كافرا فقال اجعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لى ابدا وقد
كره سحنون ان يصلى على النبى عليه السلام عند التعجب الا على طريق الثواب

والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله عز وجل وسئل القابسى عن رجل
قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال
اى شىء اراد بهذا ونكير احد فتانى القبر وهما ملكان فما الذى اراد اروع
دخل عليه حين رآه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان
كان هذا فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة
وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفى
الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد
جفا الذى ذكره عندما انكر من عبوس الآخر الا ان يكون المعبس له يد
فيرهب بعبسة فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا فى فعله ولزومه فى
ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه فى فعله فيقول كانه لله يغضب
غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغى له التعرض لمثل هذا ولو
كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب
العقوبة الشديدة وليس فى هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال
وقال ابو الحسن ايضا فى شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له
الرجل اسكت فانك امى فقال الشاب اليس كان النبى اميا فشنع
عليه مقاله وكفره الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه
فقال ابو الحسن اما اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ فى استشهاده
بصفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكون النبى عليه السلام اميا
آية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه
بصفة النبى عليه السلام لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجأ الى
الله عز وجل فيترك لان قوله لا ينتهى الى حد القتل وما طريقه الادب
فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسئلة استفتى
فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضى ابا محمد بن منصوب رحمه الله
فى رجل تنقصه آخر بشىء فقال انما تريد نقصى بقولك وانا بشر وجميع
البشر يلحقهم النقص حتى النبى عليه السلام فافتاه باطالة سجنه
وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى
بقتله **فصل** الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا به عن غيره
وآثرا له عن سواه فهذا ينظر فى صورة حكايته وقرينة مقالته و
يختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب
والكراهة والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف
بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما
ينبغى امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه فى كتاب او فى مجلس على
طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب

ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكى لذلك والمحكى عنه فان كان القائل
لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم او رواية الحديث او يقطع
بحكمه او شهادته او فتياه فى الحقوق وجب على سامعه الاشادة بما
سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على
من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله
لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان
كان ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان فان من هذه سريرته
لا يؤمن على القاء ذلك فى قلوبهم فيتاكد فى هؤلاء الايجاب لحق
النبى عليه السلام ولحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل
فالقيام بحق النبى عليه السلام واجب وحماية عرضه متعين و
نصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا
من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر سقط عن الباقى
الفرض وبقى الاستحباب فى تكثير الشهادة وعضد التحذير منه
وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم فى الحديث فكيف بمثل
هذا وقد سئل ابو محمد بن ابى زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا فى حق
الله تعالى ايسعه ان لا يؤدى شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم
بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد
به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة
لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا فى هذا الباب
فليس التفكه بعرض النبى عليه السلام والتمضمض بسوء ذكره لاحد
لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعى بمباح واما للاغراض المتقدمة فمتردد
بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين
عليه وعلى رسله فى كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم
والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله تعالى علينا فى محكم كتابه وكذلك
وقع من امثاله فى احاديث النبى عليه السلام الصحيحة على الوجوه المتقدمة
واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين
فى كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان
ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على الحارث بن اسد فقد صنع
احمد مثله فى رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق هذه الوجوه السائغة
الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه
على وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم
فى الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض فى قيل
وقال وما لا يعنى فكل هذا ممنوع وبعضه اشد فى المنع والعقوبة

من

من بعض فما كان من قائله الحاكى له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه
او لم تكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه
استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهى عن العودة اليه وان قوم
ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو
كان الادب اشد وقد حكى ان رجلا سأل مالكا عمن يقول القرآن مخلوق
فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيرى فقال انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل
انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكى فيما حكاه انه اختلقه ونسبه
الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله
والاستخفاف له او التحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه صلى الله
تعالى عليه وسلم وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا
تنفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد
قال ابو عبيد القاسم بن سلام فى من حفظ شطر بيت مما هجى به النبى عليه
السلام فهو كفر وقد ذكر بعض من الف فى الاجماع اجماع المسلمين على
تحريم رواية ما هجى به النبى عليه السلام وكتابته وقراءته وتركه متى
وجد دون محو ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا
من احاديث المغازى والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء
ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجه الاول ليروا نقمة الله من
قائلها واخذه المفترى عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام قد
تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجى اشعار العرب فى كتبه فكنى
عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة فى ذم
احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله تعالى
عليه وسلم فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبى عليه السلام
او يختلف فى جوازه عليه ما يطرء من الامور البشرية به ويمكن اضافتها
اليه او يذكر ما امتحن به وصبر فى ذات الله على شدته من مقاسات
اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس
زمنه ومر عليه من معانات عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة
العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن
خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء
ولا استخفاف لا فى ظاهر اللفظ ولا فى مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون
الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده و
يحققون فوائده ويجتنب ذلك من عساه لا يفقه او تخشى به فتنة فقد كره
بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص

لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال عليه السلام مخبراً
عن نفسه باستيجاره لرعاية الغنم فى ابتداء حاله وقال ما من نبى الا وقد
رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة
فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة
والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم فى ذلك للانبياء حكمة بالغة و
تدريج لله تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من
خليقته بما سبق لهم من الكرامة فى الاول ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله
عز وجل يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر
الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدائه والتعجب من منح الله
قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته و
صحة دعوته اذ اظهر الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه
من اشرافهم شيئاً فشيئاً ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم
واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتأييده بنصره
وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن
ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب
ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سأل اباسفيان عنه هل
فى ابائه من ملك ثم قال ولو كان فى ابائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك
ابيه واذا اليتم من صفته واحدى علاماته فى الكتب المتقدمة واخبار
الامم السالفة وكذا وقع ذكره فى كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذى يزن لعبد
المطلب وبحيرا لابى طالب وكذلك اذا وصف بانه امى كما وصفه الله عز
وجل به فهى مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته
العظمى من القران العظيم انما هى متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح
عليه السلام وفضل به من ذلك كما قدمناه فى القسم الاول ووجود مثل
ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى
العبر ومعجزة البشر وليس فيه ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة
والقراءة المعرفة وانما هى آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة فى
نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة والسبب و
الامية فى غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان
من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته
فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام
حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى
هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روى من اخباره و
سيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته

نفسه

نفسه فى اموره وخدمة بيته زهداً ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها
وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره
وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئاً منها مورده وقصد بها مقصده كان
حسناً ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق
بالفصول التى قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء
عليهم السلام فى الاحاديث مما فى ظاهره اشكال يقتضى اموراً لا تليق بهم
بحال وتحتاج الى تأويل وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث منها الا
بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره
التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى و
قال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث
بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها
وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وحكى عن جماعة من السلف
بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبى
عليه السلام اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفا
تهم فى حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن فى حقهم
مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من
مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز
ووحيها وتبليغها وتلويحها وتفرقوا فى تأويلها شذر مذر فمنهم من امن
به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها
شىء فى حق الله تعالى ولا حق انبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام
على معانيها والصواب طرحها وترك التشاغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف
بانها ضعيفة المقاد واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ على ابى بكر بن
فورك تكلفه فى مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل
لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه
طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام
على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف
للبس واشفى للنفس **فصل** ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبى عليه
السلام وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه فى الفصل قبل هذا
على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم فى كلامه عند ذكره عليه السلام
وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا
يهمله ويظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من
الشدائد يظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة
الفداء للنبى عليه السلام لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ

فى ابواب العصمة وتكلم على مجارى اعماله واقواله عليه السلام تحرى احسن
اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما
يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم فى الاقوال قال هل يجوز
عليه الخلف فى القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوًا او غلطاً ونحوه من
العبارات ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز
ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى
اليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم فى الافعال قال هل يجوز
منه المخالفة فى بعض الاوامر والنواهى والمواقعة الصغاير فهو اولى وآدب
من قوله هل يجوز ان يعصى او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصى
فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من تعزير واعظام وقد رأيت
بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت
بعض الجائرين قوله لاجل ترك تحفظه فى العبارة ما لم يقله وشنع عليه
بما يأباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا فى ادابهم و
حسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله فى حقه عليه السلام اوجب والتزامه
آكد فجودة العبارة تقبح الشئ او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر
او يهونه ولهذا قال عليه السلام ان من البيان لسحرًا فاما ما اورده على
جهة النفى عنه والتنزيه فلا حرج فى تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله
لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكباير بوجه ولا الجور فى الحكم على حال
ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردًا فكيف
عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد
ذكره كما قدمناه فى القسم الثانى وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة
آى من القران حكى الله تعالى فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى
عليه الكذب فكان يخفض بها صوته اعظامًا لربه واجلالا له واشفاقًا
من التشبه بمن كفر به **الباب الثانى** فى حكم سابه وشانئه ومتنقصه
ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا ما هو سب
واذى فى حقه عليه السلام وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك
وقائله او تخيير الامام فى قتله او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه
وبعد فاعلم ان مشهور مذهب مالك واصحابه وقول السلف وجمهور
العلماء قتله حدًا لا كفرًا ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته
ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق
ومسر الكفر فى هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه
والشهادة على قوله او جاء تائبًا من قبل نفسه لانه حد وجب لا
تسقطه التوبة كسائر الحدود وقال الشيخ ابو الحسن القابسى اذا اقر

بالسب

بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال ابو
محمد بن ابى زيد فى مثله واما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته ينفعه
وقال ابن سحنون من شتم النبى عليه السلام من الموحدين ثم تاب عن
ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذا قد اختلف فى الزنديق اذا جاء
تائبًا فحكى القاضى ابو الحسن بن القصار فى ذلك قولين قال من شيوخنا
من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا
انه خشى الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لانى
استدل على صحتها بمجيئه فكاننا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة
قال القاضى ابو الفضل وهذا قول اصبغ ومسئلة ساب النبى عليه السلام
اقوى لا نتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبى عليه
السلام ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق
اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحق واحمد لا يقبل توبته
وعند الشافعى تقبل واختلف فيه عن ابى حنيفة وابى يوسف وحكى ابن
المنذر عن على بن ابى طالب يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل
عن المسلم بالتوبة من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لم ينتقل
من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق
لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضى ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط
اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول
باستتابته ان النبى عليه السلام بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا
من اكرمه الله بنبوته والبارى تعالى منزه عن جميع المعايب قطعًا و
ليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام كالارتداد
المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره
من الادميين فقبلت توبته ومن سب النبى عليه السلام تعلق فيه
حق لادمى فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته
لا يسقط عنه حد القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت
لا يسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبى لكفره
لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا يسقطه
التوبة قال القاضى ابو الفضل يريد والله اعلم لان سبه لم يكن
بكلمة تقتضى الكفر ولكن بمعنى الازدراء والاستخفاف او لان بتوبته
واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرًا والله اعلم بسريرته وبقى
حكم السب عليه وقال ابو عمران القابسى من سب النبى عليه السلام
ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حقوق الادميين
التى لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبنى على القول بقتله حدًا

لا كفرًا وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن
وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا
ويستتاب فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا فى هذا الوجه
والوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من
لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدًّا وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع
انكاره ما شهد عليه به واظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدًّا
لثبات كلمة الكفر عليه فى حق النبى عليه السلام وتحقيره ما عظم الله تعالى
من حقه واجرينا حكمه فى ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه
وانكر او تاب فان قيل كيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر
ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له
حكم الكافر فى القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة
وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك منه وهل ومعصية وانه
مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض
الاشخاص وان لم تثبت له خصايصه كقتل تارك الصلاة واما من علم
انه سبه معتقدًا لاستحلاله فلا شك فى كفره بذلك وكذلك ان كان
سبه فى نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا ما لا اشكال فيه
ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته او نقتله بعد التوبة حدًّا لقوله
ومتقدم كفره وامره بعد الى الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره
وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه فهذا كافر بقوله
وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرًا بلا خلاف فعلى
هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم فى الاحتجاج
عليها واجر اختلافهم فى الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصد
هم ان شاء الله تعالى **فصل** اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف
فيها على الاختلاف فى توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف فى
وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد
يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب قول
عمر رض فى الاستتابة ولم ينكره احد منهم وهو قول عثمان وعلى وابن
مسعود وبه قال عطاء بن ابى رباح والنخعى والثورى ومالك و
اصحابه والاوزاعى والشافعى واحمد واسحاق واصحاب الرأى وذهب
طاوس وعبيد بن عمير والحسن فى احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب
وقاله عبد العزيز بن ابى سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن
معاذ وحكاه الطحاوى عن ابى يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا و
تنفعه توبته عند الله عز وجل ولكن لا ندرأ القتل عنه عليه السلام

من بدل دينه فاقتلوه وحكى ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد فى الاسلام لم
يستتب ويستتاب الاسلامى وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة فى ذلك
سواء وروى عن على لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة و
روى عن ابن عباس لا تقتل النساء فى الردة وبه قال ابو حنيفة قال
مالك والحر والعبد والذكر والانثى فى ذلك سواء واما مدتها فمذهب
الجمهور وروى عن عمر رضى الله عنه انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس
فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قول الشافعى وقول احمد و
اسحاق واستحسنه مالك وقال لا يأتى الاستظهار الا بخير وليس
عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابى زيد يريد به فى الاستيناء
ثلاثا وقال مالك ايضا الذى اخذ به فى المرتد قول عمر يحبس ثلاثة
ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن ابن
القصار فى تأخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب
واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الرأى وروى عن
ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه استتاب امرأة فلم تتب
فقتلها وقال الشافعى مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه
المزنى وقال الزهرى يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل و
روى عن على رضى الله تعالى عنه يستتاب شهرين وقال النخعى
يستتاب ابدا وبه اخذ الثورى ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن
ابى حنيفة انه يستتاب ثلاثا مرات فى ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل
يوم او جمعة مرة وفى كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام
ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد
عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت فى الاستتابة
تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف
ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفى كتاب ابى الحسن
الطابثى يوعظ فى تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال
اصبغ واى المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده
اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين
ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نبهان الذى ارتد اربع مرات
او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول
الشافعى واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحق يقتل فى الرابعة و
قال اصحاب الرأى ان لم يتب فى الرابعة قتل دون استتابة وان
تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع

التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احداً اوجب على المرتد فى المرة الاولى ادباً اذا
رجع وهو على مذهب مالك والشافعى والكوفى **فصل** هذا حكم من تثبت
عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم
تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد والكفيف من الناس او ثبت
قوله لكن احتمل ولم يكن صريحاً وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته
فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله
وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من
التهمة فى الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوى امره اذاقه من
شديد النكال من التضييق فى السجن والشد فى القيود الى الغاية
التى هى منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن
صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى
اوجبه وتربص به لاشكال وعايق اقتضاه امره وحالات الشدة فى
نكاله يختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك و
الاوزاعى انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك فى العتبية وكتاب محمد من
رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى
ابو عبد الله بن عتاب فى من سب النبى عليه السلام فشهد عليه
شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى
تظهر توبته وقال القابسى فى مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل
فعاق عايق اشكل فى القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ولا يستطال
سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما
يطيق وقال فى مثله ممن اشكل امره يشد فى القيود شداً ويضيق عليه
فى السجن حتى يظهر فيما يجب عليه وقال فى مسئلة اخرى مثلها ولا
تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفى الادب بالسوط والسجن نكال
للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى
شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما عنه ولم
يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد
عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز
فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع
الظن صدقهما وللحاكم هنا فى تنكيله موضع اجتهاد والله ولى الارشاد
فصل هذا حكم المسلم فاما الذمى اذا صرح بسبه او عرض او استخف
بقدره او وصفه بغير الوجه الذى كفر به فلا خلاف عندنا فى قتله
ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء
الا ابا حنيفة والثورى واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل

ماهو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا
على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم الاية
ويستدل ايضا عليه بقتل النبى عليه السلام لابن الاشرف واشباهه ولانا
لم نعاهد ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا
ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفاراً اهل حرب
يقتلون بكفرهم وايضاً فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع
فى سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالاً عندهم فكذلك
سبهم للنبى عليه السلام يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضى
الخلاف اذا ذكره الذمى بالوجه الذى كفر به ستقف عليها من كلام ابن
القاسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه
المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان
الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه
الكافر فى بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا
ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى
الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف
ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت
سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها شئ وقيل
لا يسقط اسلام الذمى قتله لانه حق للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم
يكن رجوعه الى الاسلام بالذى يسقطه كما وجب عليه من حقوق
المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم
فالا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك فى كتاب ابن حبيب والمبسوط
وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فى من شتم نبينا
عليه السلام من اهل الذمة او احداً من الانبياء عليهم السلام قتل الا
ان يسلم وقاله ابن القاسم فى العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال
سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له
توبة وفى كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول
الله عليه السلام او غيره من النبيين عليهم السلام من مسلم او
كافر قتل ولم يستتب وروى لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد
روى ابن وهب عن ابن عمر رضى الله عنه ان راهباً تناول النبى عليه
السلام فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم فى
ذمى قال ان محمداً لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى

اوعيسى ونحو هذا لا شئ عليهم لان الله تعالى اقرهم على مثله واما ان سبه
فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانما هو شئ تقوّله
او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم
دين الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول
الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل قال
واما من شتم النبي عليه السلام شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله
مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي ان
اسلم طايعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان ابن سالم في اليهودي
يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي
النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفر واضربت عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون
فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن دينه
سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ
اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله فكذلك
اظهاره لسب نبينا عليه السلام قال ابن سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب
الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض
عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه من
القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل ما ذكره ابن سحنون
عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه
مما به كفروا فتامله ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك
فحكى ابو المصعب الزهري قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى
على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت
من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب عن
نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم سالنا مالكا
عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة
ماله لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح منه
الناس قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم فيها
ثم رأيت انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه
بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه بالنار حيا اذا
تهافتوا في سبه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر مسالة ابن القاسم
المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل وان تضرب عنقه فكتبت ثم
قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما

اولاه

اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك
فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة وجماعة سلف اصحابنا
الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية وبنوة عيسى لله
عز وجل وتكذيب محمد عليه السلام في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل
عنها به وقال غير واحد من المتاخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال
ابو القاسم ابن الجلاب في كتابه من سب الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى
عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي
يسب روايتين في درء القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف
وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه وانما يسقط عنه
باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق للعباد كان للنبي او غيره فاوجب
على الذمي اذا قذف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم اسلم حد القذف
ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي عليه السلام
لزيادة حرمة النبي عليه السلام على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه
ويحد ثمانين فتامله فصل في ميراث من قتل بسب النبي عليه السلام
وغسله والصلاة عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي
عليه السلام فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفر يشبه كفر الزندقة وقال اصبغ
ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستترا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا
به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي
ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته
والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شئ وكذلك لو اقر بالسب واظهر
التوبة يقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام
ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا
وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن ولا تستر عورته
يوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا
يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ
وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن
القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب في من
اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من
المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه
وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما
يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما
المتمادي فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد في من سب الله تعالى

ثم مات ولم تعدل عليه بيّنة او لم تقبل انه يصلّى عليه وروى اصبغ عن
ابن القاسم فى كتاب ابن حبيب فى من كذّب برسول الله عليه السلام او
اعلن دينا مما يفارق به الاسلام انّ ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك انّ
ميراث المرتدّ للمسلمين ولا يرثه ورثته ربيعة والشافعىّ وابو ثور وابن
ابى ليلى واختلف فيه عن احمد وقال علىّ بن ابى طالب وابن مسعود وابن
المسيّب والحسن والشعبى وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعىّ والليث
واسحق وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فى ماكسبه قبل
ارتداده ومايكسبه فى الارتداد فللمسلمين وتفصيل ابى الحسن فى باقى
جوابه حسن بيّن وهو على رأى اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما
على قولى مالك فى ميراث الزنديق فمرّة ورثه ورثته من المسلمين قامت
عليه بذلك بيّنة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله
اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانّه مظهر للاسلام بانكاره
او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله عليه
السلام وروى ابن نافع عنه فى العتبية وكتاب محمد انّ ميراثه لجماعة
المسلمين لانّ ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله
اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن قاسم فى العتبية
الى انّه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقرّ
حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كلّ من اسرّ كفرا فانّهم يتوارثون
بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم ابن الكاتب بن الجلاب عن النصرانى
يسبّ النبى عليه السلام فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب
انّه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانّه لا توارث بين اهل ملّتين ولكن
لانّه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره **الباب الثالث**
فى حكم من سبّ الله تعالى وملائكته وانبياءه وكتبه وآل النبى عليه
السلام وازواجه وصحبه لاخلاف انّ ساب الله تعالى من المسلمين
كافر حلال الدم واختلف فى استتابته فقال ابن القاسم فى المبسوط
وفى كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك فى كتاب اسحق
ابن يحيى من سبّ الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون
افترى على الله بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره
لم يستتب وقال فى المبسوطة مطرّف وعبد الملك مثله وقال المخزومىّ
ومحمد بن مسلمة وابن ابى حازم لا يقتل المسلم بالسبّ حتى يستتاب و
كذلك اليهودى والنصرانىّ فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا
بدّ من الاستتابة وذلك كلّه كالردّة وهو الذى حكاه القاضى ابن نصر عن
المذهب وافتى ابو محمد بن ابى زيد فى ماحكى عنه فى رجل لعن رجلا ولعن

الله فقال انّما اردت ان العن الشيطان فزلّ لسانى فقال يقتل بظاهر
كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء
قرطبة فى مسألة هارون بن حبيب اخى عبد الملك الفقيه وكان ضيّق
الصدر كثير التبرّم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انّه قال عند
استقلاله من مرض لقيت فى مرضى هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا
كلّه فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله وانّ مضمن قوله تجوير لله تعالى
وتظلّم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم
بن حسن بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضى بطرح القتل عنه الا انّ القاضى
رأى عليه التثقيل فى الحبس والشدّة فى الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى
التشكّى فوجه من قال فى سابّ الله تعالى بالاستتابة انّه كفر وردّة
محضة لم يتعلّق بها حقّ لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سبّ الله
تعالى واظهار الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه
ترك استتابته انّه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتّهمناه
وظننّا انّ لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل فى هذا
احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى اخر
واظهر السبّ بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انّه خلع ربقة الاسلام من
عنقه بخلاف الاوّل المتمسّك به وحكم هذا حكم المرتدّ يستتاب على مشهور
مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب مالك واصحابه على مابيّنّاه قبل وذكرنا
الخلاف فى فصوله **فصل** واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس
على طريق السبّ ولا الردّة وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد
والخطاء المفضى الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفى صفة
كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف فى تكفير قائله ومعتقده واختلف
قول مالك واصحابه فى ذلك ولم يختلفوا فى قتالهم اذا تحيّزوا فئة وانّهم
يستتابون فان تابوا والّا قتلوا وانّما اختلفوا فى المنفرد منهم فاكثر قول مالك
واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة فى عقوبتهم واطالة
سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضى الله عنه
بصبيغ وهذا قول محمد بن الموّاز فى الخوارج وعبد الملك بن الماجشون
وقال سحنون فى جميع اهل الاهواء وبه فسّر قول مالك فى الموطأ وما
رواه عن عمر بن عبد العزيز وجدّه وعمّه من قولهم فى القدريّة يستتابون
فان تابوا والّا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم فى اهل الاهواء من
الاباضيّة والقدريّة وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف
لتأويل كتاب الله تعالى يستتابون اظهروا ذلك او اسرّوه فان تابوا
والّا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم فى كتاب محمد

فى اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله
له فى المبسوطة فى الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون
وانما قتلوا لرأيهم السّوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال
ان الله لم يكلم موسى تكليمًا استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره
من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة
وقد روى ايضا عن سحنون مثله فى من قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت
الروايات عن مالك فاطلق فى رواية الشاميين ابى مسهر ومروان بن محمد
الطاطرى الكفر عليهم وقد شوور فى زواج القدرى فقال لا تزوجه قال
الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك وروى عنه ايضا اهل الاهواء
كلهم كفار وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شئ من
جسده يدا او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه شبه الله تعالى بنفسه
وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا فى رواية ابن
نافع ويوجع ضربًا ويحبس حتى يتوب وفى رواية بشر بن بكر التنيسى عنه
يقتل ولا تقبل توبته قال القاضى ابو عبد الله البرنكانى والقاضى ابو
عبد الله التسترى من ائمة العراقيين جوابه مختلف بقتل المستبصر
الداعية وعلى هذ الخلاف اختلف قوله فى اعادة الصّلاة خلفهم وحكى ابن
المنذر عن الشافعى لا يستتاب القدرى واكثر اقوال السّلف تكفيرهم وممن
قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روى عنهم ذلك فيمن قال بخلق
القران وقاله ابن المبارك والاودى ووكيع وحفص بن غياث وابو
اسحق الفزارى وهشيم وعلى بن عاصم فى اخرين وهو من قول اكثر المحدثين
والفقهاء والمتكلمين فيهم وفى الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة و
اصحاب البدع المتأولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا فى الواقفة
والشاكة فى هذه الاصول وممن روى عنه معنى القول الاخر بتكفيرهم
على بن ابى طالب وابن عمر والحسن البصرى وهو رأى جماعة من الفقهاء
النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصّحابة والتابعين ورثة اهل حروراء
ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم فى مقابر المسلمين وجرى احكام
الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضى وانما مالك فى القدرية وسائر اهل
البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد فى الارض كما قال
فى المحارب ان رأى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما
هو فى الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضًا فى امر الدين من سبيل
الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل فى امر الدنيا بما
يلقون بين المسلمين من العداوة **فصل** فى تحقيق القول فى اكفار المتأولين
ذكرنا مذاهب السّلف فى اكفار اهل البدع والاهواء والمتأولين ممن قال قولا

يؤديه

١٤٣



يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم
اختلف الفقهاء والمتكلمون فى ذلك فمنهم من صوّب التكفير الذى قال به
الجمهور من السّلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المؤمنين وهو
قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين
ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلّى خلفهم قال وهو
قول جماعة اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه
لم يخرجه من الاسلام واضطرب اخرون فى ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير
او ضدّه واختلاف قولى مالك فى ذلك وتوقفه عن اعادة الصّلاة خلفهم
منه والى نحو من مذاهب القاضى ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها
من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدى اليه
واضطرب قوله فى المسئلة على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى
قال فى بعض كلامه انهم على من رأى من كفرهم بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا
اكل ذبائحهم والصّلاة ولا الصّلاة على ميتهم ويختلف فى موارثتهم على
الخلاف فى ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا
نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك اضطرب فيه
قول شيخه ابى الحسن الاشعرى واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة
وهو الجهل بوجود البارى تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح
او بعض من يلقاه فى الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو
المعالى رحمه الله فى اجوبته لابى محمد عبد الحق وكان سأله عن المسئلة
فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر فى الملة او اخراج مسلم
عنها عظيم فى الدين وقال غيرهما من المحققين الذى يجب الاحتراز من التكفير
فى اهل التأويل فان استباحة دماء الموحدين خطر والخطاء فى ترك الف
كافر اهون من الخطاء فى سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه
السّلام فاذا قالوها يعنى الشهادة عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها
وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح
خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث
الواردة فى الباب معرضة للتأويل فما جاء منها فى التصريح بكفر القدرية
وقوله لا سهم لهم فى الاسلام وتسميته الرافضة بالشرك واطلاق
اللعنة عليهم وكذلك فى الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من
يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ
فى الحديث فى غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون
اشراك وقد ورد مثله فى الرياء وعقوق الوالدين والزوج وغير
معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع

وقوله فى الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل
تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم
قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى
تكفيرهم فيقول له الاخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم
عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم هاهنا حد
لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله
يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد فى الحديث دعنى اضرب عنقه يا رسول الله
فقال لعله يصلى فان احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤن القران لا يجاوز
حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين
مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله
سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشئ اجابه الاخرون
ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدور
هم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى فى الفوق وهذا يقتضى
التشكك فى حاله وان احتجوا بقول ابى سعيد الخدرى فى هذا الحديث سمعت
رسول الله عليه السلام يقول يخرج فى هذه الامة ولم يقل من هذه الامة
وتحرير ابى سعيد الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الاخرون بان العبارة
بفى لا تقتضى تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من التى هى للتبعيض
وكونهم من هذه الامة مع انه روى عن ابى ذر وعلى وابى امامة وغيرهم
فى هذا الحديث يخرج من امتى وسيكون من امتى وحروف المعانى مشتركة
فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفى ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد
رض اجاد ما شاء فى التنبيه الذى نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه
الصحابة وتحقيقهم للمعانى واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم
فى الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات
كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله
الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متاول كان
تاويله تشبيها لله عز وجل بخلقه وتجويرا له فى فعله وتكذيبا لخبره
فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض
المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف
الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف
الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبرى الى
تصويب اقوال المجتهدين فى اصول الدين فى ما كان عرضة للتاويل و
فارق فى ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق فى اصول الدين
واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما الخلاف فى تكفيره وقد حكى القا

ابو

ابو بكر الباقلانى مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهانى قال وحكى قوم عنهما
انهما قالا ذلك فى كل علم الله من حاله استفراغ الوسع فى طلب الحق من
اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة فى ان كثيرا من
العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله
عليهم اذ لم يكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالى قريبا
من هذا المنحى فى كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر
احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين او وقف فى تكفيرهم
او شك قال القاضى ابو بكر لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف
فى ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا
يقع الا من كافر **فصل** فى بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف
فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع
ولا مجال للعقل فيه والفصل البين فى هذا ان كل مقالة صرحت بنفى الربوبية
او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهو كفر كمقالة الدهرية وسائر
فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانية واشباههم من الصابئين
والنصارى والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين
او الشمس او النجوم او النار او احد غير الله من مشركى العرب واهل الهند والصين
والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول
والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالهية
الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حى او غير قديم وانه محدث او مصور
او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد من شئ او كائن عنه او ان معه
فى الازل شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله
كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين و
كذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله فى احد الاشخاص
كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على
كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك فى ذلك على مذهب بعض الفلاسفة
والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد فى الاشخاص
وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف
بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا
عليه السلام خصوصا او احد من الانبياء الذين نص الله عليهم بعد
علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية
من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث
اليه جبرئيل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية من
الروافضة وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا فى كفر آخر مع من قبلهم

وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه السلام ولكن
جوز على الانبياء الكذب فى ما اتوا به ادعى فى ذلك المصلحة بزعمه اويدعها
فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة
واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به
الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة والحشر والقيامة
والجنة والنار ليس منها شئ على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما
خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم
فضمن مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل الاوامر والنواهى وتكذيب
الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك فى صدقه او سبه او
قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء عليهم السلام او ازرى
عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من
ذهب مذهب بعض القدماء فى ان فى كل جنس من الحيوان نذيرا او نبيا
من القردة والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان من
امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدى الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس
بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء هذا المنصب المنيف ما فيه مع
اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف
من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا عليه السلام ولكن قال
كان ابود او مات قبل ان يلتحى او ليس الذى كان بمكة والحجاز او ليس
بقريشى لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفى له وتكذيب به وكذلك
من ادعى نبوة احد مع نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم او بعده كالعيسوية
من اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين
بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة على فى الرسالة للنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء
يقوم مقامه فى النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين
بنبوة بزيع وبيان واشباه هؤلاء او من ادعى النبوة لنفسه او جوز
اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة
المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او
انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين
فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اخبر
عليه السلام انه خاتم النبيين ولا نبى بعده واخبر عن الله عز وجل
انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا
الكلام على ظاهره فان مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص فلا

شك

شك فى كفر هؤلاء الطوايف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع
على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا
به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من دان
بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان ظهر
مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر
باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال
قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية
من الرافضة بتكفير جميع الصحابة بعد النبى عليه السلام اذ لم تقدم
عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه فى التقديم فهؤلاء قد كفروا
من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ
ناقلوه على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك فى احد قوليه بقتل من
كفر الصحابة ثم كفروا من وجه اخر بسبهم النبى عليه السلام على مقتضى
قولهم وزعمهم انه عهد الى على وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله
عليهم وصلى الله على رسوله واله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه
لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل
كالسجود للصنم او الشمس والقمر والصليب والنار والسعى الى الكنايس والبيع
مع اهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الروس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد
الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام
وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر او الزنا مما حرم
الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة
وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف
يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول عليه السلام ووقع الاجماع المتصل عليه
كمن انكر وجوب الخمس الصلوات وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب
الله علينا فى كتاب الصلوة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط
لا اعلمه اذ لم يرد فيه فى القران نص جلى والخبر به عن الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير من قال من الخوارج ان
الصلاة طرفى النهار وعلى تكفير الباطنية فى قولهم ان الفرايض اسماء
رجال امروا بولايتهم والخبايث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة
منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم
افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل شئ لهم ورفع عهد الشرايع عنهم وكذلك
ان انكر منكر مكة او البيت والمسجد الحرام او صفة الحج او قال الحج واجب فى القران
واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة
هى مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادرى هل هى تلك او غيرها ولعل الناقلين

ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا او وهموا
فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط
المسلمين وامتدت صحبته بهم الا ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال
له سبيلك ان تسأل عن هذه الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد
بينهم خلافاً كافة عن كافة الى معاصري الرسول عليه السلام ان
هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هي
الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول عليه السلام والمسلمون وحجوا
اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي
التي فعلها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وان صفات
الصلاة المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشرح مراد
الله بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك
بعد والمرتاب في ذلك او المنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق
لا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب
اذ لا يمكن انه لا يدري وايضاً فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم
والغلط في نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة في جميع
الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقران وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا
كافر وكذلك من انكر القران او حرفاً منه او غير شيئاً منه او زاد فيه كفعل
الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
او ليس فيه حجة ولا معجزة كقوم هشام الفوطي ومعمر الضمري انه لا يدل على
الله ولا حجة فيه لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يدل على ثواب ولا
عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك نكفرهما بانكارهما
ان يكون في سائر معجزات النبي عليه السلام حجة له او في خلق السموات والارض
دليل على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القران به وكذلك من انكر شيئاً مما نص
فيه القران بعد علمه انه من القران الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين
ولم يكن جاهلاً به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم
يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين
المتقدمين لانه مكذب للقران مكذب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار او البعث والحساب
والقيامة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله
متواتراً وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار
والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهرها وانها لذات روحانية

ومعان

ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان
معنى القيامة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم
كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان
الائمة افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير
والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين
كانكار غزوة تبوك او موتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان وخلافة علي
مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد
ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام
وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل
تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة
فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع
صلى الله تعالى عليه وسلم فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب
قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق
عليه عموماً وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
الاية وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من خالف الجماعة قيد شبر فقد
خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع
وذهب آخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص
بنقله العلماء وذهب آخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن
عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف لاجماع
السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع قال القاضي ابو بكر القول عندي
ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا
يكفر احد بقول ولا رأي الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او
فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل
على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله
لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان يأتي فعلاً
او يقول قولاً يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر
كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم
او يكون ذلك القول والفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان
وان لم يكونا جهلاً بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من
نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصراً في ذلك
كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات
الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه
تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله

كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه
الصفات فاختلف العلماء هاهنا فكفره بعضهم وحكى ذلك عن ابى جعفر
الطبرى وغيره وقال به ابو الحسن الاشعرى مرة وذهبت طائفة الى ان
هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعرى قال لانه لم يعتقد
ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما نكفر من اعتقد
ان مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبى عليه السلام انما
طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله على وفى رواية
فيه لعلى اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن
الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر
عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى قدر ولا يكون شكه فى القدرة
على احيائه بل فى نفس البعث الذى لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد
عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما لم يرد به
شرع فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله
بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل
لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التى اذهلت
لبه فلم يؤاخذ به وقيل بل كان هذا من اهل الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد
وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذى صورته الشك ومعناه التحقيق
وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة فى كلامهم كقوله تعالى يتذكر او يخشى
وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى
الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا
فى سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه اليه قوله و
يسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم انتفى عنه وصف عالم اذ لا
يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا
عند هذا سائر فرق اهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن
لم يرا خذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم يرا كفارهم قال لانهم
اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفى من القول بالمآل
الذى الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول
اليه على ما اصلناه فعلى هذين المأخذين اختلف الناس فى اكفار اهل
التأويل واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس فى ذلك و
الصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم
الاسلام عليهم فى قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم
ودفنهم فى مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع
الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت

سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشأ على من الصحابة وبعدهم فى التابعين
من قال بهذه الاقوال من القدر ورأى الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم
قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفى
والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كباير عند
المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك
والله الموفق للصواب قال القاضى ابو بكر واما مسائل الوعد والوعيد
والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها
من الدقايق فالمنع من اكفار المتأولين فيها اوضح اذ ليس فى الجهل بشئ
منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها وقد
قدمنا فى الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف فى هذا ما اغنى عن اعادته
بحول الله **فصل** هذا حكم المسلم الساب لله تعالى واما الذمى فروى عن عبد الله
بن عمر فى ذمى تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج
فيه فخرج بن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك فى كتاب ابن سحنون
من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى بغير الوجه الذى به كفر واقتل ولم
يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم قال فى المبسوطة طوعا قال اصبغ لان الوجه
الذى به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك
والوليد واما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد
قال ابن القاسم فى كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان الله تعالى بغير الوجه
الذى ذكر فى كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومى فى المبسوطة ومحمد بن
مسلمة وابن ابى حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب
والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال ابو محمد بن ابى
ابى زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذى به كفر قتل الا ان يسلم وقد
ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ
الاندلسيين فى النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذى كفرت به
لله تعالى والنبى عليه السلام واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الاخر
فى من سب النبى عليه السلام منهم بالوجه الذى كفر به ولا فرق فى ذلك
بين سب الله تعالى به وسب نبيه صلى الله عليه وسلم لانا عاهدناهم
على ان يظهروا لنا شيئا من كفرهم وان لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا
شيئا منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء فى الذمى اذا تزندق فقال
مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر
وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا تؤخذ
عليه جزية قال ابن حبيب وما اعلم من قاله غيره **فصل** هذا حكم من
صرح بسبه واضافة ما لا يليق بجلاله ولا الاهية فاما مفترى الكذب

عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية والرسالة او الثانى ان يكون الله
خالقه او ربه او قال ليس لى رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك فى سكره
او غمرة جنونه فلا خلاف فى كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله
كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهود وتنفعه انابته وتنجيه من القتل
فئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك
زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرر ذلك منه
وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته و
صار كالزنديق الذى لا تأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران فى
ذلك حكم الصاحى واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك فى
حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك فى حال ميزه
وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب
على قبايح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على
سوء الخلق حتى تراض وقد حرق على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه
من ادعى له الالهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبى وصلبه
وفعله ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم
على صواب فعلهم والمخالف فى ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام
المقتدر من المالكية وقاضى قضاتها ابو عمر المالكى على قتل الحلاج وصلبه
لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه فى الظاهر
بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا فى ابن ابى الغراقيد وكان على مذهب
الحلاج بعد هذا ايام الراضى وقاضى قضاة بغداد يومئذ ابو الحسين بن ابى
عمر المالكى وقال ابن عبد الحكم فى المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة
واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لى رب فهو مرتد وقال
ابن القاسم فى كتاب ابن حبيب ومحمد فى العتبية فى من تنبأ يستتاب
اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقال اشهب
فى يهودى تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب
فان تاب والا قتل وقال ابو محمد بن ابى زيد فى من لعن بارئه وادعى
ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره
وهذا على القول الاخر من انه لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسى
فى سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله
طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين فصل واما من تكلم
من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما
يقتضى الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل فى بعض الاشياء
ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق

الا فى

الا فى حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا
منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم
عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب
الاستخفاف والتنقص لربه عز وجل وقد افتى ابن حبيب واصبغ ابن
خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخى عجب وكان خرج يوما فاخذه
المطر فقال بدء الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب
الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك
دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفى فيه الادب وافتى بمثله القاضى
حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه فى عنقى ايشتم ربا عبدناه ثم لا
ننتصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير
بها عبد الرحمن بن الحكم الاموى وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه
واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب و
صاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضى لتهمته
بالمداهنة فى هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه
من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم تكن تنقصا وازراء فيعاقب
عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح
سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا
باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه
فلا شئ عليه قال القاضى ابو الفضل وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل
يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا
مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم فى هذا الباب
واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا
عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره
علينا مما حكيناه فى هذه الفصول واما ما ورد فى هذا من اهل الجهالة واغاليط
اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما
بدا لكا انزل علينا الغيث لا ابا لكا فى اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم
يقومه ثقاف تاديب الشريعة والعلم فى هذا الباب فقل ما يصدر الا من
جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله قال ابو
سليمان الخطابى وهذا تهور من القول والله منزه عن هذه الامور
وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر
اسمه فى كل شئ حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض من
ادركنا من مشايخنا قلما لم يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان
يقول للانسان جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن فى غير

قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشى كان يعيب على اهل الكلام كثرة
خوضهم فيه تعالى وفى ذكر صفاته اجلالاً لاسمه تعالى ويقول هؤلاء
يتمندلون بالله جل وعز وينزل الكلام فى هذا الباب تنزيله فى باب
ساب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على الوجوه التى فصلناها والموفق
الله فصل من سب سائر انبياء الله وملائكته واستخف بهم او كذبهم
فى ما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
على مساق ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله و
يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله الاية وقال تعالى قولوا امنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الاية الى قوله لا نفرق بين احد
منهم وقال كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد
من رسله قال مالك فى كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن
الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فى من شتم الانبياء او
واحداً منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة
قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء من
اليهود والنصارى بغير الوجه الذى به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد
تقدم للخلاف فى هذا الاصل وقال القاضى بقرطبة سعد بن سليمان فى بعض
اجوبته من سب الله تعالى وملائكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا من
الملائكة فعليه القتل وفى النوادر عن مالك فى من قال ان جبريل اخطاء
بالوحى وانما كان النبى على بن ابى طالب استتيب فان تاب والا قتل ونحوه
عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبى
اشبه بعلى من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من
كذب باحد من الانبياء او تنقص احداً منهم او برئ منه فهو مرتد وقال
ابو الحسن القابسى فى الذى قال لاخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف
انه قصد ذم الملك قتل قال القاضى ابو الفضل وهذا كله فى من تكلم فيهم
بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين او على معين ممن حققنا كونه من
الملائكة والنبيين ممن نص الله فى كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر
والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبرئيل وميكائيل ومالك و
خزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين فى القران
من الملائكة ومن سمى فيه من الانبياء وكعزرائيل واسرافيل ورضوان
والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما فاما من
لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبياء
كهاروت وماروت فى الملائكة والخضر ولقمان وذى القرنين ومريم
وآسية وخالد بن سنان المذكور انه نبى اهل الرس وزرادشت الذى

تدعى المجوس والمؤرخون نبوته فليس الحكم فى سابهم والكافر بهم
كالحكم فى من قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم
واذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيهم لا سيما من عرفت صديقيته وفضله
منهم وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الاخر من الملائكة فان كان
المتكلم فى ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء فى ذلك وان كان من
عوام الناس زجر عن الخوض فى مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام فى
مثل هذا وقد كره السلف الكلام فى مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف
للعامة فصل واعلم ان من استخف بالقران او المصحف او بشئ منه او
سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب بشئ مما صرح به فيه من حكم
او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك فى شئ
من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا
الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله حدثنا ابو على ثنا ابن
عبد البر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا احمد بن
حنبل ثنا يزيد بن هارون ثنا محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة
عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال المراء فى القران كفر تؤول بمعنى
الشك او بمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبى عليه السلام من جحد اية من
كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التورية والانجيل
وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع
المسلمون ان القران المتلو فى جميع اقطار الارض المكتوب فى المصحف بايدى
المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ
برب الناس انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك او بدله
بحرف اخر مكانه او زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذى وقع
الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القران عامداً لكل هذا انه كافر ولهذا
رأى مالك قتل من سب عايشة رضى الله عنها بالفرية لانه خالف
القران ومن خالف القران قتل اى لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم
من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليماً يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدى
وقال محمد بن سحنون فى من قال المعوذتان ليستا من كتاب الله يضرب
عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان
شهد شاهد على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليماً وشهد اخر عليه
انه قال ان الله ما اتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد

متفقون ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرأ عنده
رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابراهيم
فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن
مسعود من كفر باية من القران فقد كفر به كله قال اصبغ بن الفرج من
كذب ببعض القران فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن
كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف
له بالتوراة فقال الاخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد
اخر انه سئله عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن
الشاهد الواحد لا يوجب القتل والاخر علق الامر بصفة تحتمل التاويل اذ لعله
لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق
الشاهدان على لعن التوراة مجردا لضاق التاويل وقد اتفق فقهاء بغداد
على استتابة ابن شنبوذ المقرى احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع
ابن مجاهد لقرائته بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه
بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا واشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس
الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة وكان فيمن
افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب
في من قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب
ولم ارد القران قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل **فصل**
وسب آل بيته وازواجه واصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم و
تنقصهم حرام ملعون فاعله **حدثنا** القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله
ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل **ثنا** ابو يعلى **ثنا** ابو علي السنجي
ثنا ابن محبوب **ثنا** الترمذي **ثنا** محمد بن يحيى **ثنا** يعقوب بن ابراهيم
حدثنا عبيدة بن ابي رائطة عن عبد الرحمن بن زيادة عن عبد الله بن
مغفل قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله في اصحابي الله
الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم فمن
ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى
الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله تعالى
عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في اخر الزمان يسبون
اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم
وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم من سب اصحابي
فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان سبهم واذاهم يؤذيه

واذى

واذى النبي حرام فقال لا تؤذوني في اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني وقال صلى
الله تعالى عليه وسلم لا تؤذوني في عايشة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
في فاطمة بضعة مني يؤذيني ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور
مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك من شتم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا من
شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان
او معاوية او عمرو بن العاصي فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان
شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب
من غلا من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن
زاد الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال
سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابي
زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على
ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد
وروى عن مالك من سب ابا بكر جلد ومن سب عايشة قتل قيل له لم
قال من رماها فقد خالف القران وقال ابن شعبان عنه لان الله تعالى
يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد
كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال ان الله
تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في اي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون
الى عايشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك
هذا بهتان عظيم سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته
من السوء وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عايشة ومعنى هذا
والله اعلم ان الله تعالى لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا
لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وقرن سب نبيه صلى الله تعالى
عليه وسلم واذاه تعالى وكان حكم موذيه تعالى القتل كان موذى
نبيه كذلك كما قدمناه وشتم رجل عايشة بالكوفة فقدم الى موسى
بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين
وحلق رأسه واسلمه في الحجامين وروى عن عمر بن الخطاب رضي
الله تعالى عنه انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد
بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد
بعد اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي ان

عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اتى باعرابى يهجو الانصار فقال لولا ان
له صحبة لكفيتكموه قال مالك من انتقص احدا من اصحاب النبى عليه
السلام فليس له فى هذا الفئ حق قد قسم الله الفئ فى ثلاثة اصناف فقال
للفقراء المهاجرين الاية ثم قال والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الاية
وهؤلاء الانصار ثم قال والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم فلا حق له فى فئ
المسلمين وفى كتاب بن شعبان من قال فى واحد منهم انه ابن زانية وامه
مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا اجعله كقاذف
الجماعة فى كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
من سب اصحابى فاجلدوه وقال ومن قذف ام احدهم وهى كافرة حد
حد الفرية لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابى حيا قام بما
يجب له والا فمن قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال
وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بصحبة نبيهم صلى الله
تعالى عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولى القيام قال
ومن سب غير عايشة من ازواج النبى عليه السلام ففيها قولان
احدهما يقتل لانه سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لسب حليلته
والاخر انها كسائر الصحابة يجلد حد المفترى قال وبالاول اقول وروى
ابو المصعب عن مالك من انتسب الى بيت النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته
لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وافتى ابو
المطرف الشعبى فقيه مالقة فى رجل انكر تحليف امرأة بالليل وقال
لو كانت بنت ابى بكر الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض
المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابى بكر فى مثل هذا
يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذى صوب
قوله هو احق باسم الفسق من اسم الفقه فيقدم اليه فى ذلك ويزجر ولا
يقبل فتواه ولا شهادته وهى جرحة ثابتة فيه ويبغض فى الله تعالى قال
القاضى ابو الفضل هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذى
انتحيناه واستوفى الشرط الذى شرطناه مما ارجو ان يكون فى قسم منه
للمريد مقنع وفى كل باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت
تستغرب وتستبدع وكرعت فى مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل فى
اكثر التصانيف مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط
قبلى الكلام فيه او مقتدا يفيدنيه عن كتابه او فيه لاكتفى بما ارويه عما
ارويه والى الله تعالى جزيل الضراعة فى المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو

عما تخلله من تزين او تصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما
اودعناه من شرف مصطفاه وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله
واعملنا به خواطرنا من ابراز خصايصه ووسائله ويحمى اعراضنا عن ناره الموقدة
لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد المبدل عن حوضه ويجعله
لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه
ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا صلى الله عليه وسلم وجماعته ويحشرنا
فى الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما
هدى اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك حقايق ما اودعناه وفهم
ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو
الجواد الذى لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين
ولا يصلح عمل المفسدين وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله تعالى على
سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما
الى يوم الدين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
اللهم اشكر سعيه وعمله وبلغه ما رجا عندك
وامله واجعلنا ممن شملته دعوته وانطوت
على ما قدم من لوازم حقوق نبينا صلى الله
عليه وسلم سريرته واجعل اللهم ذلك
ذخيرة لنا ولمن تحفنا به عند
الكروع من حوضه وتغفر بها
ما قصرنا فيه من اداء
سنته وفرضه ومتعنا اللهم بالنظر الى
وجهه الكريم يوم القيمة يوم يلحق
من عصاه وخالف امره
الندامة وانفع
بذلك
اباءنا ومن سلف لنا واخواننا
وذرياتنا والمسلمين
اجمعين يا رب
العالمين
م